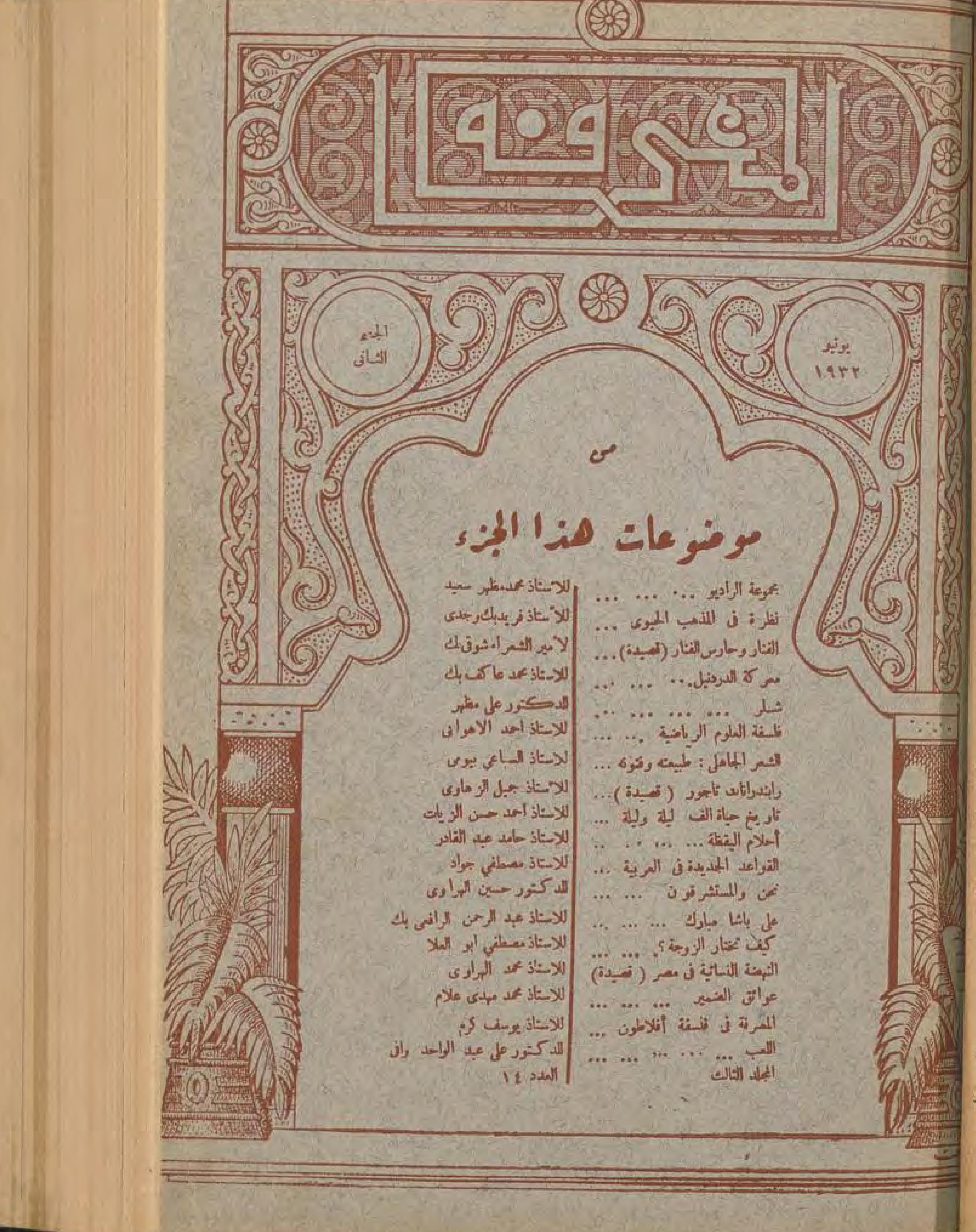


الجزء الثانى

يونيو ١٩٣٢

من

موضوعات هذا الجزء

٢٩-٦-٥٨

الادارة الجديدة

لمجلة المعرفة

بشارع عبد العزيز رقم ٤

بالقاهرة



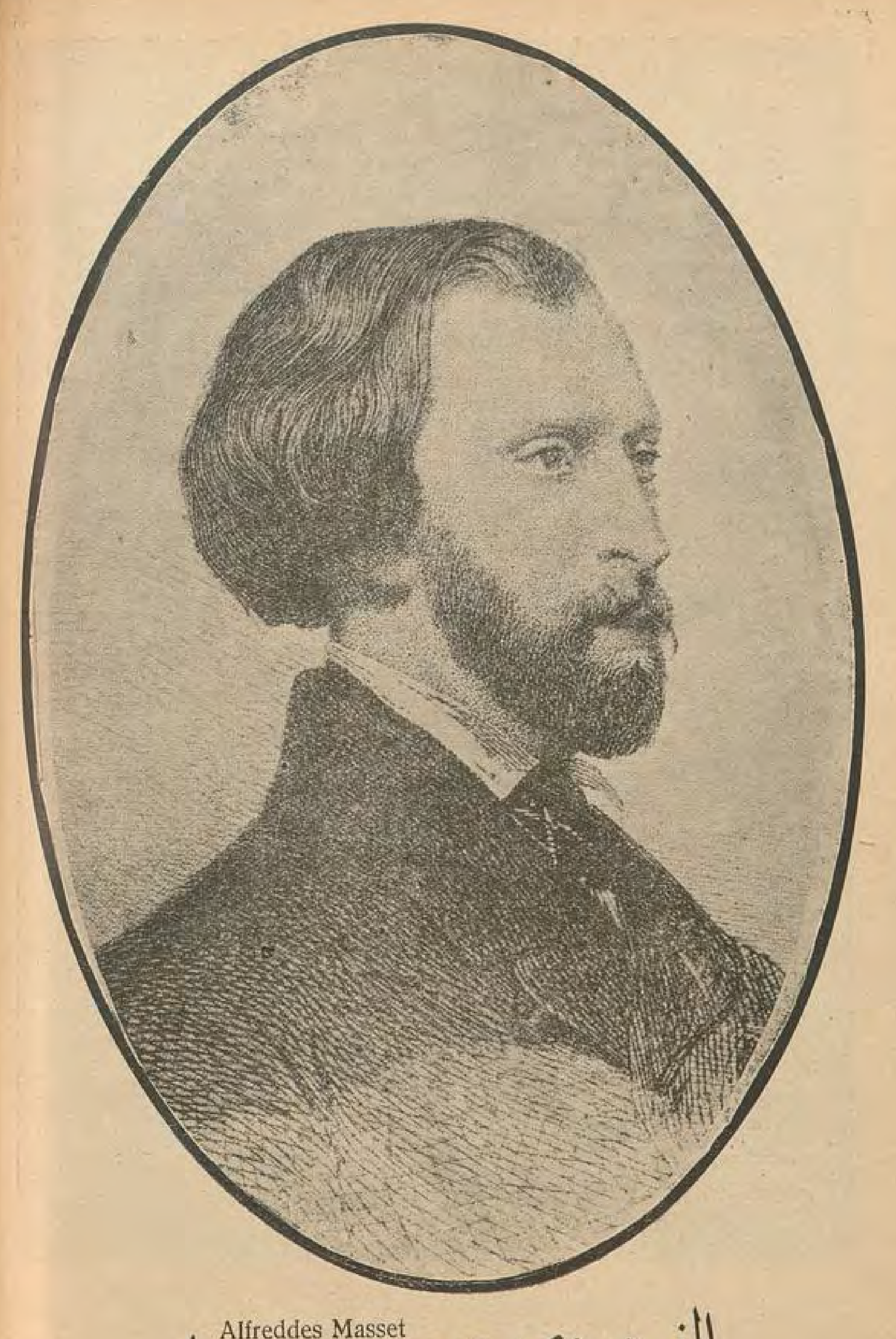
شلر SCHILLER

اقرأ مقالا عنه فى هذا الجزء بقلم الدكتور على مظهر



George Sand
جورج صـــــاند

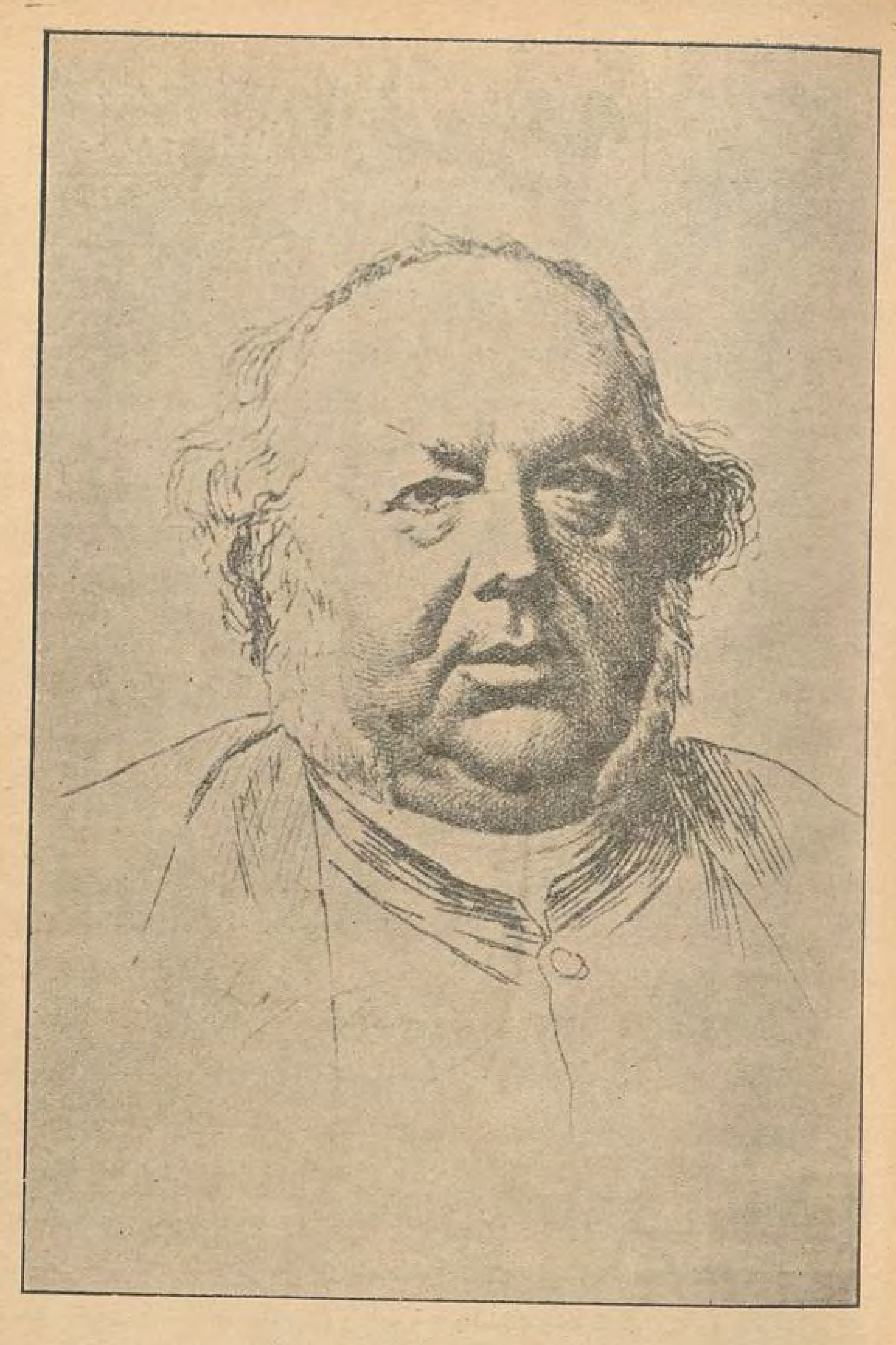
اقرأ مقال « الأقصوصة الفرنسية »



Alfreddes Masset

الفرد دى موسـيه

إقرأ مقال « الأقصوصة الفرنسية »



جوليـــاس جانن jules janin

اقرأ مقال « الأقصوصة الفرنسية »



أول يونيو سنة ١٩٣٢
شهر المحرم سنة ١٥٣١

الجزء الثانى
السنة الثانية

مجلة — شهرية — جامعة
لصاحبها وناشرها ومحررها المسئول
عبد العزيز الإسلامبولى

المجلد الثالث　　شعارها : اعرف نفسك بنفسك　　العدد ١٤

مجموعـــــــــة الراديوم

للاستاذ محمد مظهر سعيد

أستاذ علم النفس بمعهد التربية وكلية أصول الدين

لم يبق فى العالم كله إنسان واحد مثقف متمدين ، لم يسمع عن (الراديوم) ، ويلم ولو إلمامة بسيطة بشىء من خواصه المعروفة ،وأثره فى معالجة الأورام الخبيثة كالسرطان وغيره ، ولكن هناك عناصر كثيرة من العائلة الراديومية التى لاتقل أهمية عن الراديوم ذاته، لم تصل أسماؤها إلى أسماع الكثير من الناس . وسنحاول فى هذه العجالة القصيرة أن نحيط القارىء علما بأهم خواص هذه المجموعة ،وماكان للبحث فيها من أثر خطير، فى تطور أهم النظريات العلمية فى ميدان الطبيعة والكيمياء .

كشف الراديوم

قام العالم الطبيعى الأستاذ (بيكريل) بأبحاث طويلة فى المواد المتفسفرة (أى التى تشع وتضىء من تلقاء نفسها) ، عساه يتوصل إلى كشف أشعة أكس ، فهداه بحثه إلى أشعة تنبعث من أملاح معدن مظلم فى ذاته ، هو معدن الأورانيوم ، وكذلك وجدت الدكتورة (مارى كورى) والأستاذ (شميت) سنة ١٨٩٨ ، أن مركبات معدن الثوريوم لها نفس الخاصية ، وبعد ذلك بقليل وجدت هى وزوجها (بير) عرضا ، أن أتربة البتشبلند التى تحوى بعض مركبات الأورانيوم تنبعث منها ليلا أشعة قوية تماثل أشعة إكس (رونتجن)

وبعد البحث الطويل ، وجدا أن هذا الاشعاع ، يرجع إلى عنصرين جديدين مختلطين بالأورانيوم بمقدار ضئيل جدا لايزيد عن ثلث أو نصف فى المليون، ولكن قوة إشعاعها تزيد على قوة الأورانيوم ذاته بمليونى مرة، فسموهما البولنيوم (تخليدا لاسم بولاندا وطن الدكتورة كورى) والراديوم . وكان هذا الاكتشاف البسيط فاتحة عصر جديد للعلوم الطبيعية ، ولم تستطع مدام كورى أن تحصل على الراديوم نقيا من أملاحه إلا سنة ١٩٠٢، بعد أن حللت آلاف الأطنان من تراب الأورانيوم ، ولم تحصل مع هذا على أكثر من عشر جرام من كلورور الراديوم ، وبعد جهود أخرى جبارة ، وعمل مستمر متواصل، استطاعت أن تفصل الراديوم ذاته وتدرسه وتضعه فى الخانة الخاصة به فى جدول مندليف للعناصر ، وحددت له وزنا ذريا ٢٢٦ .

وفى ذلك الحين اكتشف (دى بيرن) عنصرين آخرين من نفس المجموعة ، سمى أحدهما الأكتيوم « أى المضىء » والثانى الثوريوم « أى مرسل الحرارة » وبذلك تم اكتشاف أعظم مجموعة كيمائية عرفها العالم إلى الآن .

وكثرت أبحاث العلماء بعدئذ عن الراديوم ، فوجد « روتر فورد » أن ذرة الراديوم لاتثبت على حال، كسائر المعادن الجامدة، وإنما هى تتحلل بالتدريج فتنفصل منها أولا جزيئات صغيرة مادية لاتستطيع اختراق لوح من الورق أو صفيحة معدنية رقيقة ، تخرج أشعة بطيئة الحركة لا تتعدى سرعتها ١٥٠٠٠ ميل فى الثانية . ولا تزيد فى تركيبها عن نواة من الهليوم ، تفقد سرعتها وشحنتها الكهربائية باصطدامها بالمادة ، حتى تستحيل فى النهاية الى ذرات من الهليوم محايدة أى عديمة الكهربائية ، وعلى هذا النحو، يخرج جرام الراديوم فى العام الواحد ١٦٠ ملليمترا مكعبا من غاز الهليوم .

ويخرج كذلك أشعة ثانية أقوى من الأولى، تتكون أجزاؤها من نواة متناهية فى الدقة مشحونة بشحنة كهربائية سالبة، وذرات تبلغ الواحدة منها جزءا من الف من ذرات الأدروجين، ولذلك تسير بسرعة تقرب من سرعة الضوء (١٧٠٠٠٠ ميل فى الثانية) وثمت أشعة ثالثة أقوى فعلا ، وأشد نفوذا ، وأدق تركيبا من الأشعة السابقة ، لا تشغل خمس ملايين من جزئياتها حيزا أكثر من نقطة الكتابة، وتسير بسرعة الضوء أو أشعة أكس، وإن كانت تذبذباتها الكهراطيسية أكثر ترددا ، ولكنها مع هذا تخترق لوحا من الاليومنيوم سمكه عشرون بوصة ، وتزداد سرعتها كلما ارتفعت درجة حرارتها ، وهى مادية أيضا لم تبلغ مبلغ الضوء فى دقة التركيب، فلو وصل بين قطعة من الراديوم وبين قطعة من الفسفور لاحترقت وتوهجت وكذلك ما كانت هذه الأشعة الثلاث واحدة فى الجوهر ، وإن اختلفت فى القوة ، فقد اتفق على تسميتها بأشعة ا ،ب ،ج، ومن الغريب أن هذه الأشعة إذا جمعت فى أنبوبة تحفظ كيانها عدة.

أيام بعد نقل قطعة الراديوم الأصلية وإبعادها،ولذلك تستخدم فى العلاج ، وإذا بردت فى أنبوبة تحولت الى جسم صلب ، يشع أشعة ضئيلة غير متوهجة كالمصابيح العادية .

وما يتبقى بعد هذا يجمد بالتدريج ويتحول بعد مضى مدة طويلة إلى رصاص ، فاذا وضعت كمية من أملاحه فى زجاجة مقفلة استحالت بالتدريج إلى مخلوط من الأشعة الراديومية التى شرحناها آنفا ، وعناصر أخرى أقل نشاطا من الأصل تسمى راديوم ا،و، ب، ج وهليوما متكونا من أشعة (ألفا) وأخيرا رصاصا، وتتم عملية التحول هذه بمنتهى البطء بمعدل نصف فى المائة كل عشر سنين ، أو على حسب تقدير (روترفورد) و (سودى) فى ٣٤٠٠ سنة .

وتنبعث من انفصال ذرات الراديوم حرارة تكفى لصهر جرام الجليد فى ثلاثة أرباع ساعة ، أى ١٦٠ ألف سعر فى السنة ، من غير أن يفقد الجرام الواحد من وزنه أكثر من ١ على ٢٥٠٠ .

ولا يقتصر الأمر عند حد تحول الراديوم الى رصاص ،بل هناك المعجزة التى اضطر علماء الكيمياء إزاءها الى تغيير نظرياتهم عن الجوهر الفرد وطبيعة العناصر والطبيعين عن تركيب الذرة وأصل المادة ، وهى تحول كل فرد من أفراد العائلة الراديومية الى العنصر الذى يكون دونه مرتبة حتى ينتهى الأمر بها جميعها الى الرصاص .

فالأورانيوم أب العائلة كلها، يتحول الى أورانيوم س١، س٢، أورانيوم٢ ثم يصير يونيوما فراديوما فيوليونيوما وأخيراً رصاصا ، كل هذا فى مدة ٧٥ مليون سنة .

هنا وجد العلماء أنفسهم أمام مشكلة كبرى،لا يحلها إلا قبول فرض (براوت) القديم بأن الأصل فى المادة واحد وأن عناصر المجموعة الواحدة هى مضاعفات لأصل هذه المجموعة ، وهذا ينفيه أن الأوزان الذرية للمجموعة الراديومية،ليست بمضاعفات، أى لا تكون متوالية هندسية ، أو افتراض أن العناصر ليست فى الواقع جواهر فردية كما كان يظن سابقا ، بل هى مزيج من عدة أجسام بسيطة متشابهة فى خواصها الكيميائية،تشابها كليا يتعذر معه فصلها عن بعضها ، وقد وجد (سودى) بالفعل الكثير من هذه المجموعات فى العناصر الراديومية فسماها (ازوتوبات) ، ومنها الراديوم ذاته وعنصر الميزوتوريوم أحد أحفاد التوريوم ، وهذان لا يمكن فصلهما إذا اختلطا وإن كان مختلفين أصلا ، وقد رأى العلماء عدم صلاحية الطريقة القديمة لتقسيم العناصر الى مجموعات وتحديدها بأوزانها الذرية،فاتخذوا الاحتراق الكهربى والمغناطيسى للأشعة الموجبة (طريقة تومسون) إذ سرعة الذرات التى تسير فى الفراغ وهى مشحونة بكهرباء موجبة، وقد أثبتت مباحث (أستون) بالفعل أن عددا قليلا جدا من العناصر المعروفة لنا (كالايدروجين والأكسجين والكربون) هى عناصر بالفعل ، وإنما هى مكونة من مجموعات من الايزوتوتات .

وما دمنا فى معرض الكلام عن الراديوم فلنذكر شيئا عن الطرق التجارية لتحضيره وطريقة العلاج به .

تحضيره :

يحضر الراديوم الآن من خامات الأورانيوم ، فتضاف إليها أملاح الباريوم التى تتحد مع أملاح الراديوم فتكون كلورور أو برومور الباريوم-راديوم ، وهذه تنفصل بطريقة التبلور الجزئى ، وبتكرار العملية تستخلص أملاح الراديوم النقى ، ويكفى للدلالة على صعوبة هذا العمل،والسر فى غلاء الراديوم أن طن خامات الأورانيوم يحوى عشر جرام أملاح الراديوم ، وثمن المليجرام منها خمسون ريالا ، على أنه لايباع بالوزن ، وإنما بقوة إشعاع كل جزئية منه بالنسبة إلى وحدة الراديوم،وهى كمية معينة من كلورور الراديوم محفوظة فى أنبوبة زجاجية، بمعمل كورى بباريس؛ وكل مافى العالم فى الراديوم لايزيد عن مائة جرام،موزعة على كبرى مستشفيات العالم ومعامله .

العلاج بالراديوم:

يستخدم الراديوم الآن فى معالجة الأمراض الجلدية،والأورام الخبيثة ،والسرطان على الخصوص،لقوته الغريبة فى إتلاف الخلايا المصابة إذا تعرضت له زمنا مخصوصا،من غير أن يلحق بالجلد المجاور لها أى ضرر ، وكذلك الأورام الباطنية من غير إتلاف العضلات، ولا الأنسجة الداخلية،ويكون هذا بتعريض الجزء المصاب لأشعة الراديوم ذاته ، الخارجة من قطعة منه محفوظة فى أنبوبة زجاجية أو من الرصاص ، أو للأشعة المذابة فى سوائل تحفظها كما لو كانت ملحا ماديا، وهذا هو الغالب ؛ على أنه إذا تعرض عضو واحد للراديوم مدة طويلة ، أصيب بالتهابات تقتضى بتره واستئصاله،وقد حصل هذا بالفعل للكثير من الأطباء وعلماء الراديومولوجى.

هذه كلمة صغيرة نعرف منها كم نحن مدينين للراديوم ،فى كشف الكثير من غوامض العلوم الطبيعية ومعالجة الأمراض الخبيثة ، وإلى العلماء الذين يعملون فى صمت وسكون ، ليكشفوا لنا هذا العالم الجديد الغريب غير آبهين لما يقدمونه من تضحيات يدفعون أعضاء أجسامهم ثمنا لها ؟

محمد مظهر سعيد

نظرة فى المذهب الحيوى

بقلم الاستاذ محمد فريد وجدى بك

تركنا القارىء فى العدد الثانى عشر (ابريل ١٩٣٢) من « المعرفة» عند التصريح الخطير لكبار علماء البيولوجيا ، وهو أن الحياة أصل للمادة ، وليست المادة بأصل للحياة ، كما كان ذهب إليه أنصار المذهب المادى ، ولم نستنتج من هذا التصريح بعض مايحتمله ، لأنه يقلب كثيراً من المذاهب الفلسفية المتفرعة من المادية ، رأساً على عقب ، وقد يفضى إلى مأزق لاسبيل للخروج منها إلا بفتح طرق جديدة، ولكنا فى هذا العددلانضن على القارئين بذلك، ما دام لاسبيل لنا غيره فنقول :

إن ذهاب أمثل البيولوجيين إلى أن الحياة أصل للمادة ، وأنها هى التى تكون جثمان الكائن الحى ، من نبات وحيوان، وتبنيه على مقتضى حاجاته المعيشية والنوعية ، يوصل من طريق مستقيم إلى القول بأن هذه الحياة السابقة على وجود كائناتها لابد أن تكون مستمدة من أصل حيوى عام ، مالىء للكون ، يأخذ منه كل كائن حظا بقدر مايفيده فى تكوينه وبقائه .

فهل هذا الأصل الحيوى قديم أم محدث ؟ كيف يكون محدثا وهو أصل المادة التى كان يذهب الماديون إلى أنها قديمة ؟ وإذا كان قديما فهل هو متمتع بعقل وإدراك وتدبير وحكمة ؟

إن المتشبعين بالفلسفة الحسية يصعب عليهم التسليم بهذا كله ، ولذلك لا يخوضون فيه ، ويدعونه بغير تحليل ، لا لشيء — فيما أرى — غير إيصاله من طريق منطقى إلى مقررات لا يودون الوصول اليها ، ولكنهم رغما عن هذا التفادى قد اضطروا لتلطيف مذاهبهم، وتخفيف صبغتها الالحادية ، فذهب (شوبنهور) الفيلسوف الألمانى ، إلى أن الأصل الأصيل فى وجود الكائنات عنصر روحانى ممتع بارادة ، ولكنه غير شاعر بذاته ، فالكائنات كلها مشبعة بهذا الروح العام، ومدفوعة به إلى حفظ وجودها ، وإلى التكمل على مقتضى مايحيط بها من القوى الكونية ، والنواميس العالمية ، وقد تعصب لهذا المذهب رجال يعتبرون من الطراز الاول ، ولكن أقصر الناس نظرا يرى فيه عدوانا على أبسط قوانين المنطق، وذلك أن « الأرادة» تقتضى وجود الأدراك، فان غير الشاعر بذاته ، لايريد شيئاً ، ولا ينزع لايجاد شيء، فالقول بأن أصل الوجود إرادة مؤثرة غير شاعرة بوجودها عبث عقلى محض ، والذى دعا (شوبنهور) وتلاميذه إلى فرض هذا الفرض ، ما فى الوجود من شرور ونقائص ، فقالوا إذا فرضنا أن هذه الأرادة شاعرة بذاتها ، لوجب تحميلها تبعة جميع هذه الشرور والنقائص ، وهو مالا سبيل إلى القول به .

لهذا السبب لم ينتشر هذا المذهب الانتشار الذى يتناسب ودرجة صاحبه من العلم والفلسفة، وإن كان قد اشتهر شهرة عالية بعيدة المدى .

وفى هذا العهد جاء الدكتور (جوستاف جوليه) فذهب فى كتابه « من لا شاعر بذاته إلى شاعر بها» أن مذهب (شوبنهور) هو أقرب المذاهب الى العقل فى قيام الوجود والكائنات ، وأنه لاسبيل إلى افتراض سواه ، وقرر أن فى الكون أصلا روحانيا عاما قائما إلى جانب الأصل المادى فيه ، فكل كائن ينشأ فى الكون تلتحق به قبسة من هذا الأصل العام ، تربيه وتدفع به إلى التقدم ، وتهديه فى مضايق الحياة ومآزقها ، وتعمل على إيتائه بكل مابه حياته وقوامه واستمرار نوعه ، وإيصاله — بمساعدة نواميس الخليقة — إلى الكمال الذى أعد له ، وعنده أن هذا الأصل الروحانى العام مجرد من الشعور بذاته أيضاً ، وحجته فى تجريده هى حجة (شوبنهور) عينها ، فقد ذكر أن الحشرات ممتعة بحيل لاقامة حياتها، من أشد ما يعرف من القسوة والاستهانة بالحقوق ، فان فرضنا لهذا الأصل العام شعوراً لوقعت تبعة هذه القساوات والأحابيل الشيطانية عليه هو ، وهذا ما لا يسلم به العقل ، فلا مخرج من هذا المأزق العقلى ، إلا بفرض تجرد هذا الأصل الروحانى من الشعور بذاته ، وقبوله للشعور بها فى الكائنات الراقية .

قال (جوستاف جوليه) : وقد نال الانسان من هذا الأصل الروحانى أكبر الحصص ، وظهرت فيه بعض ماتركز فى هذه القوة من القابلية لبلوغ أقصى درجات الكمال ، واكتسب بتحيزها فى الانسان وجوداً مستقلا ، حاصلا على شخصية متميزة ، قابلة للخلود فى عالم الروح المحض ، بجانب أمثالها من الشخصيات التى سبقتها فى الوجود وفى بلوغ هذه المرتبة ؛ ولكن الناظر فى هذا الكلام على وجاهته يجد فيه مآخذ فلسفية لاتقف عند حد ، فهل المادة والروح قديمتان ؟ إن قيل نعم سئل ما هذه الثنوية التى لا تقوى على النقد ؟ فان ميل الطبيعيين اليوم متجه نحو وحدة الوجود، لانحو تعدده ، إما أن تكون الروح أصلا للمادة ، وإما أن تكون المادة أصلا للروح ، وإن سلمنا بما يقوله (أجوست جوليه) فعلى أى قانون يكتسب الجزء الروحانى، الذى فى الانسان شخصية موحدة ، ويجد فى حفظ وجودها ، على أن صاحبها إنسان وليس بحيوان ؟ وكيف تعقل ذاتها فيه ؛ ولم تكن كذلك من قبل ؟

الصحيح أن هذه مسائل فى منتهى درجات الخطورة، وهى فى الوقت نفسه من الأعضال ، بحيث يتسرب إلى الناظر فيها اليأس من حلها .

إلا أن كل هذا لايقطعنا عن مواصلة بحثنا الأول ، وهو أن المفكرين من رجال العلم اليوم قد انتقلوا من التعليل المادى البحت إلى تعليل روحانى لم يجدوا مناصاً منه ، وإن كانوا لم يستطيعوا ملء فراغاته الكثيرة الى اليوم .

نعم إنهم لا يقولون بأن الانسان خلق طفرة ، وأن الجزء الروحانى الذى حل به اكتسب هذه الشخصية بمجرد حلولها فى جثمانه ؛ ولكنهم يزعمون — وخاصة الروحيون منهم — أن الانسان آخر حلقة من سلسلة ، أولها متغلغل فى القدم ، وصل إلى حالته الراهنة على طريق التطور والتحول ، كما يفرضه أصحاب نظرية النشوء والارتقاء ، وأن الجزء الروحانى الذى لازمه وهو خلية بسيطة ، ما زال يصحبه فى جميع أدوار تطوره ، فطاف معه جميع حلقات الحيوانية حتى بلغ إلى مرتبة الانسانية ، فاكتسب فى جميع هذه التحولات شخصية موحدة ذات وجود مستقل ، وعقلية ناضجة .

فاذا قلت له : وكيف يكون ذلك وكل حى بعد أن يموت يذهب كل شىء فيه إلى أصله؟ فادته ترجع إلى الأرض ، وروحه تعود إلى عنصرها الروحانى الأول ، فكيف تعقل بعد هذا أن الجزء الروحانى فى الكائن الحى ، يتطور معه وهو غير باق إلا فى نوعه لا فى شخصه ؟ إذا قلت له هذا أجابك بأن كل كائن حى ينهدم فى مادته ، ولا ينهدم فى معناه وروحه ، بل يبقى على ما كان عليه فى عالم الروح حافظاً شكله ، ثم يعود فيلبس جسداً جديداً يتطور فيه ، فاذا عاوده التهدم انفصل الجزء الروحانى منه على صورته فى عالم المادة ، ثم عاد فتقمص جسداً جديداً وهلم جرا ، وهذا مطابق لمذهب (أفلاطون) فى قوله بالمثل العليا ، فانه كان يقول : بأنه ما من كائن على الأرض إلا له فى عالم الروح صورة روحانية ، وقد ثبت هذا المذهب بما ظهر لعلماء الروح اليوم ، من أن لكل كائن حى صورة ثابتة يعبرون عنها بالكليشيه ، لا تنحل بانحلال مادته ، ولا تزال تتردد على هذا العالم مرتقية فى معارج الكمال ، حتى تصل إلى أرقى ما يبلغه الانسان وهو آخر سلسلة الكائنات المادية ، فلا غرو أن يكتسب الجزء الروحانى الذى يلازم الانسان هذه الشخصية فى خلال كل هذه الأدوار ، ولا عجب أن يبقى مع عمار الملأ الأعلى من صفوة الناس فى حياة ليس لها انقطاع ، يعمل مع أمثاله العاملين الروحانيين فى تكوين الوجود والاشراف على عوالمه ؟

محمد فريد وجدى

فلسفة العلوم الرياضية

للاستاذ احمد فؤاد الاهوانى
مدرس الفلسفة بالمدارس الأميرية

يتميز العلم الحديث بالمعنى الذى نفهمه الآن من كلمة علم ، وذلك للتفرقة بينه وبين الفلسفة من ناحية ، والدين من ناحية أخرى ، يتميز العلم بأنه يبحث عن الحقائق العامة ، الضرورية ، الموضوعية ، أى عن الحقائق التى تتمثل للناس جميعا بشكل واحد ، ونمط واحد ، ولا سبيل للجدل فيها ، والاختلاف بشأنها ، لا فى المكان ولا فى الزمان.

وليس مجال بحثنا أن نتكلم عن مميزات العلوم فهى معروفة ، وقد تكلم عنها الكثيرون فى مصر أخيرا ، وملأت أمكنة كثيرة فى الصحف والمجلات ، ولكننا سنتناول الكلام عن جزء من أجزاء العلوم ، ذلك الجزء هو العلوم الرياضية ، لأن الرياضة هى أولى العلوم التى وصل الانسان إلى معرفتها ، وضبطها ، وتقييد قوانينها ، وبعدها عن الاختلاف والجدل ، ولأنها تمثل العلوم أفضل تمثيل ، فضلا عن بساطتها بالنسبة لباقى العلوم ، بل أكثر من هذا فانها تمتاز عنها بالدقة والتحقيق .

وللكلام عن فلسفة العلوم الرياضية يجب أن نرجع قليلا إلى صفحات التاريخ نتأمل فيها نشأة هذا العلم وتطوره ، وكيف تدرج من جيل إلى جيل ، وانتقل من شعب إلى شعب ، حتى وصل إلى الدرجة التى نراه بها الآن ؟ ونحن مضطرون إلى هذا ، لأن الدراسات التاريخية هى أفضل دراسة تنير لنا سبيل الاحاطة بدقائق العلم الذى نبحثه ونواحيه الخفية ، ثم إن مثل هذه الدراسة هى السبيل الوحيد ، فى كثير من الأحيان ، لتفسير بعض الحقائق التى لا سبيل إلى تفسيرها إلا بالنظر فى التاريخ .

وسنبدأ الكلام أول كل شىء عن تاريخ الرياضة عند قدماء المصريين لسببين : الأول لأنهم كانوا غزاة هذا العلم ، وأول من وضع لبناته الوطيدة الأساس ، ولأنهم الفراعنة أجدادنا وأسلافنا ، إن لم يكن عن وراثة حقة ، فهم أجداد الأرض التى نعيش فوقها ، ورثنا عنهم المجد والفخر ، نرفع بهما رءوسنا عالية بين الأمم؛ وسنتكلم عن تاريخ الرياضة عند قدماء المصريين لسبب آخر هو أنها تثبت لنا جليا المجهود الفكرى الانسانى ، الذى يبحث وراء معرفة الحقيقة الواحدة الدائمة العامة .

كانت أولى النظرات العلمية إذن: هى النظرة الرياضة ، والرياضة كما نعلم تبحث فى شيئين اثنين : ميدان الرياضة هو العدد والشكل ، وهما يكونان الامتداد . والأعداد والأشكال

مرجعها إلى علمين أساسين فى الرياضة، هما الحساب والهندسة ، فالحساب هو دراسة الكم لمنفصل ، أى الكم المنفصلة عناصره ، كل كمية وحدة بنفسها ، أما الهندسة فهى دراسة الكم المتصل.

أى هذين العلمين بدأ الانسان به فى معرفته؟ سؤال تعسر الاجابة عليه، ولكننا نستطيع أن نقول إن الرياضة ظهرت فى عالم المعرفة نتيجة العلمين معا ، فان الوثائق الأولى التاريخية الموجودة تحت يدنا،تدلنا على وجود النظر الحسابى كما تدلنا على وجود النظر الهندسى ، وهذه الوثائق مستمد أغلبها من ثلاثة شعوب : قدماء المصريين والأشوريين والكلدانيين، على أننا نستطيع اعتبار الأشوريين والكلدانيين شعباواحدا، نظرا لتقاربهما فى الحضارةوالعلم والمعرفة. وأقدم الوثائق الموجودة عندنا هى من الكلدانيين ،وترجع إلى عام ٣٢٠٠ قبل الميلاد ،أما وثائق قدماء المصريين فهى أحدث من تلك ، فتاريخها يرجع إلى عام ١٨٠٠ قبل الميلاد ، ولا نزاع عندنافى أن قدماءالمصريين دونوا كثيرا من العلوم قبل هذا التاريخ بكثير ، ولكنها ضاعت وانمحى أثرها. كيف إذن بقيت آثار الكلدانيين واختفت آثار المصريين؟تعليل هذا بسيط إذ أن الحجارة أقوى على مقارعة صروف الأجواء من أوراق البردى ، وكان الأشوريون يسجلون آثارهم على صفحات الحجارة والصلد ينقشون عليها كل شىء ، والعجيب فى الأمر أن آثار البلدين فى الرياضة مختلفة ، بالرغم من الصلات الوثيقة — من تجارةوحرب — التى ينص عليها التاريخ ، فلكل منهما طريقة فى وضع المسائل وبدئها وحلها ، ولكل منهما طريقة خاصة فى كتابة الأعداد ، فطريقة المصريين فى العدد عشرية أى عشرة ، بينما الكلدانيين ستينية ، أى يعدون ستين ستين ، وقد بقيت الطريقتان ، وانتقلتا إلينا من جيل إلى جيل ، وتجدنا الآن نستعمل كلتيهما ، فنحن نستعين بالحساب الاثنى عشرى فى حساب الدائرة والزمان، ونستعمل الحساب العشرى فى جميع الأشياء الأخرى . هذا وهناك محاولات عديدة لاستنباط الطريقة العشرية فى كل نواحى الحساب،حتى نصل إلى الوحدة المطلقة، لتلافى هذا الاختلاف لأن الطريقة الأخيرة أسهل فى العد ، وقد وقعت مثل هذه المحاولات بالفعل، إذ اخترع فرنسى ساعة عدد يومها عشرون ساعة بدل أربع وعشرين ، ولكن لم يلق أحد إليها بالا ، ومع ذلك فالطريقة العشرية مستعملة بالفعل بين العلماء،إذ يقسمون الدائرة إلى ١٠٠ درجة بدل ٣٦٠.

ووجه الخلاف بين الرياضة عند الكلدانيين والمصريين تقع فى هذا الأمر ، وله أهميته الكبيرة ، إذ احتفظ المصريون فى أوراقهم البردية بطرق الحل للمسائل الموضوعة ، بينما حجارة الكلدانيين لاتجد عليها إلا نتائج الحل وبعض الجداول ، أما كيف توصلوا إلى هذه الحلول فاننا لانعلم عنها شيئا ، بينما رياضة المصريين منصوص فيها عن المنهج نفسه .

وقد استعمل القدماء الهندسة لتقسيم الأرض والحقول إلى مربعات ومثلثات ومستطيلات

وقد توصلوا إلى معرفة حساب مساحة المستطيل والمثلث ، وقد وصل إلينا عن مصر أربع وثائق مسجلة على صفحات البردى، أهمها هى بردية رند Rhind نسبة إلى اسم مكتشفها ، ومنها مؤلف حق عن مبادىء الحساب والهندسة ؛ فانك تجد القواعد الأربعة فى الحساب ،والقواعد الأربعة فى الكسور ، ولكن الهندسة فيها أقل من الحساب، وهى هندسة عملية أكثر منها نظرية ، فقد عرفوا مساحة المثلث ، ومساحة الأحجام والاهرام، ثم بجانب ذلك نجد كثيرا من المسائل: منها مسألة الدجاج، ومسألة توزيع الأغنام والخبز على العمال والصناع، على حسب عملهم ، وبردية رند هذه نقلت حوالى عام١٥٠٠ قبل الميلاد عن ورقة بردى أخرى كتبت عام ١٨٠٠ قبل الميلاد .

والواقع أن المعلومات فى الحساب متقدمة عند القدماء ، خصوصا عند قدماء المصريين ، عنها فى الهندسة ، ولكن الفراعنة كانت شهرتهم أبعد ذيوعا فى الهندسة ، ولعل السبب فى هذا يرجع إلى قصور المستندات التى نرجع إليها ، والتى وصلت إلينا عن طريق أوراق البردى فى البيان عن هذا الموضوع .

ولنضرب للقارىء مثلا حسيا ينير له طريقة القدماء فى معالجة المسائل الرياضيه ، فقد كانوا يكتبون أولا رأس المسألة ، ثم النتيجة،ثم البرهان على المسألة الذى يؤكد النتيجة السالفة ، وقد كان لقدماء المصريين طرقا عامة وقواعد يستعملونها ويطبقونها فى أمورهم الدينية والدنيوية، وطريقتهم فى الحساب مشهورة ، وقد ذكرها أفلاطون ، واصطنعها الأغريق؛وكانوا يسمونها الطريقة المصرية ، ولنذكر طريقة الضرب ، وهى المعروفة بالتضعيف .

لنفرض أنك تريد أن تضرب ٢٥ فى ٩ فهاك طريقتهم :

٢٥	١	
٥٠	٢	مع شطب هذا السطر
١٠٠	٤	» » »
٢٠٠	٨	
٢٢٥	٩	

كذلك حساب الكسور،وقد انتقل إلى الاغريق أيضا فقد كان معروفا لديهم ، فمثلا أربعة أخماس — بالنسبة للجاهل والعامة غير — قابلة للتجزئة ، ولكنهم توصلوا إلى اختصارها ، فان أربعة أخماس يساوى خمسين وخمسين زائد خمسين .

الهندسة عندقدماء المصريين كانت كما قدمنا هندسة عملية ؛ كانوا مضطرين إلى اختراعها لاستعمالها فى تقسيم الأرض والحقل، وفى تخطيط القبور والاهرامات والقصور الملكية ، وقد توصلوا فى الهندسة إلى حساب المسطحات ولكن، بطريقة عملية ، فمساحة المثلث تساوى حاصل ضرب القاعدة فى نصف الارتفاع ، وطريقتهم— وإن لم تكن مضبوطة كل الضبط — فهى قريبة من الحقيقة ، ولا تفرق عن النتيجة الصحيحة إلا قليلا ، فهى طريقة عملية تجريبية



أكثر منها طريقة عملية صحيحة ؛ كذلك مساحة الدائرة فهى تساوى مربع ثمانية اتساع القطر، وهى أيضا تنتج نتيجة قريبة من الحقيقة.

وما يهمنا فى هذه الرياضة المصرية فى أنها تعطينا معلومات وضعية ، لا أثر للخيال أو السحر فيها ، فهى رياضة مملوءة كلها فى جميع نواحيها بالواقع المحسوس ، وفضلا عن ذلك فإن طرق الحساب موضوعة على منهج علمى صحيح ، نقول هذا لأن العلوم الطبيعية والفلكية والكيمائية وغيرها ، كانت جميعا ـ إلى وقت قريب ـ ؛يوكل إليها القوى السحرية والطلاسم ، أما الرياضة ـ وهى مايخيل لنا الآن أنها أبعد العلوم عن السحر والأوهام ـ فكانت عند بعض الأمم بهذا الشكل ، ذلك أن الانسان أول ما فكر ، كانت تسيطر على ذهنه القوى الخفية ولا يستطيع أن يكتشف الظواهر الطبيعية بعللها وقوانينها المعروفة الوضعية ، حتى الرياضة، فقد كان فى الشرق ،وخصوصا الصين والهند ، مثلثات ودوائر سحرية ، لها قوى تفيد فى الرقى والتمائم والتعاويذ ، أما اكتشاف مساحتها ونسبها بعضها لبعض فلا ، ولكننا نجد ذلك عند المصريين .

وهذا هو السبب الذى دعانا إلى القول بأنهم أول من تكلم عن الرياضة بصفة وضعية علمية ، فقد كانت رياضتهم خالية خلوا تاما من النظرة السحرية التى طغت على عقل الانسان الأول.
فى هذا الوقت الذى تكلم المصريون والكلدانيون فيه عن الرياضة بهذه الصفة العلمية، كانت الرياضة عند الأغريق لما تزال مليئة بالأفكار السحرية عن الأعداد. إذن : ماالذى حدا بالعلوم الرياضية أن ترتفع إلى درجة العلوم الصحيحة قبل غيرها ؟ لقد ظلت العلوم الأخرى خرافية حتى القرن السادس عشر والسابع عشر ، أى بعد عصر النهضة ، ولم يصبح الطب علما بالمعنى الصحيح إلا فى القرن الثامن عشر ؛ وإذا كان صحيحا أننا نجد فى أوراق البردى المصرى ملاحظات دقيقة عن بعض العمليات الجراحية ، ومنها عملية جراحية فى العين ، مسجل فيها العصبان اللذان يسيطران على عضل العين ، ولكن فى نهاية هذا الكلام الصحيح يبدأ السحر والخرافة ، فيستمر العلم وينتقل إلى الخرافة.

هذا ولو أن الآثار التى وصلت إلينا من الندرة بحيث لاتدلنا الدليل الأوفى عن الحالة الفكرية والعلمية التى وصل اليها القدماء ، والتى تنبئنا عن نشأة العلوم وتطورها ، وتنبئنا عن مكان الرياضة بين غيرها من العلوم ، إلا أننا نستطيع أن نجزم بأن الرياضة كانت أولى العلوم التى وصل الانسان إلى تسجيلها ، والنظر إليها نظرة علمية وضعية بعيدة عن السحر والخرافة ؛ ولذلك أسباب نعود إلى تفصيلها فيما بعد ؟



أحمد فؤاد الأهوانى



الفنار وحارس الفنار ودلفين

لسعادة أمير الشعراء أحمد شوقى بك

الفنار

سما يناغى الشهبا هل مسها فالتهبا ؟
كالديدبان ألزمو ه فى البحار مرقبا
شيع منه مركبا وقام يلقى مركبا
بشر بالدار وبالـ أهل السراة الغيبا
وخط بالنور على لوح الظلام مرحبا
كالبارق الملح لم يول إلا عقبا
يارب ليل لم نذق فيه الرقاد طربا
بتنا نراعيه كما يرعى السراة الكوكبا
سعادة يعرفها فى الناس من كان أبا
مشى على الماء وجا ب كالمسيح العببا
وقام فى موضعه مستشرفا منقبا
يرمى إلى الظلام طر فا حائرا مذبذبا
كنمر أدار عيـ نا فى الدجى وقلبا
كبصر الأعشى أصا ب فى الظلام ونبا
وكالسراج فى يد الريـ ح أضاء وخبا
كلمحة من . خاطر ما جاء حتى ذهبا
مجتنب العالم فى عزلته مجتنبا
إلا شراعا ضل أو فلكا يقاسى العطبا

حارس الفنار ودلفين

وكان حارس الفنا ر رجلا مهذبا
يهوى الحياة ويحـ ب العيش سهلا طيبا
أتت عليه سنوا ت مبعدا مغربا
لم ير فيها زوجه ولا ابنه المحببا



فحين عيل صبره على القضاء عتبا
وقال رب كم أعيش عانيا معذبا
ولا أرى أهلي ولا أرى صحابى الغيبا
ولا أرى فوق ولا تحتى إلا غيهبا
والناس فوق الأرض فى ظل القصور والربى
وكان « دلفين » من الحارس ثم اقتربا
أتى من الشط فدب فى الصخور وحبا
وكان قد راع الخطيب ووعى ما خطبا
فقال يا حارس! خل السخط والتعتبا
من يسعف الناس إذا نودى كل فأبى
وضاق بالاسعاف من كان لذاك انتدبا
ما الناس إخوتى ولا آدم كان لى أبا
انظر إلى كيف أقضى لهم ما وجبا
قد عشت فى خدمتهم ولا ترانى تعبا
كم من غريق قمت عند رأسه مطببا
وكان جسما هامدا حركته فاضطربا
وكنت وطأت له مناكبى فركبا
حتى أتى الشط فبش من به ورحبا
وطاردونى فانقلبت خاسرا مخيبا
ما نلت منهم فضة ولا منحت ذهبا
وما الجزاء ؟ لا تسل كان الجزاء عجبا
ألقوا على شبكا وقطعونى إربا
واتخذ الصناع من شحمى زيتا طيبا
ولم يزل إسعافهم لى فى الحياة مذهبا
ولم يزل سجيتى وعملى المحببا
إذا سمعت صرخة طرت اليها طربا
لا أجد المسعف إلا ملكا مقربا
والمسعفون فى غد يؤلفون موكبا
يقول « رضوان » لهم هيا ادخلوها مرحبا
مذنبكم قد غفر اللـه له ما أذنبا

(شوقى)

معركة الدردنيل

لشاعر الاسلام محمد بك عاكف
أستاذ الأدب التركى بالجامعة المصرية

هذه قصيدة رائعة نظمها شاعر الترك الكبير محمد بك عاكف أستاذ الأدب التركى بالجامعة المصرية ، آثرت أن أنشرها مترجمة كى يطلع عليها قراء «المعرفة» ،وهى آية من آيات البيان فى الأدب التركى، تناول فيها عاكف بك وصف أهوال الحرب التى كان يراد بها ضرب الذلة والمسكنة على الأتراك ، حتى يستطيع الحلفاء الوصول إلى الروسيا ، وقد وجهت قوات عظيمة من الأسطول البريطانى لاختراق البوغازين فى فبراير سنة ١٩١٥ ، ولكنها فشلت ولذا عززت القوات البحرية بقوات برية أنزلت فى غاليبولى لتتعاون القوتان على إخضاع الأتراك ، وفتح طريق الروسيا ؛ ولكن هذه الحملة الجديدة التى كانت تتكون فى الغالب من جنود أسترالية ونيوزلندية، لاقت صلابة وشدة من الأتراك أذهلت الحلفاء ، وهذه الموقعة صفحة مجيدة من صفحات التاريخ التركى ، تمثل لنا الأتراك وقد استماتوا فى الدفاع عن وطنهم ، وردوا الحلفاء خاسرين .

ولنا وقفة أخرى عن حياة الشاعر الأدبيـة وشاعريته ، وما له من المكانة عنـد الشعب التركى .

***

ما حرب الدردنيل هذه ؟ ؟ وهل لها نظير فى العالم ؟

أربعة أو خمسة من جيوش الدنيا الجرارة تهجم هجوما عنيفا على قطعة صغيرة من البر ، محاطة بكثير من الأساطيل ، كى يتمكنوا من فتح الطريق إلى مرمرة .

أى حشد مخز هذا الذى قد سد الآفاق ؟ ؟

أينما وجدوا من أسراب الضبع المفترسة العديمة الشعور ، التى تدعو الانسان ، بما أرته من توحش ، لأن يجزم بأنها أوربية جاءوا بها من غياهب السجون أو الأقفاص ! !

الدنيا القديمة والدنيا الجديدة وكل أقوام البشر ، يموج (١) بعضها فى بعض ، فوجا فوجا كالرمال تذرها الرياح أو الطوفان .

أقاليم الدنيا السبعة تقف أمامك، فحينما تنظر يقع بصرك على كندا جانب أستراليا : الوجوه مختلفة اللغات ، والجلود ألوان ، وليس بينهم وصف جامع سوى تساويهم فى الوحشية ! !

منهم نيام نيام ! ! ومنهم هندوس ! ! ومنهم لا أدرى أية مصيبة ! !

إن هذا الاستيلاء ذل وصغار ، لا يصدران حتى من الطاعون !! هل ترى القرن العشرين هذا ! ! ذلك المخلوق النجيب قد وقف أمام « محمد جك » (٢) شهورا متوالية ، فقاء كل من كان يعنى بهم من الأوغاد ، وصب ما فى بطنه من الأسرار بغير خجل ولا حياء ! !

إن ذلك الوجه كان لا يزال فتنة لنا ، فعند ما مزق نقابه ، إذا المومس التى نطلق عليها « مدنية » كانت خليعة جداً !! وناهيك بوسائل التخريب فى يدهذه الملعونة ، فانها أصبحت مدهشة جداً ، تكفى واحدة منها لتدمير مملكة .

* * *

من هناك تمزق الصواعق (٣) الآفاق ، ومن هنا تبعثر الزلازل (٤) خبايا الأرض ، إن بروق القنابل تنزل من أعلى المتاريس ، فتخمد — على صدور ذلك النفر الباسل آلافا من الألغام تحت الأرض ، كالجحيم وما يحرقه كل لغم مشتعل — مئات من الناس ، فالسماء تمطر الموت والأرض تغور بالموتى ! !

ما أدهش تلك العاصفة التى لا تنسف إلا أنقاض البشر !! فالرءوس والعيون والجذوع والسيقان والأذرع والأصابع والأيدى والأرجل ، تنهمر على التلال والوديان دفعة دفعة ! !

تلك الأيدى الأثيمة (٥) تنثر ، وهى مغطاة بالدروع ، طوفانا من الصواعق وسيولا من النيران !! وأسراب الطيارات ، التى لا تحصى تقف وترسل نيرانها على صدور عارية ! !

المدافع أكثر من البنادق ، فالذخائر النازلة قذائف ؛ فانظر إلى هذا الجيش الباسل فانه يسخر من هذا التهديد ، وهو لا يطلب مناعة من الفولاذ ، ولا يستكين أمام عدوه ، فهل الايمان المضاعف فى قلبه من الحصون التى يمكن فتحها ؟ ؟ هيهات لأية قوة أن تذلله لسلطانها ؛ لأن هذا الاستحكام المتين تأسيس إلهى ! !

* * *

قد تحاصر القلاع الحصينة فتسقط ، لأن صنع البشر لا يقوى على وقف عزم البشر ، أما هذه الصدور فهى حدود الله الأبدية ، التى يقول فيها : إنها صنعى البديع ، فلا تدعها توطأ !! فلله در هذا النشء البار ، الذى لم يترك شرفه يوطأ ولن يتركه أبداً ، وها هى الجبال والصخور كلها

---

(١) فى الاصل التركي : تغلى كغليان الرمال (٢) محمد جك : الجندي التركي (٣) المراد بالصواعق هنا الطيارات (٤) الالغام (٥) المدرعات

مغطاة بجذوع الشهداء ، وتلك الرءوس التي لم تكن لتنحني في الدنيا لولا الركوع قد تمددت على الأرض مجروحة جباهها الطاهرة ، فكم من شموس تغرب في سبيل هلال واحد [١] ! !

* * *

أيها الجندي الذي وقع في التراب ، لأجل هذا التراب ! ! إنك لجدير بأن ينزل أجدادك من السماء ويقبلوا جبينك الطاهر ! !

ما أعظمك فأن دماءك تنقذ التوحيد ، وليس يدانيك في جلالة القدر إلا أسود بدر [٢] ! !

* * *

من الذي يستطيع أن يحفر قبراً لا يضيق عنك ؟ ؟ فان قلت هلم ندفنك في التاريخ فهو لا يسعك ، بل لا يستوعب صدره الأدوار التي قلبتها ، وإنما تستوعبك الأبدية ! !

* * *

إن نصبت الكعبة على رأسك قائلا: إن هذه حجارتك، وإن شعرت بوحي روحي ونقلته على تلك الحجارة ، وإن أخذت القبة الزرقاء باسم الرداء ، وفرشتها بكل أجرامها على لحدك الدامي ، وإن عرشت السحب الدكناء على تربتك المفتوحة ، وأدليت منها الثريا ذات القناديل السبعة ، وإن أتيت بالبدر ليلا إلى جانبك ، بينما أنت متمدد مرتد دماءك تحت هذا النجف ، وجعلته يحرسك حتى الفجر ، كسادن لقبرك ، وإن أفعمت نجفك نهاراً بضوء الفجر ، وإن عصبت جرحك بالمغرب المهلهل مساء . . . فلا أستطيع أن أقول قد فعلت شيئا لذكراك ! ! !

* * *

فأنت وقد كسرت صولة أهل الصليب الأخير ، فجعلت صلاح الدين — وهو أحب سلاطين الشرق — حائراً مبهوتاً أمام جلالك، كما أذهلت ذلك السلطان العظيم، (قلج أرسلان) !! وأنت وكان الخسران محيطا بالاسلام ، وآخذاً بخناقه، فكسرت ذلك الطوق الحديدي على صدرك ومزقته!! وأنت واسمك يسير في الأجرام مع روحك ، وأنت ولو دفنت في الأعصار لتفيض عنها ، فان هذه الآفاق لا توافقك ولا تسعك هذه الجهات ! !

أيها الشهيد ابن الشهيد ! لا تسألني مقبراً ، فها هو النبي ينتظرك فاتحاً ذراعيه ! !

عبد الحميد الدواخلي
ليسانسيه في اللغة العربية واللغات الشرقية

---

(١) المراد به العلم التركي (٢) الغزوة النبوية الشهيرة

شـــــلر

SCHILLÈR

دراسة تحليلية لطفولته وحياته وشعره

بقلم الدكتور على مظهر

ليس من شك مطلقا ، فى أن شخصية شلر من أبرز الشخصيات الألمانية، التى تركت أكبر الاثر فى نفوس شعراء المانيا وأدبائها وشبابها على الاطلاق، بل لا نظننا مبالغين فى القول، حين نزعم ان شلر أثر فى الادب العالمى كله.

واذا كانت مثل هذه الشخصية الفذة جديرة بالدراسة والتحليل ، فان الاستاذ الكاتب الذى تعرض لتلك الدراسة قد وفاها حقها ، لانه أحد أولئك القلائل ، الذين درسوا الادب الالمانى خير دراسة ، وأتقنوا لغة الالمان أتم اتقان .

ذلك هو الاستاذ الدكتور على مظهر ، أول مصرى حصل على دكتوراه فى الآداب من جامعة فينا .

المحرر

ولد (يوهان كريستوف فردريش شلر) يوم ١٠ نوفمبر سنة ١٧٥٩ بمدينة مرباخ الصغيرة (بفورتمبرج) . وكان والده جراحا، وعند ما ابتدأت حرب السبع سنوات تطوع كجندى فى جيش فورتمبرج وأصبح ملازما . ثم صار يرقى حتى أصبح «بكباشيا» ، ثم مديراً لحدائق ومغروسات قصر « الوحدة والانفراد Solitude» . أما أمه اليزابت فكانت ابنة صاحب خان فى مارباخ ، وكانت مثال المرأة التقية البارة، ذات ميل طبيعى للشعر، وقد ورث عنها ابنها كثيراً من مميزاتها وصفاتها . ولما كان مركز والده كثير التبدل، وكانت أسرته كثيرة النقلة والترحال، فقد تعلم الصبى فى عدة أماكن مختلفة ، ولما كان أبوه فى (لورش) الواقعة على الرمس — أحد الأماكن على الحدود— كضابط للتجنيد هناك، فقد تعلم الصبى شيئا على الواعظ موزر، وقد ذكره شلر بعدئذ فى «اللصوص»، ثم تعلم فى المدرسة اللاطينية بلودفجزبورج، وكانت رغبته إذ ذاك منصرفة الى دراسة اللاهوت ، فقدكان وهو فى منزل أبيه يطالع باشتياق وشغف التوراة، لاسيما المزامير وأنبياء العهد القديم ولوثر وپاول جرهارت وأغانى جلرت ، ثم ما لبث أن سلك طريقاً جديداً فى دراسته ، ويرجع السبب فى ذلك إلى الهرتزوج كارل أويجين (ولد سنة ١٧٢٨ وتوفى سنة ١٧٩٣) ، وكان هـذا أميراً جم المواهب كبير العقل ، وكان انغمس فى الملذات الحارة انغماسا بلا حذر أيام شـبابه ، وأنشأ معهداً للعلوم العسكرية فى قصر أنه

وسروره « الوحدة والانفراد » ، وقبل شلر الصغير فى ذلك المعهد بناء على رغبة الهرتزوج نفسه الذى فتح تلك المدرسة وجعلها خاصة بأبناء ضباطه ، ومنذ ذلك الحين ترك دراسة اللاهوت، وقضى فى تلك المدرسة من سنة ١٧٧٣ إلى سنة ١٧٨٠ ، ولم يكن اللاهوت فى جملة برامج تلك المدرسة ، وهو أمر أحزنه وأحزن والده أيضاً ، ولما نقلت تلك المدرسة إلى اشتتجارت ، وأطلق عليها اسم معهد فى سنة ١٧٧٥، رأى أن يدرس الحقوق والقوانين ، ولكن لما أصبح الطب يدرس فيها رأى أن يختاره .

ولقد كانت التربيـة والتأديب هناك عسكرية ، وكان الاختـلاط بالعالم الخارجى محظوراً عليهم ما أمكن ، وكان التضييق عليهم شديداً ، ومع ذلك أمكن الطلبة فيه مطالعة (روسو وأوسيان) وقصة المسيح لكلويشتوك وجنر وفرتر من تأليف (جوته وأوجولينا جرستنبرج) وكتب أخرى عدة ، وكانت تطالع تلك المؤلفات بشوق وشغف ؛ وقد أخذت قصـة المسيح لكلويشتوك بلب شلر وأثرت فيه تأثيراً كبيراً ، وبدا له أن يكتب قصيدة حماسية وأن يجعل بطلها موسى ، أما المؤلفون الآخرون فقـد وجهوا عنايتـه إلى المآسى ، لا سيما ما رآه فى شكسبير الذى قرأ تراجم لمؤلفاته بواسطة فيلاند، وقد استرعى ذلك كله مابنفسه من استعداد لذلك النوع من القريض ، وتزاحمت فى رأسه مواضيع عدة لفواجع كبرى ، وبدأ يكتب اثنتين ، منها : طالب (روساو) و (كوز موس فون مديتشى) مقلدا فى ذلك (يوليوس فون تارنت) ، وما لبث أن قضى على هاتين ولم يبق عليهما من أثر ، وأخرج « اللصوص » مكانهما للناس، وهى خير ما كتبه فى صباه ، وكان بدأ فى نظمها لما كان عمره ثمانية عشر عاماً، وهو فى معهد كارل ، والناس لاتعلم مايفعل ، ولكنه أظهرها سنة ١٧٨١ لما ترك المعهد ، وأصبح جراح الفيلق بشتتجارت ، وفى السنة الثالثة جعل القصة فاجعة تمثيلية للمسرح .

اللصوص : من آثار عصر الاندفاع والعواصف ، فأنت ترى فيها اندفاع الشاعر الشديد لطلب الحرية ، وتغيظه من قيود الظلم والعسف ، التى تعجز حمية الروح الحرة ، كما أن الغضب المتزايد إلى حد الغيظ يجعل الانسان غير راض على النظام الموجود فى هـذا العالم ، وملخص القصة أن كان للحاكم (جراف ماكسيمليان فون مور) ولدان أسماهما كارل وفرانز، كان يذهب أولهما إلى الجامعة ، أما الثانى فكان نزيل القصر يعيش فيه، وكان كارل ذا طبيعة وثابة متوقدة، إلا أنه لما كان فى جامعة ليبتزج اندفع وراء بعض ضروب الحيل الجنونية، وهو فى زهو الشباب ونزقه، ولما تولته الندامة سأل والده الصفح، ورغب فى العودة إلى القصر ليعيش إلى جانب محبوبته الغالية (أماليا) عيشة الحياة والرفاء ، وكان والده الطيب القلب يميل إلى العفو عن ولده هذا الخائف التائب ؛ ولكن ولده الثانى كان يعرف كيف يحول دون ذلك ، وكثيرا ماكان يحسد أخاه كارل المدلل ، وكان ساخطا على حياته ، غير قانع بما قسمه الله له ، إذ خلقه

كثيرا وجعل أخاه يبذه ويتقدمه ، إلا أنه رأى فيما حدث أحسن فرصة للانتقام لنفسه من أخيه والقضاء عليه ليصبح هو سيد المنزل ورب الدار ، وذلك بالكذب على أبيه وأخيه ، وقد نجحت أعماله الشيطانية وحيله الأبليسية ، واعتقد الوالد العجوز الخارف ، أن ابنه مطلوب يتعقبه الجند والشرطة : نظرا لجرائمه السافلة ، واعتقد كارل أن أباه يلعنه ، وأنه قد أخطأ فى أمله فى طلب الصفح عنه ، وملىء قلبه غيظا وحنقا وكراهية للبشر بأجمعه ، ونزعت من قلبه كل أنواع المحبة فوضع نفسه على رأس شرذمة من اللصوص وقطاع الطرق ليصلح الدنيا بواسطتهم ، وظن أنه يمكنه كزعيم لقطاع الطرق أن يطهر هذا العالم الفاسد بواسطة السيف والنار ، ويقطع بسيفه الدامى الدموى : المظلوم والظالم ، والبرىء والطاهر ، أما والده التعيس فأنه أطلق سراح أخيه فرانز وكان قد أودعه فى برج مهجور ، وتركه يشكو الجوع فريسة للموت والمسغبة ، ومات الأب بعدئذ ، وعلم ابنه ذاك أنه ليس بالرجل الذى يجب عليه حمل سيف العدالة العليا للانتقام ، وأنه إنما أضاف إلى ظلمه ظلما ، وقتل (أماليا) صديقته التى لبثت على وفائها له رغم كل ما أتاه معها أخوه (فرانز) من ضروب الحيل الشيطانية ، ثم أسلم نفسه لقصاص العدالة .

وترى أن (كارل) نبيل الطباع ، ولكن شرور الناس هى التى دفعته إلى الأجرام والسرقة فكان من الخطئين ، وقد رأى أن خير علاج لما بالعالم من شرور ، أن يأتى بما يخالف القوانين ، فكأنما كان من أنصار المبدأ القائل « وداونى بالتى كانت هى الداء » .

أما اخوه فرانز فهو شرير بطبيعته ويعلم ذلك ، وأراد أن يكون كذلك منافقا خبيثا كل الخبث ، لا يعرف أى حب ، وليس له نصيب من التقوى والصلاح ، ولذا كان عقابه والانتقام منه قريبا ، ولما واجه الموت صحا ضميره من غفوته وسباته الطويل ، ولم يتوله الندم ، ولكن تملكه فقدان الأمل فقضى على أنفاسه بنفسه برباط قبعته الذهبى ، وترى فى ختام الرواية فوز القانون الخلقى فى هذه الدنيا وفى أنظمتها .

والقصة ملأى بالحوادث الحية الفعالة ، محشوة بكثير من الاحساسات الصحيحة . ولكن كانت تنقصها أشياء عرفها شلر فيما بعد ، وأشار إليها فى نقده مأساة قطاع الطرق ، ورغم ذلك فانها حين مثلت بمانهايم سنة ١٧٨٢ لأول مرة ، وحضرها كثير من العظماء ، حازت إقبالا كبيراً ، واسترعت كثيراً من الأنظار إليها ، أما الهر تزوج كارل أويجين فكان أقل الناس اغتباطا ، فشدد على الشاعر وحرم عليه ألا يطبع إلا ما كان خاصا بالطب ، ولما أراد شلر أن يسافر إلى مانهايم بدون إذن له بذلك ليحضر تمثيل « قطاع الطرق » أمر الهرتزوج بالقبض عليه ، لأنه كان قد أصدر ذلك التحريم المشار إليه ، وحرم عليه كتابة أى شىء من الشعر ، وكان قد بدأ بكتابة شىء جديد ، فرأى أن يضحى بوظيفته كجراح للفيلق ، ولأجل الشعر القريض يضحى بالمركز والأسرة والوطن ، وترك الخدمة سنة ١٧٨٢ ، وفر هو وصديقه

الموسيقار (اندرياس شترايشار) إلى مانهايم، وعلق على (الغرايهر فون دولبرج) آماله، إذ كانت علائقه جيدة مع بلاط فورتمبرج ، لكى يصلح ما بينه وبين الهرتزوج من شقاق ، كما طمح فى معونة مالية ، ولكنه لم يفز من ذلك بطائل لغضب الهرتزوج عليه ، فدعته سيدة إلى ضيعة لها ، وأحسنت مثواه وعاش عيشة الوحدة بعيداً عن العالم ، وتعرف بأمين خزانة كتبه هناك ، فصاهر الشاعر بعدئذ وبنى بأخته .

وفى تلك المدة : أتم شلر مأساته الثانية " Die Verschwörung des Fiesko zu Genua „

مؤامرة فيسكو الجنوى

وهى فاجعة جمهورية ظهرت سنة ١٧٨٣ ، وهى من آثار ذلك العهد ، عهد الاندفاع والعواصف المعروف فى الأدب الألمانى ، وبينا تلحظ فى « قطاع الطرق » ما يملأ مناظرها وفصولها من شائنات وعنف، تلحظ فى الثانية أن (فيسكو) يرغب فى هدم نظم الحكومة البالية من طريق الحب والخديعة والعظة، وحوادث الفاجعة كانت فى جمهورية جنوا لما كانت فى عنفوان قوتها، أيام (اندرياس دوريا) العجوز، الذى أحسن الأدارة فيها، وجعل لها عصرا زاهرا أيام حكومته، ولكن مالبثت أن حفت بها الأخطار أيام ابن أخيه العيهور البذىء الوقح (جيانا تينو) وكادت تفقد حريتها القديمة الموروثة، ويختل دستور جمهوريتها . ثم اختمرت الأفكار فى رؤوس الوطنيين فيها للتفكير فى حالها بعد مازاد تدبرهم ، وأراد (فيسكو جراف فون لافانيا) أن يستفيد من تلك الحالة ومن عدم الرضا ، وأن يقود المؤامرة بنفسه لقلب نظام حكومة (دوريا) لتحرير جنوا ، وما لبث بعد ما حازه من سلطان وبأس أن حدثته نفسه بالطمع وحب الرياسة ، فسعى لأن ينادى بنفسه أميراً على تلك الجهات بدلا من المحافظة على دستورها والعمل به ، فنصحت له زوجه ليونورا — وكانت مثال الملاك الطاهر بالنسبة له — أن يرجع عن عزمه وأن لا يضل السبيل، كما استحلفه (فرينا) أكبر جماعة المتآمرين الجمهوريين الأشداء ، ولكن لم يجد النصح ولم تنفع معه النصيحة، واستمر فى غوايته وشروره وانتهى أمره بأن خلع الجمهوريون نيره وقضوا على حكومته .

وبينما تراك تلحظ الخيال العذب السلس فى « قطاع الطرق » إذا شلر يسعى لتصوير صور تاريخيه ثابتة فى قصة فيسكو هذه، وبدأ يسلك الطريق التى وصل الى نهايتها ، والى ذروة الغاية التى قصدها فى باب المآسى ، ولما كانت تجارب الشاعر فى مدرسة الحياة السياسية ضئيلة، فيلحظ فى أشخاص مأساته هاته أنهم غير عاديين ، وأن صورهم غير واضحة وغير تامة ، ولا تطابق ما نراه فى حياتنا اليومية ،ولذا ترى أن هذا الجزء من آثاره ليس به من الحقيقة والشعور الحى والأحساس الرقيق مثل ما « بقطاع الطرق » ، ولهذا لم تلق نجاحا فى التمثيل كسابقتها .

وأعقبت هذه فاجعة « الخديعة والحب »، وهى فاجعة خاصة بالطبقة الوسطى من الناس ،

ظهرت سنة ١٧٨٤، وكان اسمها الاول لويزا ملرين ، وقد وضع الخطة أيام كان بشتتجارت، أثناء القبض عليه لمدة أربعة عشر يوما . وقدبدأ يعمل ويكتب فيها وهو فى نزل رقيق الحال. وهى ثالث أثر من آثار شلر،وعليها مسحة «الاندفاع والعواصف» وقد صدرت من نفس حزينة غاضبة . أراد أن يقول فيها إن النبل والسمو فى هذه الدنيا الفاسدة قد بذهما الفساد والقحة. وقد صور الشاعر فى (الخديعة والحب) حياة البلاط بما فيها من رذائل وعيوب وآثام، وإلى جانب ذلك جماعة من الناس الفضلاء قليلى المعرفة.. وقد ديسوا بالأقدام ، وترى الشاعر يصف لك فى تلك الفاجعة حياة بلاط عطن فى شقة من الأرض قليلة المساحة ، يبيع أميرها أبناءها ليجندوا ويرسلوا إلى أمريكا ويشترى بثمنهم حلة لعشيقته .

وقد أشار بذلك إلى الهرتزوج كارل أويجين فون فورتومبرج ، وجريفين فون هوهينهايم، وبالفاجعة مبالغات وأشياء غير طبيعية كما هو الحال فى آثار عصر الاندفاع والعواصف .

كما أن لغتها أكثر مما يلزم لها ، وترى فى أشخاص الفاجعة كلا فى هيئة خاصة أفرادا كما تصورهم هو ، وقد ترك عالم الأحلام المتسامى إلى المثال الأعلى ، وانخفض إلى الحياة الفعلية الحاضرة. ولما مثلت تلك الفاجعة كان أثرها عظيما فى النفوس ، ولبثت حينا من الدهر من أحب القطع التمثيلية إليه ، إلى جانب (قطاع الطرق)، ولا تزال إلى الآن من المآسى الشعبية القوية.

ثم إنه أظهر مجموعة من القصائد الغنائية أسماها «مجموعة الزهور والأشعار» ، وقد نظمها أيام شبابه المتقد حماساً ، وعليها طابع (الاندفاع والعواصف) وكانت لا هيئة لها ، ضخمة الأسلوب جوفاؤه ، غرامية تلحظ منها شدة الاندفاع وراء الحرية ، ومن خيار قطعها (عظم العالم) و (الجراف ابرهارد الباكى) ثم (الموقعة) .

ولما أرسلت مأساته (الخديعة والحب) إلى مسرح مانهايم ، استدعى سنة ١٧٨٣ لأن يكون شاعر دار التمثيل هناك ، فأصدر مجلة (الرين) التى اختص دار التمثيل بها ، ثم أسماها بعد ذلك مجلة (تاليا الجديدة) وأخذ يكتب مأساة جديدة اسمها (دون كارلوس) ، وقد نشر استهلالاتها الأولى فى مجلته ، وقرأ الفصل الأول منها فى حضرة الأمير (الهرتزوج فون فيمار كار أوجوست) بمدينة دارشتاوت ، فأنعم عليه بلقب مستشار (ساكسون فيمار) ، ثم سئم شلر الاقامة فى مانهايم ، وساءت حالته الظاهرة،لأنه لم يتمكن من إتمام الرواية التمثيلية التى كان قد وعد دار التمثيـل باتمامها قبل نهاية العام ، ولم يلبث أن وصلته دعوة بالذهاب إلى ليبتزج، وكان السبب فى تلك الدعوة كورنر الذى أراد أن ينتشل شلر مما هو فيه من الضيق والعوز بطريقة مشرفة نبيلة ، ولبث إلى جانبه صديقا صادقا ، وكان لحكمه على الشاعر وبيان ما هو عليه أكبر مساعد وعضد له فى حياته . أما ذلك الصـديق فهو كريستوف جوتفريد كورنر (ولد بليبتزج سنة ١٧٥٦) ، وكان مدرساً بجامعة ليبتزج ثم شغل منصباً كبيراً فى درسدن، وعين أخيراً مستشاراً سرياً لحكومة بروسـيا ، وقد توفى ببرلين سنة ١٨٣١ ، وهو والد تيودور كورنر الشاعر . إلى هنا تنتهى طفولته وسنتكلم على حياته فى العدد الآتى ؟

على مظهر

طبيعته وفنـــــونه

للاستاذ السباعي السباعي بيومي

المدرس بدار العلوم العليا

نرانا مضطرين قبل التكلم فى طبيعة الشعر الجاهلي وفنونه ، أن نسوق القول عاماً فى طبائع الشعر القديم كله ، حتى نرجع الشعر المذكور إلى الطبيعة التى تلائمه وإليها ينتمى .

فان من الشعر : ما هو قصصي ، ينصرف إلى القصة فيذكر الحروب وأبطالها ؛ مازجاً بذلك مناداة الآلهة واستيحاءها ، فهو فى معناه شعر اجتماعى ، تفنى فيه شخصية الشاعر إلى حيث لا يراها الأنسان ، ثم هو فى لفظه طويل بالغ فى الطول ، تضم القصيدة الواحدة منه الآلاف من الأبيات ؛ ولكنها لا تتقيد بلون واحد من الوزن ، وكثيراً ما يعتمد فى إنشادها على الموسيقى ؛ وهذا النوع يلائم كل أمة فى فطرتها الأولى ، إذا تضامت برابطة اجتماعية تصل بين أفرادها فى الدفاع والاغارة ، وأخرى دينية توحد بينهم فى العقيدة ، على تعدد آلهتهم ومعبوداتهم ، كأمة اليونان فى القرنين العاشر والتاسع قبل الميلاد .

ومنه ما هو تمثيلي يعتمد على الحوار المصحوب بالحركة والعمل ، والصادر عن كثير من الأشخاص ،دون اشتماله على أمثال سأل وأجاب ، أو قل وقلت ، نترى المتحاورين فيه يتحدثون وهم يغدون ويروحون ، ويأتون من الأعمال ما يستلزمه هذا الحوار ، معتمدين فى ذلك على ما هنالك من :غناء ، وموسيقى ، ورقص ، وهو فى موضوعه أوسع دائرة من القصص ، لأن القصة فيه غير قاصرة على الأبطال والحروب ، ولا مقيدة باستيحاء الآلهة ومناجاتها ، وظهوره فى كل أمة نتيجة لرقى عقلى كبير ، وحياة ديمقراطية صحيحة ، كأمة اليونان منذ القرن الخامس قبل الميلاد .

ومنه ماهو غنائى يخرج عن الدائرة الاجتماعية للقصص والتمثيل ، إلى شخصية الفرد أولا ، وقبل كل شيء ، فلا يزال يصور نفسيته وما يتصل بها من وجدان وميل ؛ ولا يزال صاحبه يغنى نفسه بحبه وبغضه ولذته وألمه ، وهو نتيجة لرقى الشخصية الفردية ، وتحررها من قيود الاجتماع المسيطرة على الأفراد من غير رأى لهم ، ومن شوائب العقيدة المشركة للآلهة فى كل أعمالهم ، ولذلك كان المرحلة الوسطى لأخويه فى الأمم التى وجدت بها

المراحل الثلاث ، فقد ظهر فى أمة اليونان هذه ، فى القرنين السابع والسادس قبل الميلاد .

فأنواع الشعر ثلاثة ، ونحن إذا عرضنا لأسبابها ومميزاتها نطبقها على العرب فى جاهليتها ، لانجدها تهيأت إلا للشعر الغنائى فحسب : نعم كان لها شعر ذو ذكر قوى لأبطالها ، ووصف معرف بحروبها؛ ولكنه لم ينهض أويسمى قصصيا ، لأنها قالته غير مطيلة فيه ،ودون أن تنسى شخصيتها أو تستوحى آلهتها ، وكان لها حوار يظهر فى القصيدة بين عاشقين ،أو متخاصمين! ولكنه لم ينهض كذلك أن يسمى تمثيليا ، لأن الحوار فيه على ضيق دائرته وقلته ،لم يتجرد من: قلت وقالت ، ولم يصحب من المارين بالحركة والعمل، كما لم يعتمد على ما اعتمد عليه التمثيل من رقص وموسيقى وغناء .

وإذن : الشعر الجاهلى غناء كله عن طبيعته وبيئته ، وبقى كذلك بعد الجاهلية عن محاكاة وتقليد،وليس يضير العرب من ذلك ضير، لأن شاعرية الأمة لاتقاس بأنواع الشعر، بل بالدرجة التى بلغت إنتاجا وجودة، فى النوع الذى تهيأت له ، والأمة العربية قد بلغت فى الشعر الغنائى مبلغا لم تشاركها فيه أمة أخرى، فقد قالته فى كل عصورها، فجاء فى عمومه معبرا عن الجمال الفنى المطلق ، الذى تنشده الأنسانية كلها ، وليكون صلة بين شعوبها وأجناسها على اختلاف بيئتها وعصورها ، كما جاء فى خصوصه مرآة تمثل أصدق تمثيل: شخصية الشعراء والبيئات ، وحياة الأفراد والجماعات ، حتى أنه ليعد من أصدق مصادر التاريخ ، على اختلاف الأمكنة والعصور ، وحسبه أن أدى رسالته بقوة فى هاتين الناحيتين ، فليس بعد ذلك للشعر منال .

هذه طبيعة الشعر الجاهلى، فاذا قلنا فنونه ، فانما نقصد إلى الفنون الداخلة فى هذه الطبيعة، من نسيب وفخر ، ورثاء ومدح، وهجاء ووصف ، لا أى نوع من النوعين الآخرين ، وهذه الأبواب الستة هى أهم فنونه ، وما عداها راجع إليها ،وهاهى كلمة موجزة عن كل :

النسيب : يرادفه التشبيب والتغزل ، وكلها راجعة إلى المرأة فى وصفها حسا ومعنى ، وإظهار الميل إليها ،والكلف بحبها ، مع مايتبع ذلك من التألم لفراقها ، والتشوق إلى قربها ، ونحو هذا مما يدل على شدة الصبابة ، وإفراط الوجد ، وتصورها فى كل ذى صلة بها ، أومشابه لها من: الديار والآثار ، والنبات والحيوان ، والرياح والبروق ، وقد شغل النسيب فى الجاهلية مكانا عليا من الشعر ، ولا يبعد أن يكون أقدم فنونه ، لقدم علاقة الرجل بالمرأة ، ولأن حياة البداوة تجعل مشاركتها له مجسمة بارزة ، هذا إلى ما للحل والارتحال الدائبين بتقلب الفصول والأيام ، من خلق أسباب الهوى والهيام ، لما فيهما من قرب وفراق، وتواصل وبعاد ، ولذا كثر فى العرب العشاق المتيمون ، أمثال المرقش الأكبر ، وعبد الله ابن العجلان ، ومالك بن الصمصامة ، ومسافر بن أبى عمرو ، وعروة بن حزام ، فهؤلاء لهم أمثال وأشباه عاشوا للمرأة وفى المرأة ماتوا، فخلص لها شعرهم كما خلص لها حبهم ، على أنها

لم تعدم من غير المتيمين الكثير يقال فيها من الأشعار ، إن لم يكن فى وصفها قصداً، تغزلا وافتتانا، ففى مطالع القصائد عرضا، توصلا لأغراضها وتمهيدا . وأرى أن تختص تلك المطالع باسم التشبيب، فيكون هذا فرق ما بينه وبين التغزل والنسيب ، أما الفرق بين هذين ،فعلى تعذر حده ، يمكن أن أقول إن التغزل ما عمد فيه الشاعر إلى وصف محاسن المرأة ، مدفوعا إلى ذلك بعقيدة أو مسوقا اليه بصناعة ، والنسيب ما توجه فيه إلى ذكر الصبابة والوجد وألم الهوى والفراق ، صادرا فى ذلك عن وجدان وشعور ، لايكونان إلا للمحبين المغرمين ، ومن هنا أرى أن كلمة النسيب أنسب أختيها لأطلاقها على هذا الفن من الشعر كما حققناه .

الفخر : هو تمدح الشاعر بنفسه وقومه ، وذكر مآثرهم ومفاخرهم ، وأكثر ما تناول فى الجاهلية: تناول الشجاعة والنجدة، والبأس والقوة ، وإجارة الجار ، ومنع الحريم ، وإكرام الضيف ، وإيواء الطارقين ، وهى خير ما كانت تقدس العرب إذ ذاك من صفات ، وأكثر ما كان يظهر فى حياتهم ويتطلبه عيشهم ، وأمثل ما كان يقع الفخر إنما كان من السادة الأشراف والأبطال الفرسان ، ومن جرى مجرى هؤلاء من الصعاليك المغيرين ؛ فمن السادة :زهير بن جناب ، والحصين بن حمام ، والمهلهل بن ربيعة ، وعمرو بن كلثوم ، والأفوه الأودى ، وعبد يغوث الكهلانى ، وعامر بن الطفيل ، وأبو قيس الأوسى ، وقيس بن عاصم المنقرى ، ومن الفرسان: عنترة العبسى ، وعلقمة بن عبدة ، وحاتم الطائى ، وسلامة بن جندل ، وقيس ابن الخطيم ، والأغلب العجلى ، وعمرو بن معديكرب ،وأبو محجن الثقفى ، وزيد الخيل الطائى؛ ومن الصعاليك المغاوير :عروة بن الورد ، وتأبط شرا ، وسليك بن السلكة ، والشنفرى .

الرثاء : هو بكاء الميت بتعديد محاسنه وصفاته ، فى ثوب من التفجع والحسرة ، والتلهف والأسى ،مع استعظام المصيبة واستبعاد الصبر ،إن كان الميت من ذوى الرياسة والأقدار ، وقد كان من عادة القدماء فيه ، أن يضربوا الأمثال بمن سلف من الأنبياء والمرسلين والأمراء والملوك، وبما هلك من الوعول المعتصمة بقنن الجبال ، والأسود الخادرة فى ثنايا الغياض ، وحمر الوحش الضاربة فى مجاهل القفار ، وبالنسور والحيات ، ذات البأس القوى والعمر المديد ، وأن يخلوه دون سائر فنون الشعر من التشبيب ، الذى اعتادوا أن يفتتحوا به القصائد فى كل تلك الفنون ، وكان الرثاء فى الجاهلية ذا شأن كبير ، لما كان بها من حروب وغارات ، لاتفتأ تغتال الشجعان والأبطال ؛ وقد شارك النساء فيه الرجال أكثر مما شاركنهم فى باقى الفنون ، لأنهن أشجى قلوبا وأشد جزعا ، لما ركب فى طباعهن من رقة العاطفة وضعف الاحتمال ؛ ولعل أول من أكثر فيه وأطال المهلهل فى رثاء كليب أخيه ، والمراثى المشهورات كثيرات ، على أن هذا الباب قد عم وفاض ، إذ الموت شامل ، والمصيبة على تحريك النفوس بالبكاء والرثاء ذات غلبة واقتدار .

المدح : هو طريقة التنويه بفضائل الممدوح، والتعريف بصفاته إشارة بذكره ورفعا لشأنه، سواء في ذلك وصفه على سبيل العموم والاجمال بأمهات الفضائل، كالشجاعة والعفة، والعدل والعقل، أو تخصيصه على سبيل التفصيل بما هو به أشبه، وله أيسر، كالاقدام في الشجاع، والرأي في المشير، والعدل في السيد، وغير ذلك من الصفات النفسية اللائقة؛ وليس للمادح أن يتجاوزها إلى غيرها: من الحسية كالجمال، والعرضية كالغنى — إلا ممزوجة بها وفي قصد واعتدال — على هذا كان مدح العرب في الجاهلية، ثم إن ماركب في نفوسهم من عزة وأنفة وإباء وكرامة، جعلهم يضيقون دائرة مدحهم، فلم يتعدوا به لداتهم وذوي الرياسة من عشائرهم، حتى كان السؤال بالشعر والاستجداء بالمدح آخر عهدهم، فظهر فيهم من تكسب به في ترفع كزهير، أو تنزل كالأعشى؛ أو بين بين كالنابغة، ولكن قلة هؤلاء على شهرتهم وبعد صيتهم لم تخرج بالمدح الجاهلي في جملته عما رسمناه.

الهجاء: ويكون على عكس المديح، بتجريد المهجو من الفضائل الرائعة، والصفات المرغبة، كما يكون بوصمه بالرذائل الشائنة، والأوصاف المنفرة، وأشده ماكان بالموازنة والتفضيل؛ ولم يتجاوز هجاء الجاهليين القبائل إلى الأفراد، ولا العف من القول إلى الاقذاع، إلا حيث صار الشعر آلة للتكسب عند بعض الشعراء، فصار من الحتم عليهم أن يهجوا ليخيفوا أو ينتقموا، وأن يخرجوا في هجوهم من القبائل إلى الأشخاص، منتهكين بذلك ماكان مضروبا من سياج. ولعل أول من عرف بذلك الأعشى، ثم جاء بعده الحطيئة فأفرط وزاد، حتى لم يعف عن هجاء نفسه بما لا يرضى أن يهجوه به إنسان، وكذلك فعل مع أمه وأبيه؛ على أن هذا لم يدنس العصر الجاهلي كله، لأنه كان آخره، ومقصورا على آحاد.

الوصف : معناه الكشف والاظهار، وأبلغه ماقلب السمع بصرا؛ والشعر إلا أقله راجع إليه، فهو باب في عمومه واسع النطاق، ولكنه قصر في عرف الأدباء على غير ما اندرج من أوصاف تحت غيره من الأبواب، وقد طرقه الجاهليون في كل ماشملته باديتهم، وتناولته حاجتهم من أرض وسماء، وأحداث جو، وألوان نبات وحيوان يدب على الأرض، وطير يصعد في الهواء؛ ولكنهم تفاضلوا فيه كما تفاضل الناس في سائر الأشياء: فنهم من أجاده في كثير من الأنحاء، وإن غلبت عليه الاجادة في بعضها، كامرىء القيس؛ ومنهم من قصرت إجادته على شيء دون شيء، كابن أبي دؤاد الايادي، وطفيل الغنوي، والنابغة الجعدي، في نعت الخيل، وطرفة بن العبد، وأوس بن حجر في الابل، والشماخ بن ضرار في القسي، والأعشى في الخمر وهكذا، ومن ثم عرف فريق من الشعراء باسم الشعراء الوصافين كهؤلاء؟

السباعي السباعي بيومي
المدرس بدار العلوم

رابندرانات طاغور

لفيلسوف العراق وشاعرها الأكبر

السيد جميل صدقي الزهاوي

كنت كالنجم ماثلا فى خيالى حيثما ألتفت أجدك حيالى
تنجلى من سناك ظلمة ليلى حبذا ذلك السنا فى الليالى
وأنا باسط إليك يدى فى ضرع اليائس الكثير الحلال
قلت لى : إن أردت أن نتناجى فادن منى وفى الدنو تعالى
قلت لا أستطيع ذلك إنى من شكوكى أسوخ فى الأوحال
قلت حاول منها بنفسك إفلا تا فحاولته فبان كلالى
وضعت فى جيدى الطبيعة أغلا لا فما حيلتى مع الأغلال
ليس لى أن أقوم إلا إذا حر رتنى أو خففت من أثقالى
ثم لما تصرم الليل ينأى وبدا الصبح أبيض الأذيال
يقظ الناس من كراها تحيي موكب الشمس طالعا فى جلال
لم يكن ما قد بان يومئذ لى غير طيف عن الحقيقة خال
وأرى اليوم بالنواظر ما قد كنت قبلا رأيته فى الخيال

***

حبذا كوكب تألق يدنو من سماء العراق حتى بدا لى
كوكب كله جمال فما أر وعه فى عيون حزب الجمال
كوكب يرسل الأشعة بيضا ء من الشرق فى الليالى الطوال
طاب هذا اللقاء بعد انتظار كاد يقضى فينا على الآمال
وحسبنا أن اللقاء محال ثم كان المحال غير محال
ولقد أجمع العراق على التر حيب بالعبقرى والاجلال

***

أيها الشاعر العظيم سلام من محب لآى شعرك تال
وسلام عليك فى كل يوم وسلام عليك فى كل حال
معدن أنت للقصائد غرا مثلما البحر معدن للآلى
إنما ذلك الشعر حين تغنيه على قربه بعيد المنال
إننى لا أخشى عليه زوالا إنه للخلود .لا للزوال

أنت إن رمنا للنوابغ عداً واحد من أولئك الأبطال
أترى أن للحياة برغم المو ت قصدا فى خلفة الأجيال
لا تسلنى عن الحقيقة إنى أطلب الشمس فى مهاوى الظلال
لست أدرى ما غايتى من حياتى ما وجودى ما مبدئى ما مآلى
وإذا ما قلبى عصى حكم عقلى لم يفد منطق ولا استدلالى
خطلى بعد أن ضلت سبيلى هو أنى أرى الهدى فى ضلالى
ما تثبطت فى طريقى لو لم أتعثر كالدمع فى أذيالى
أيها الحب والجمال الذيعا ن سلاما كلاكما ذو تعالى
لست أدرى من منكما هو ذا ك المثل الأعلى فى طريق الكمال
وسأبقى عن الحقيقة بحا ثا وإن هاض من جناحى كلالى
إنها زهرة على قربها ممنو عة من أشواكها بالنصال
زهرة حشوها جمال وعرف نبتت من بين الحصى والرمال
زرتها معولا بصبح ولكن لم ينبهها من كرى إعوالى

***

إن بين العقول حربا عوانا نارها لا تزال ذات اشتعال
« لم أكن من جناتها علم اللـ ه وإنى بنارها اليوم صال »
قد رأيت الزمان ذا دوران واصل للآباد بالآزال
ولعل الروح الذى هو يبقى جوهر لا يصبو لجسم بال
أيها الكهرباء أنت جوابى للجماهير عند كل سؤال

***

ما من الموت فى النهاية بد فسواء باليت أو لم أبال
ليس هول المنون شيئا إذا قيـ س بما للحياة من أهوال
وأرى للشيب اشتعالا برأسى وجدير هشيمه باشتعال
سوف تبقى الأعراض منفعلات ثم تفنى فى الجوهر الفعال
ثم تبدو وليدة من جديد ثم تخفى على سبيل التوالى
اتصلنا ثم انفصلنا فمن لى باتصال يبقى بغير انفصال
قلت للنفس لا تخافى من المو ت فما هذا الموت غير انتقال
غير أن النفس العصية لا تلـ ق لقولى سلاحها فى النضال
أيها الشرق ! كنت والغرب داج مطلع النور فى السنين الخوالى
وله كنت فى الحضارة أستا ذاً عليه تلقى دروس المعالى
ذهبت عنك قوة العلم حتى انـ عكس الأمر مؤذنا بالهزال
ولعل الايام تعلن سلماً بعد حرب الأديان والأموال

بغداد جميل صدقى الزهاوى

٢ ـ تاريخ حيـــــــــاة

ألف ليلة وليلة *

للاستاذ الـكبير : أحمد حسن الزيات

أستاذ الأدب العربى بدار المعلمين العليا ببغداد

ليس من اليسير على الباحث الـكشف عن حقيقة كتاب كألف ليلة وليلة : أصله مفقود ، ومؤلفه مجهول ، وزمان وضعه مبهم ، ومكان حوادثه مشتبه ؛ لأننا إذا فزعنا إلى التــاريخ نسأله ، قال : إن مايتصل بالأقاصيص والأساطير كان خارجا بطبيعته عن اختصاص الاديب ومنهاج المؤرخ ، واذا رجعنــا إلى نص الـكتاب ندرسه لنتبين من لغته وأسـلوبه ، وأسماء أبطاله ، ومواطن رجاله ، وعقائد أهله ، نصيب كل جنس وجيل فى تكوينه ، وجدناه من هذه الجهة ضعيف الحجة ، خادع الرأى ، قليل الغناء ! لأن كثيرا من الناسخين والقصاصين فى البلاد المختلفة ، قد اعتوروه فنقلوه على وفق لهجاتهم ، وعبثوا به على مقتضى شهواتهم ، حتى لاتجد نسختين منه تتفقان لافى الترتيب ولا فى النص ، ففى حكاية البنات مع الحمال ، والصعاليك الثلاثة — مثلا — يقول الصعلوك الثانى: إنه قرأ القرآن بالروايات السبع ، وحفظ الشاطبية ، والشاطبية فى علم القراءات كالألفية فى علم النحو ، وفى بعض النسخ لايذكر الشاطبية ، ويكتفى بذكر الروايات السبع ، فلو أن ذكر الشاطبية كان عاما فى جميع النسخ ؛ لحكمنا بأن هذه الحكاية كتبت بعد سنة ٥٩٠ هـ ، وهى السنة التى توفى فيها (الشاطبى) ، وفى حكاية مزين بغداد يذكر المزين الفيلسوف سنة ٧٦٣ فى نسخة ، وسنة ٦٥٣ فى نسخة أخرى ، فعلى أى الرقمين نعتمد فى تاريخ هذه الحكاية ؟ إذن لم يبق للباحث غير الاعتماد على النقد المبنى على تاريخ الحضارات المقارن ، وعلى مابقى فى الـكتاب من صور الاساليب ، ورسوم التقاليد ، التى لم يشوههــا الناسخ ولم يعف عليها الزمن .

كان أول من ذكر ألف ليلة من المؤرخين ، على بن الحسين المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ فى كتابه (مروج الذهب) ، فقد قال حين عرض لأخبار إرم ذات العماد : « إن هذه أخبــار موضوعة من خرافات مصنوعة ، نظمها من تقرب من الملوك برواياتها ، وإن سبيلها سبيل الـكتب

---

* بدأنا بنشر القسم الاول من هذه المحاضرة القيمة بالجزء الحادي عشر [مارس سنة ١٩٣٢] وقد حال دون نشر بقيتها في الاعداد السابقة ، عدم وصول هذا الجزء الينا في حينه ، فنعتذر للاستاذ الزيات أولا ولحضرات القراء ثانيا .

المنقولة الينا ، والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية (وفى رواية أخرى الفهلوية بدل الهندية) مثل كتاب (هزارافسانة) وتفسير ذلك بالفارسية(خرافة)ويقال لها افسانة . والناس يسمون هذا الكتاب (ألف ليلة) وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهرزاد ودنيازاد» ثم جاء بعده محمد بن اسحق المعروف بابن النديم المتوفى سنة ٣٨٥، فقال فى الفهرست: « أول من صنف الخرافات وجعل لها كتبا وأودعها الخزائن الفرس الأول ، ثم أغرق فى ذلك ملوك الأشانية ، وهم الطبقة الثالثة من ملوك الفرس، ونقلته العرب إلى اللغة العربية ، وتناوله الفصحاء والبلغاء فهذبوه ونمقوه ، وصنفوا فى معناه مايشبهه ، فأول كتاب عمل فى هذا المعنى كتاب (هزارافسانة) ومعناه ألف خرافة ، وكان السبب فى ذلك أن ملكا من ملوكهم ، كان إذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد ، فتزوج بجارية من أولاد الملوك ، لها عقل ودراية ، يقال لها (شهر زاد) ، فلما حصلت عنده ابتدأت تخرف وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحمل الملك على استبقائها ، ويسألها فى الليلة الثانية عن تمام الحديث إلى أن أتى عليهما ألف ليلة ... رزقت فى أثنائها منه ولدا أظهرته وأوقفت الملك على حيلتها عليه ، فاستعقلها ومال إليها واستبقاها ، وكان للملك قهرمانة يقال لها دنيا زاد ، فكانت موافقة لها على ذلك ، وقد قيل إن هذا الكتاب ألف لحماية ابنة بهمن ، ثم قال ابن النديم فى موضع آخر « والصحيح إن شاء الله أن أول من سمر بالليل الاسكندر ، وكان له قوم يضحكونه ويخرفونه، لا يريد بذلك اللذة وإنما كان يريد الحفظ والحرس، واستعمل لذلك بعده الملوك هزارافسانة ويحتوى على ألف ليلة وعلى دون المائتى سمر ، لأن السمر ربما حدث به فى عدة ليال ، وقد رأيته بتمامه دفعات ، وهو بالحقيقة كتاب غث بارد الحديث »

فالرجلان متفقان على أن الكتاب منقول عن هزار إفسانة الفارسى، وأنه موضوع فى خبر الملك والجاريتين شهر زاد ودنيازاد ، وأن اسمه فى عصرهما كان ألف ليلة لا ألف ليلة وليلة (ولا عبرة بمجىء اسم الكتاب كاملا فى الطبعة الحديثة المصرية لمروج الذهب ، فان ذلك من زيادة المصحح)، ويختلفان فى نسب البنت والجارية، فيقول المسعودى: إن شهرزاد بنت الوزير ، ودنيازاد جاريتها ، وهو الصحيح . ويقول ابن النديم : إن شهر زاد من أولاد الملوك ، وإن دنيا زاد قهرمانة الملك ، ويزيد أن الكتاب يحتوى على ألف ليلة وعلى دون المائتى سمر، وأنه ألف لحما أو هميا أو حمانى أو حمانة أو جمانة أو خمانى على اختلاف الروايات وهى بنت الملك بهمن ابن اسفنديار .

هاتان هما الوثيقتان الخطيرتان فى تاريخ هذا الكتاب ، ولا يوجد غيرهما فيما نشر علينا من كتب مؤرخينا القدماء ، اللهم إلا إشارة إلى وثيقة ثالثة مفقودة ، نقل عنها المقريزى فى

الخطط والمقرى فى نفح الطيب، وعزواها إلى مؤرخ مصرى اسمه القرطى ألف كتابا فى تاريخ مصر على عهد الخليفة العاضد الفاطمى ، ذكر فيه ألف ليلة وليلة ، وقايس بين قصصه وبين مايتداوله الناس فى عصره من الحكايات المشهورة ، وفى هذا دليل على أن الكتاب على أى صورة من الصور كان معروفا فى مصر على عهد الفاطميين ، و ن اسمه كان إذ ذاك ألف ليلة وليلة ، وأن عنصرا من القصص العربى قد دخل فى هيكله ، ثم تجاهله بعدئذ أدباؤنا ومؤرخونا فلم يحققوا مصدره ، ولم يسجلوا نموه وتطوره ، حتى جاء رأس المستشرقين البارون (سلفستر د ساسى) فبدأ البحث العلمى فى أصله بمقالين نشرهما فى جريدة العلماء (Journal bes savants) أولها فى سنة ١٨١٧ والآخر بعده باحدى عشرة سنة . وجملة رأيه أن الكتاب تأليف جماعة لاتأليف واحد ، و نه مؤلف فى العهد الاخير ، وأنه عربى الوضع من فاتحته إلى خاتمته ، ودفع قول المسعودى أن فيه عناصر أجنبية من الهندية أو الفارسية ، فناقش أدلته قوم آخرون ، أشهرهم الاستاذ (يوسف فون هامر) الألمانى ، فقد نشر فى سنة ١٨١٩ مقالا فى إحدى ا بلات الالمانية ، وفى سنة ١٨٢٣ مقالا آخر فى ا بلة الاسيوية يد فيهما رأى المسعودى تأييدا لاسبيل عليه لآخذ ، وفى سنة ١٨٣٩ ترجم الاستاذ (وليم لين) الانجليزى قسما من لف ليلة وليلة ، وقدم له مقدمة حاول أن يثبت فيها ن الكتاب تأليف رجل واحد ، وأنه ألف فيما بين سنتى ١٤٧٥ و ١٥٢٥ للميلاد . ثم استأنف هذا البحث فى هذا العصر طائفة من ثقات العلماء ، أشهرهم: كوجى وموللر ونولدكى واوستروب وكريمسكى وشوفان وكارادفو ، فاستجلوا على قدر إمكانهم ماغمض من أصل هذا الكتاب ، حتى أصبح من الممكن بعد تمحيص ما قالوه ، وتصحيح ماجهلوه ، أن نثبت فى هذا الأصل رأيا يقارب الصواب إن لم يكنه .

(أصل الكتاب وطبقاته)

أصل هذا الكتاب نواة من الاقاصيص الهندية والفارسية ، تسمى (هزار افسانة) ترجم إلى العربية من الفهلوية فى أواخر القرن الثالث للهجرة ، بعنوان ألف ليلة ، وهو الذى رآه المسعودى وانتقده ابن النديم ، ثم تجمع حول هذه النواة فى الأزمنة الواقعة بين القرن الرابع والقرن العاشر من الهجرة طبقتان: طبقة بغدادية صغيرة وطبقة مصرية كبيرة . فأما النواة أو الاصل أو الاطار كما يسميه الباحثون فتؤلف من الحكايات الباقية الآتية : حكاية الملك شهريار وأخيه شاه زمان ، وهى مقدمة الكتاب ، وحكاية التاجر والجنى ، وحكاية الصياد والجنى ، وحكاية حسن البصرى ، وحكاية الحصان الابنوس ، وحكاية الامير باسم وجوهر السمندلية ، وحكاية اردشير وحياة النفوس ، وحكاية قمر الزمان ابن الملك شهرمان والاميرة بدور ، وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال .

وقد اختلفت كلمة الباحثين فى أصل هذا الاصل كما ألمعنا إلى ذلك من قبل ، ففريق يرى

ورأيه الأرجح ـ أن المقدمة وبعض حكايات الاصل هندية، ويبنى هذا الرأى على المشابهة فى الموضوع والطريقة والأسلوب : فأما المشابهة فى الموضوع فان فى حكاية الملك شهريار وأخيه مشابه من (كاثا سارت ساجارا) الهندية . وأما المشابهة فى الطريقة، فان إدماج حكاية فى حكاية وتوليد قصة من أخرى إحدى خصائص الأدب القصصى الهندى، وهى ملحوظة فى (مهابهاراته وبنجة تنترى) أصل كليلة ودمنة ، لأن الباعث الأول على القصص فى أدب الهند، كان إبتاء الفرصة واكتساب الوقت حتى يؤفك المشهور عن عزمه ، ويحجز المتسرع عن وجهه ، كما فعل الببغاء مثلا مع زوجة صاحبه فى حكاية (سوكاسابتاتى) فقد كان يقص عليها كل يوم أحسن القصص، ليعوقها بلهو الحديث عن زيارة خليلها فى غيبة حليلها ، ويقطع حديثه دائما بقوله : سأقص عليك البقية غداً إذا بقيت فى البيت — وهذه الطريقة وذلك الباعث ، نجدهما فى كثير من حكايات ألف ليلة وليلة، فلا نزاع إذاً فى أنها هندية . وأما المشابهة فى الاسلوب فان من لوازم القاص الهندى أن يقول : لا تفعل ذلك وإلا أصابك ما أصاب فلانا ، فيسأله السامع وكيف ذلك ؟فيجيب القاص على هذا السؤال برواية القصة ، وهذا الأسلوب نفسه مستعمل فى تلك الحكايات من ألف ليلة ، وقولهم فيها (وكيف ذلك ؟) ترجمة حرفية لهذه الجملة السنسكريتية (كاتام إتات) ثم يمضى هذا الفريق فى تطبيق نظريته على بعض الحكايات، وينتهى إلى أن هناك طائفة من الأقاصيص لا شك فى أنها فارسية ، وهى حكاية الحصان الأبنوس، وحكاية حسن البصرى وحكاية سيف الملوك وبديعة الجمال ، وحكاية قمر الزمان والأميرة بدور، وحكاية بدر باسم والأميرة جوهر السمندلية ، وحكاية ارد شير وحياة النفوس .

وفريق آخر يرى أن الأصل كله فارسى تأثر بالعقائد اليهودية والأغريقية والاسلامية، ويريد أحدهم وهو الأستاذ (كوجى) أن يجعل بين هيكل ألف ليلة وليلة وبين قصة استر اليهودية صلة ونسبة . ذلك لأن ابن النديم فى الفهرست يقول: إن هزار إفسانة ألف لحميا بنت بهمن، والطبرى يقول: إن استر هى زوج بهمن، والمسعودى يجعل استر زوجة لبختنصر، ويسميها دنيازاد، ثم يطلق اسم شهر زاد ايضاً على أم حميا بنت بهمن ، أى على زوجة بهمن ، وهى التى سماها الطبرى استر .

ويقول المسعودى أيضاً فى موضع آخر : إن أم حميا يهودية ، ويعود الفردوسى والطبرى والمسعودى فيطلقون اسم شهر زاد على حميا نفسها ، وهى بنت الملك بهمن وزوجه على عادة الفرس الأولين . أما وجه الشبه بين قصة استر المذكورة فى التوراة وبين مقدمة ألف ليلة فهو أن الملك (اسريوس) كان كالملك شهريار لا يرى المرأة إلا ليلة واحدة، فتزف إليه البكر مساء ليطردها من قصره صباحاً دون أن يقتلها كما كان يفعل شهريار، واستر كانت كشهرزاد تستهوى الملك

وتخلب لبه فيستبقيها ، وهى بنت الوزير ، وشهر زاد بنت الوزير ، وهى تغرر بنفسها لتنقذ بنات جنسها من شر الفضيحة والذل ، وشهر زاد تفعل ذلك الفعل لتدرأ عن بنات قومها خطر السباء والقتل.

أما علة هذه الآراء المتناكرة التى تجعل هذا الاصل عربياً بحتاً أو فارسياً بحتاً أو هندياً مشوبا، فهى أن القصاص العرب قدعبثوا به عبثاً شديداً ،فبدلوا أسماءه ، وغيروا أسلوبه وموهوا لونه ، واخترعوا بعضه ، وطبعوه بطابع إسلامى محض، ثم بعثروه فى جوانب الكتاب وثنايا القصص، حتى التاث على المقاييس الفنية فرزه وتحديده .

وأما الطبقة البغدادية فتتألف من أقاصيص غرامية صغيرة، انتزعت من حياة العرب، واتسمت بسمة الاسلام ،وفاضت بنعيم الحب والترف ؛ تمثل حياة الطبقة الوسطى بأسلوب صحيح عذب وتصور حضارة بغداد فى أيام العروس (١) بخيال قوى خصب ، وتشهدكم سورة الغنى فى الأسواق ، وضجة الغلمان فى الأفنية ، وقصف الجوارى فى المقاصير ، ومداعبة الزوارق اللاهية فى دجلة ، وتجعل من الخليفة الرشيد ملاك رحمة ، ورسول عناية ،يجىء متنكراً وظاهراً فى كل مكان بالثروة للمحروم ، والعدل للمظلوم ، والوصل للعاشق البائس ، ولا أقصد بذلك إلى أن كل حكاية يتدخل فيها الرشيد تكون بغدادية ، فان افتتان الناس بمجده ، وازدهار العراق على عهده ، جعلاه رمزاً للرخاء والعدل ، حتى فى زمن غير زمنه ، ووطن غير وطنه .

تجمعت هذه الطبقة فى مدى القرنين الرابع والخامس، مما أثر عن الرواة ، ودون فى الكتب مستقلا وغير مستقل ، فهى على ما أرجح بقايا القصص التى نشرها الأدباء البغداديون ، ثم طواها الزمن ، وقد عد ابن النديم فى الفهرست عشرات منها، كقصة على بن ادیم ومنهلة ، وقصة عمرو ابن صالح وقصاف ، وقصة أبى العتاهية وعتب ، وقصة وضاح وأم البنين ، وقصة أحمد بن قتيبة وبانوحة ، وقصة ريحانة وقرنفل ، وقصة سكينة والرباب الخ . . . وأشهر حكايات هذه الطبقة ، حكاية على بن بكار وشمس النهار ، وهى قصة شهيدين من شهداء الحب ، تشعر النفوس حرقة الأسى على جدهما العاثر ونهايتهما الحزنة ، وقد صيغت فى أسلوب رقيق وعبارة مهذبة ، واشتملت على نوع من الادب يكاد يخلو منه أدب الخاصة،وهو الرسائل الغرامية التى تجرى بين العاشقين إذا عز اللقاء وعيل الصبر ، ثم حكاية أنس الوجود وورد الأكمام ، وهى قطعة حب وشعر وغزل تجدون من فيها إما محباً أو حبيباً أو واصلا بينهما ، والشعر الذى تضمنته إنما أنشىء لها خاصة ، فهو مطابق لمقتضى أحوالها ، مشتمل على أسماء أبطالها ، وذلك قليل فى سائر الكتاب كقوله من أبيات :

ما خاب من سماك أنس الوجود ياجامعا ما بين أنس وجود

(١) أيام العروس اسم كان يطلقه البغداديون على عصر الرشيد (المسعودي)

ياطلعة البدر الذى وجهه قد نور الدنيا وعم الوجود

ثم حكاية البنات الثلاث مع الحمال والصعاليك الثلاثة، ثم حكاية النائم اليقظان أو أبى الحسن الخليع ،ثم حكاية بدور وجبير بن عمير الشيبانى ، ثم حكاية الرشيد مع الخليفة الثانى محمد بن على الجوهرى ،ثم حكاية المعتضد مع بى الحسن الخراسانى ، وهى تدور على الترف والترف والحب، وتقص علينا مصرع المتوكل ، ثم حكاية الشاب البغدادى مع جاريته ، ثم حكاية الجوارى الضرائر ، ثم حكايات السندباد البحرى،وهى وصف جذاب شائق لسبع سفرات خطرات فى مياه الهند والصين قام بهن السندباد فى عهد بلغت فيه بغداد والبصرة غاية لم تدرك يومئذ فى العمران والعظمة ، ومما لاجدال فيه أنها كانت فى الأصل رحلة حقيقية شوهها الناس بالمبالغة، وزينها القصاص بالافتعال والتزيد ، ولعل صاحبها هو الذى نحا بها هذا المنحى من الاغراب، كما فعل (بزرك) بن شهريار فى كتابه عجائب الهند ، فلو صفيناها من سخف الأساطير وصرف الحديث كالسمكة العملاق ، التى يظنها الملاحو جزيرة ، وبيضة الرخ التى يحسبها الرائى قبة، إذن لتكشف عن تفاصيل دقيقة تطابق ما كتبه الرحالون فى هذا الموضوع، كوصف جزر المهراجا أو المهرجان كما يسميه السندباد ، والبحث عن الماس بواسطة النسور فى سيلان، وما ذكر عن الفيل والكركدن وشجر الكافور وتجارة القرنفل الخ .... وأصدق ما فى حكايات السندباد تصويرها لنفسية الرحالة الذى يشغف قلبه حب الاسفار،ومصارعة الأخطار وجهاً لوجه ، فهو فى كل سفرة يخوض غمرات الهول ، ويكابد غصص الغرق ، ويأخذ على نفسه الموثق الغليظ ألا يزمع رحلة بعد هذه المرة ، فاذا ماعاد سالما غانما إلى دياره ، ونعم حيناً بالعيش الرخى بين ندامائه وسماره، عاوده الوله الشديد إلى البحر الغادر ، ونازعته نفسه الطلعة إلى الأفق البعيد ، فيجتوى الراحة، ويعاف النعيم ، ويبتاع البضائع ، ويكترى السفينة ، ثم يقلع من البصرة ! !

و ما الطبقة المصرية فهى أوسع الطبقات وأجمعها وأصلحها للبحث،وأصدقها فى اللهجة وأقلها فى البلاغة ، تألفت فى مدى خمسة قرون — بين القرن الخامس والقرن العاشر — من القصص العربية ، والتقاليد الاسلامية ، والسير اليهودية ، والأساطير الفرعونية ، وقد قسمتها حين حللتها إلى طبقتين : قديمة تنتهى بالقرن الثامن ، وحديثة تنتهى بالقرن العاشر ، فالطبقة القديمة حسنة الأسلوب ، مطردة السياق ، شريفة الغرض ، تدور على المغامرة والحرب ، وتعارض الأخلاق ، وتضارب العواطف ، وتعتمد على الطلاسم والارصاد ، والجن والسحر والقدر، كحكاية جودر التاجر وأخوته ، وحكاية الوزيرين نور الدين وشمس الدين ، وحكاية مسرور وزين المواصف ، وحكاية قمر الزمان الثانية ، وحكاية الخياط والأحدب ، وحكاية مزين بغداد، وهى قطعة فنية قوية رائعة ، ثم حكاية على شار أو بشار مع زمرد . والطبقة الحديثة على

الجملة عامية اللغة، ركيكة الأسلوب، جريئة العبارة، تدور تارة على حيل المحتالين، ومكائد العيارين، ومخاطر اللصوص، وتارة على تصوير الأخلاق، وتذكير النفوس الغافلة بالعبر. وظهور القصص الحتال الداعر، بجانب القصص المتصوف الزاهد في هذه الطبقة، إنما اقتضته طبيعة المجتمع المصرى يومئذ من التجاء فريق من الناس إلى الله وانصراف فريق آخر إلى الشيطان، وقد كان من الممكن أن تبدو هذه الظاهرة أيضاً في قصص بغداد لولا أن مغامرات اللهو والحب فيها قد غلبت في نفوس القصصيين على كل شيء، وهم إلى ذلك كتاب يتأبهون عن حياة العامة، فقد كان في بغداد على عهد الخليفة المعتضد بالله رجل اسمه (العقاب) وكنيته أبو الباز، شهر بالكيد والحيلة حتى قال فيه المسعودى في الجزء الثانى من مروج الذهب ص ٤٧٩ من طبعة مصر: «إنه برز في مكائده، وما أورده من حيله على دالة الحتالة وغيرها، من سائر المكارين والمحتالين ممن سلف وخلف منهم» ثم ذكر بعض حوادثه وهى غريبة، وكان في بغداد كما كان في القاهرة نظام (التوابين) وهم اللصوص الذين إذا قعدهم الكبر عن السرقة تابوا، ورسمهم الخليفة شيوخا لأصناف اللصوص، فإذا حدثت حادثة عرفوا فعل من هى، ذكر ذلك المسعودى أيضاً في صفحة ٤٧٣ من الجزء نفسه، وكانت بغداد والقاهرة تتبادلان هذا الصنف من الزعماء والشيوخ، كما يقصه علينا ألف ليلة وليلة.

تأثر القصاصون المصريون في حكايات الحيل إذن بطبيعة العمران، فضلا عن تأثرهم بما بقى مذكوراً على بعض الألسنة، من أساطير العهود الفرعونية، فإن قصة على بابا واللصوص الأربعين — مثلا — تشبه قصة وردت في كتاب الأقاصيص الشعبية في مصر القديمة لكبير الأثريين الأستاذ (ماسبيرو)، ثم تأثروا في أقاصيص العبر والعظات بالأسرائيليات، كحكاية مدينة النحاس وقصة حاسب كريم الدين وبلوقيا وجان شاه، وذلك مادعا الأستاذ (فكتور شوفان) إلى أن يقول إن القصص المصرية الأخيرة إنما وضعها يهودى مصرى أسلم. وذلك بالطبع وهم من الأستاذ لأن علم العرب بالأسرائيليات منذ ظهر الأسلام لايقل عن علم اليهود بها. وأشهر أقاصيص هذه الطبقة حكاية على بابا واللصوص الأربعين، وحكاية علاء الدين أبى الشامات والمصباح العجيب، وهى التى اقتبسوا منها لص بغداد للسينما، ثم حكاية معروف الاسكاف، وحكاية أبى قير وأبى صير. وقصة حاسب كريم الدين، وملكة الحيات، وقصة مدينة النحاس، وحكاية أحمد الدنف، وحسن شومان، وعلى الزيبق، ودليلة المحتالة، وزينب النصابة، وحكاية الملك الناصر والولاة الثلاثة، وحكاية الرجل الصعيدى وامرأته الأفرنكية.

وفوق هذه الطبقات الثلاث أو الأربع تراكم في العصور الحديثة عدد من القصص الكبيرة

والأقاصيص الصغيرة ، ليبلغ الكتاب الغاية التي حددها له اسمه ، وفي هذه الزيادة تختلف النسخ اختلافا شديداً ، ومن تلك القصص طائفة حائلة اللون من أثر التقليد: كقصة عجيب وغريب وسهيم الليل ، وهي من قصص البطولة والحرب، تستمر وقائعها في العراق بين العرب والعجم ، أو بين دين الحنيفية والمجوسية ، وتستعير صورها من قصة عنترة ، وسيرة ابن ذي يزن، ثم قصة عمر النعمان وأولاده، وهي مضروبة على قالب أردشير وحياة النفوس، ثم قصة تاج الملوك والأميرة دنيا ، وهي كسابقتها تقليد لقصة أردشير، ثم حكاية جانشاه، وهي تقليد سخيف لحكاية حسن البصري ، ثم حكاية وردخان والملك جليعاد ، وهي ملفقة من أمثال كليلة ودمنه ، وطائفة أخرى يغلب فيها أثر التجديد كحكاية هكتار الحكيم وأقصوصة شول وشمول، وحكاية الجارية تودد وهي حكاية : ثقافية، تعليمية ، كتبها فقيه مصري في العهد الأحدث، على الرغم من وقوع الحادثة ببغداد ، وقيام المناظرة برياسة النظام المتكلم في مجلس الرشيد ، فان الجارية كانت تجيب السائل في الفقه على المذهب الشافعي ، وتصرح بذلك وتذكر في التقويم الزراعي الشهور القبطية ككيهك وبرمودة وبشنس ومسري وأمشير ، ثم تقول في حضرة الرشيد : الويل ثم الويل لمصر والشام من جور السلطان ، ومن الغريب أن الأستاذ (أوستروب) يقول في دائرة المعارف الاسلامية : إن هذه القصة نشرت في أسبانيا بعنوان (لادون زلاتيودور) أو تودور ، ويظن أن تودد تصحيف تودور ؛ ولم يتح لي الاطلاع على هذه القصة، لأرى كيف تتفق مع قصة كل ما فيها مناظرة في علوم الثقافة الاسلامية البحتة .

وهناك عدا ما ذكرت مجموعة من أقاصيص الفرسان ، والاجواد، ونوادر الأولياء، والزهاد، نقلت من العقد الفريد، والمستظرف، وعروس المجالس، ومناقب الصالحين، لم يقصد بها إلا توسيع الكتاب؟

أحمد حسن الزيات

(يتلى)

أحلام اليقـــــــــــظة

للاستاذ حامد عبدالقادر

أستاذ التربية وعلم النفس بكلية أصول الدين

يقسم علماء النفس الخيال تقسيما مبدئياً إلى : مقيـد ، ومطلق ، ويريدون بالمقيـد : ذلك الذى يكون لغرض خاص ، ويتضمن التفكير فى الوسائل التى توصل إلى ذلك الغرض ، وليس هنا موضع البحث فى هذا النوع من أنواع الخيال .

أما المطلق : فهو ذلك الذى يكون حراً مطلق السراح ، يسير حيث يشـاء ، وكيف يشاء بدون غرض خاص ، ولذا يسميه البعض « تلاعب الخيال » ، لأن الخيـال حينئذ يكون فى لعب ومرح ، ليس مقيداً بقيود الحقيقة ، ولا مرتبطاً بقوانين الفكر الصحيح .

وإنأوضح مثال لذلك مايجرى بخاطرك ، وأنتجالس جلسة راحة ، على فراش وثيربجانب موقدالنار ، فى يوم منأيام الشتاء ، فان خيالك يلعب ويمرح ، ويذهب بك إلى الأمسوالغد ؛ فتارة تتخيل أمامك مستقبلا براقا ، مملوءاً بالأمانى الحلوة ، والآمال العذبة السـارة ، وطوراً ترى شبح المستقبل مخيفاً مزعجاً ، وجوه مظلماً مكفهراً ، محفوفا بالمخاوف ، فاذا كنت راضيا متفائلا،رأيت كل شىء حسناً مرضياً ، وإن كنت ساخطاً متشائماً ، رأيت ما لايسر وتخيلت مايؤلم من الحوادث المستقبلة ، ونظرت الى الجانب المظلم من جوانب الحياة .

ويسمى العلماء تلك الأفكار التى تجول بخاطرك فى مثل هذه الأوقات « أحلام اليقظة » التى كثيراً ماتمر بذهن المرء حينما يستسلم لخياله ويصبح كالنائم وهومستيقظ ،أو كالغافل وهو منتبه ، فلا هو بالنائم ، ولا بالمستيقظ ؛ ولكنه فى حالة خمود وجمود عقلى ، أقرب ما تكون الى النوم .

وإنما سميت هذه الأفكار (أحلاماً)لأنها مثل أحلامالنوم ، غير مقيدة بالحقيقة ؛فالانسان فيها (يبنى قصوراً فى الهواء) — كما يقولون — ويسبح فى عالم بعيد عن عالم الحقيقة ، ويرى روايات تمثل أمامه ، وتنقضى فصولها سراعاً ، ويكون هو فى الغالب (بطلها) ؛ فهو يفكر فى مستقبله ، ويرسم الخطط ، ويفكر فى الوسـائل المؤدية الى النجاح ؛ ولكن هذا كله (تمثيل) لا أثر فيه للفكر الجدى . وسرعان ماتذهب الرياح بتلك القصور ، وتقضى على

أشباح الأوهام ، نتذرها قاعاً صفصفا ، فيفيق المرء من غفوته ، وقد انحدر من عالم الخيال العذب المرن الى عالم الحقيقة المر الجاف .

ولم يا ترى تقوم هذه الأفكار بالانسان ؟ هل من الممكن تعليلها تعليلا فلسفياً صحيحاً ؟ أم هى من الأسرار المغلقة ، التى لم يصل العلماء بعد الى كشفها وفهمها ؟ أم هى من الأوهام العابثة التى لا طائل تحتها ولا قيمة لها ؟

كلا ! إن لأحلام اليقظة دافعاً ومغزى : فالدافع يكون فى الغالب عدم الرضا بحالة الانسان الراهنة . والمغزى أو الغاية ، هى إرضاء رغبة من الرغبات ، و ميل من الميول المتهورة المغلوبة على أمرها ، كالغريزة الجنسية ، وحب الاطلاع ، والأمل ، وحب الظهور ، والعجب ، وقد يكون الغرض منها إخلاء السبيل أمام أحد الوجدانات ، كالخوف ، والذعر ، والحبة ، والمقت ، وتوبيخ الضمير ، والغضب ، وحب الانتقام .

وليس هناك من مثال يوضح لنا ذلك مثل حكاية بائع الزيت ، التى نقصها عليك الآن من قبيل التفكه :

يقال : إن رجلا كان عنده إناء مملوء زيتا ، فر بخاطره أن يبيع ذلك الزيت ، فقال فى نفسه : إنى اذا بعت هذا الزيت أستطيع أن أشترى بثمنه شاة تلد خرافاً كثيرة ، فأبيعها كلها ، وأشترى بقرة تلد لى عجولا كثيرة ، فأبيعها ثم أتزوج ، فأرزق ولداً ، فأرسله الى المدرسة ، فاذا كبر طالبته بالطاعة ، فأن خالفنى ضربته بعصاى هذه هكذا ... ثم رفع عصاه ليضرب الولد الموهوم ، فضرب إناء الزيت بدلا منه فانكسر ، فخسر الرجل الزيت والولد معا .

فالرجل لم يكن متزوجا ، ولم يكن راضياً بالعيش أعزب ، فمر بخاطره هذا الخيال ، فتحققت رغبته فى الزواج ، فى عالم الاحلام .

ومن هذا المثل ترى أثر الخيال فى أعصاب الحركة والعضلات ، فكأن الرجل قد علم تماماً أنه رزق ولداً وأنه عصاه ، فهم ليعاقبه على عصيانه .

وقريب من هذا المثل ما يحكى من أن فتاة كانت ذاهبة الى السوق ، وعلى رأسها إناء مملوء لبناً ، فقالت فى نفسها : إنى سأبيع هذا اللبن وأشترى بثمنه دجاجة ، وستبيض لى هذه الدجاجة بيضاً كثيراً أبيعه بما يكفى لشراء ملابس لى ، فأشترى هذه الملابس وقبعة جميلة ، ثم أذهب الى صالة الرقص ، فيتهافت على الفتيان ليرقصوا معى ، فحينئذ أضربهم برأسى ، ثم ضربت برأسها فى الهواء فوقع الاناء بما فيه .

فأحلام اليقظة حينئذ وسيلة خيالية لارضاء رغبات كامنة فى النفس ، بدون تكلف المشقات التى تترتب على إرضائها إرضاء حقيقياً .

وهى فى الوقت نفسه مظهر من مظاهر غريزة حب الظهور والتسلط ، لأن بطل حلم اليقظة يكون الحالم نفسه أو أقرب الناس إليه ، كالولد ، أو الأخ ، أو أعز الاصدقاء ، والغالب أن هذا البطل يفوز وينتصر ، ويحصل على رغبته ، فقلما يتخيل الانسان نفسه مهزوماً خاضعاً، على أن ذلك قد يحصل كما إذا أهانك صديق أمام أصدقاء آخرين إهانة بسيطة ، فلم تر وجها لرد الاهانة لبساطتها ، ولكنك تحفظها فى نفسك ، وتكبرها وتعظمها ، فتتصور أن صديقك أهانك إهانة عظمى ، ولكنك سرعان ماتحسن الظن بالموقف ، فتخفف آلامك ، وتتصور أن إخوانك - ولامحالة - قد لاحظوا على المعتدى تعديه ، وأنهم لابد لائموه على ذلك ، وبهذا تعظم منزلتك امام نفسك ، إذ أنك قد صرت عظيما فى نظرهم ، لدرجة أنهم أخذوا على صديقك هذا التعدى ، وأنهم لابد معاتبوه على تعديه .

فالحالم فى الغالب يتصور نفسه منصوراً ، وإذا تخيل أنه مقهور مغلوب على أمره ، فانه يعتقد تماماً أنه على الحق ، وأن التعدى عليه ظلم فى غير محله .

وليس من الممكن أن نقدر بالضبط مدى ماتصل إليه أحلام اليقظة ، فى الأشخاص العاديين، لأننا لا نستطيع تحديد الفرق بين أحلام اليقظة وغيرها من العمليات الخيالية المطلقة ، ولأن كثيراً من الناس يحلمون فى يقظتهم بأكثر مما يظنون ، ولكنهم ينسون أحلامهم النهارية، كما ينسون أحلام النوم .

ومع ذلك نقول : إن أحلام اليقظة تبلغ النهاية الصغرى فى أهل النشاط والعمل المادى والسعادة الدنيوية ، والنهاية الكبرى فى أهل الفكر والنشاط الباطنى ، وإنها فى الأطفال أكثر منها فى البالغين ، الذين يستلزم نموهم الجسمى والعقلى ، وعقائدهم وحياتهم العملية أن يعكفوا على التفكير فى الأعمال المنتجة المثمرة ، ومواجهة الحقائق - كما هى - بدون التجاء إلى الخيال إلا نادرا .

ومن حلام اليقظة مايتعلق بالغاية العظمى أو الأمل أو مطمح نظر الانسان فى الحياة ، (Ideal) ويسمى خيال الآمال أو الخيال (الأيديالى) ، والفرق بينه وبين غيره من أحلام اليقظة أن أفكار المرء أثناء الخيال الأيديالى تكون أشد ارتباطا بمهنته وباستعداده الخاص ، ولذا يمكن تحققها ، ولو آجلا ؛ فالطبيب العادى الذى يتخيل أنه متمتع بمنزلة عظمى فى عالم الطب ، كمنصب كبير الأطباء أو عميد كلية الطب ، يقال عنه إنه يسرح فى عالم الخيال الايديالى ، ماإذا تخيل أنه خطيب ممتع ، قادر على التأثير فى الجماهير ، بلسانه العذب ، ومنطقه الفصيح ، وبيانه الخلاب ، مع كونه طبيباً متخصصا لمهنة الطب ، قيل عنه إنه يسبح فى عالم أحلام اليقظة فقط .

فكل من أحلام اليقظة البحتة ، والخيال الأيدالى : نوع من التخيل المطلق ، إلا أن هذا

مرتبط بمهنة الشخص ، ومن السهل تحققه ، أما ذاك فبعيد عنها،ومن الصعب تحققه ، هذا وإن للخيال الأيدالى أثرا كبيراً فى سلوك الانسان ، فاذا كان صادرا عن عاطفة احترام النفس، أو العاطفة الخلقية ، فانه يحمل الانسان على القيام بأعمال خلقية ، من شأنها تكميل النفس، وإن كان صادراً عن عاطفة أخرى ، فانه يدعو الى أعمال مناسبة لتلك العاطفة .

ومن هنا ترى أنه ليس من الضرورى أن يؤدى الخيال الايدالى الى أعمال يستحسنها المجتمع ، لأن أعمال الشخص الناشئة عن خياله الايدالى ، تتوقف على منزلة ذلك الخيال ،أو على آماله فى الحياة ، وهذه تتوقف على استعداده الطبيعى ، وعلى ما فيه من ضعف يرغب فى تقويته ، وعلى البيئة التى نشأ فيها ، وعلى رأيه فى المثل الأعلى من الرجال .

فمن عنده استعداد طبيعى لنوع من الاعمال ، يتخيل نفسه نابغة فيه ، ومن عنده ضعف فى ناحية يتمنى لو كان قويا فيها ، والذى ينشأ فى بيئة علم يتمنى أن يكون عالما، والذى يهوى السياسة والسياسيين يأمل أن يكون سياسيا ؛ ومن الناس من يعجب باللصوص وأعمالهم الباهرة ، ويتمنى لو كان بارعا مثلهم ، فمثل هذا يكون خياله الايدالى مرتبطا باللصوص والتلصص وربما دعاه ذلك الى محاولة التلصص فتتحقق أحلامه .

ومن الواجب أن تعرف الفرق بين أحلام اليقظة وخيال الواهم أو المخبول. إذ أن الحالم لم يخرج عن كونه متخيلا لايرى إلا بعينى عقله ، وكل أفكاره خيالية مكونة من صور ذهنية تمر بنفسه سراعا ، وهو لايقوم بحركات ناشئة عن أحلام مطابقة لها ، إلا فى أحوال نادرة جداً كما تقدم .

أما الواهم فانه يرى خطأ أشياء تمر أو تتحرك ، فيظن الكرسى امرأة جالسة تهتز ، ويعتقد القميص المعلق مثلا رجلا ناشراً يديه ، ويظن جزع الشجرة رجلا واقفا أو قادما عليه ، وهذا بالطبع نوع من الأمراض العقلية ، التى تعترى الضعفاء والمرضى ، أو الخائفين المذعورين .

وإذا وصل بالمريض الحد الى أنه يتخيل أشياء لاوجود لها، أو يجعل من الصغير كبيراً ، ومن الحقير عظيما ، ثم يعامل هذه الأشباح التى تتراءى له ، معاملة من يعتقد أنها حقائق ، فانه يصل الى مرتبة (الخبل) الذى قد يؤدى الى الجنون المطبق، كما اذا ذهب الى المرأة الموهومة وحاول التسليم عليها ، أو سار نحو الرجل الناشر يديه ، وأخذ يعانقه ، أو الى المقبل عليه ومد يده نحوه .

وسبب الخطأ فى الحالتين اضطراب الأعصاب ، وتهيج المراكز العصبية ، وعدم القدرة على ضبطها ، وبالتحليل النفسى ، وجد أن كثيراً من هذه الأمراض العقلية يرجع الى مخاوف قديمة، ورغبات مكبوتة ، أى أنها من آثار العقل الباطن .

هذا ما عن لى ذكره عن أحلام اليقظة ، والتفرقة بينها وبين مايشبهها من أنواع الخيال المطلق ، وسأتكلم عن أحلام النوم ، وآراء النفسيين فيها ، وبيان مشابهتها لأحلام اليقظة ، فى العدد الآتى إن شاء الله تعالى .

حامد عبد القادر

القواعد الجديدة فى العربية (*)

بقلم الأستاذ مصطفى جواد (بغداد)

لاتحذف ياء « فعيلة » بضم الفاء و «فعيلة» بفتحها عند النسبة إليهما إلا بكونهما علمين ، نحو« جهنى ، وبجلى » نسبة إلى « جهينة ، وبجيلة » فلا تحذف الياء فى : « بديهى ، وسليقى ، وطبيعى ، وغريزى » وامثالها ، وكذلك فعل القدماء ؛ أما تطبيق العلماء ـ شملهم الله بعفوه ـ القاعدة على « فريضة » وقولهم « الفرضى » نسبة إليها ، فقد كان من ظنهم أن القاعدة شاملة للأعلام وغيرها ، وليس فى كلام العرب ما يدل على شمولها غير الأعلام؛ فالاستقراء فى تقريرها كان غير مستحكم الجزئيات ، وإنا نرى ـ على ما قدمنا ـ أمير الشعراء « شوقى بك » مصيباً فى قوله برواية « كليوباترا » :

حياتك « حابى » كنيسية يشاكل أولها المنتهى
يقولون : أننى أفنت العمر بالهوى بهيمية اللذات والشهوات

وهو عند غيرنا من الصرفيين مخطىء ، إذ لم يقل « كنسية » ولا« بهمية » وخطؤه ضرورة عند جهابذة العربية .

٣٠ ـ يصاغ « افتعل » بمعنى «تفاعل» للتشارك صوغا مطرداً للحاجة مثل : « ائتشب : تآشب، واتفق: توافق، وائتكل: تآكل، وائتلف: تآلف،وائتمر:تآمر،وابتدر. تبادر، واجتلد : تجالد ، واجتمع : تجامع، واحتكم : تحاكم ، واحتك : تحاك ، واختصم : تخاصم ، واشتجر:تشاجر،واستبق: تسابق ، واصطلح : تصالح ، واصطدم:تصادم ، واشترك: تشارك ، واستوى : تساوى ، واحترب : تحارب ، واضطرب : تضارب ، واقتسم : تقاسم ، والتقى : تلاقى ، واحتوش : تحاوش ، واعتور : تعاور ، واعتون : تعاون ، واصطخب : تصاخب ، واعترك : تعارك ، واقتتل : تقاتل ، واختلف : تخالف ، وافترق : تفارق ، والتحم: تلاحم، والتأم : تلاءم ، وانتطح : تناطح ، والتبس : تلابس ، واشتبه : تشابه ، وانتدى : تنادى ، واختلط . تخالط ، وامتزج : تمازج ، واهتجى : تهاجى » وما يطول عده ؛ ولسهولة « افتعل » للتشارك لم يرد فى القرآن الكريم إلا « يستوى » من وزنى التشارك ، وإلا

---

[*] هذا هو الجزء الثانى لذلك البحث الذى نشر فى الجزء الثانى عشر [ابريل سنة ١٩٣٢]

«يأتمرون»، واجتمعوا، واختلط، واختلفوا، وفاستبقوا، ومقترنين من اقترنوا أى تعاونوا، وورد غير ن على «التفاعل» لسبب من الأسباب.

٣١ — فعيل بمعنى «مفعول» مطرد الصوغ من كل فعل ثلاثى متعد: كالأخيذ والأسير والأجير والبليل والتريكة والثريد والبتيل والجريش والجديل والجليب والجليف والجميع والجنيب والجريح والحبيس والحريب والحزيم والحشيش والحصيد والحطيطة والخنير والحليب والحليق والحميد والحميل والحمى والخصيف والخضيب والخليفة والخليق والخمير والخبيز والدقيق والذبيح والربيب والربيطة والرجيع والرجيم والرديد والرصيف والرضى والرعية والرقيم والرمية والزبير والسبيئة والسبيكة والسجين والسحيق والسديل والسليل والسليخ والسليب والشحيذ والشجيج والشريب والشريط والشعيب والشرير والشهى والصقيل والصليب والطريح والطريد والطريق والعسيف والعصير والعقيرة والعليفة والعميد والغسيل والغليل والفريسة والقديد والقريض والقزيع والقطيع والقليب والكريب والكسير والنطيح ولوقيذ» وأشباهها كالوليد.

٣٢ — تجوز النسبة إلى الجمع إذا دل على احتراف به كما قالوا: «الأمشاطي والأثوابي والأنماطي والاصباعي والجلودى والقدورى والجواليقي والحاملي والكرابيسي والقماطيرى والخواتيمي والخرائطي والطوابيقى والطرائقي والعمائمي والساعاتى والمغازلي والطنافسي والنوطى والأبرى والكتبي.

٣٣ — جاء المنادى فى كلام العرب على وجهين: مرفوع، ومنصوب؛ فالعلم غير المضاف والنكرة المقصودة، والتابع لأيها وأيتها، ولاسم الاشارة جاءت مرفوعة، مثل: «يانوح ويا رجل، ويأيها الرجل، و«يأيتها النفس المطمئنة، ويا هذا الصبى». والغريب أن المستقرين للقواعد العربية من الأسلاف الصلحاء يوجبون رفع التابع لأيها وأيتها مع إيجابهم نصب المنادى تقديراً، ولو كان مرفوعا حقيقة، وهذه عاقبة الاستقراء الناقص؛ وإن تعجب فعجب قولهم: «يا رجلان» بعلامة رفع مع عدهم إياه منصوبا، فذلك أشبه باللعب والصق بالتخليط والعبث.

٣٤ — كل اسم جامد رباعى ثالثه حرف مد يجمع على «فعلان» بكسر الفاء وضمها مثل: تراب تربان، وخروف خرفان، وصوار صيران، وعقاب عقبان، وغداف غدفان، وغراب غربان، وقراد قردان، وغلام غلمان، وصؤاب صئبان، وكراز كرزان. ومصاد مصدان (كلها مضمومة الفاء)، وغزال غزلان، وبعير بعران، ومصير مصران» وألحقت الصفة به نحو: «بعيد بعدان، وذليل ذلان، وقريب قربان، وقعود قعدان، وقلوص قلصان، وفصيل فصلان».

٣٥ ـ وزن « فاعول » السريانى مطرد فى العربية للمبالغة ، نحو « الجارود والراووق » ومثل : « ساجور وطاحون وقاموس وساعور وهاضوم وناطور وماعون وتادوس وكالهاوون والقاشور والراقود » . وتفيدنا هذه الصيغة فوائد فى تسمية الآلات عند الترجمة .

٣٦ ـ ويطرد جمع «فاعل» على «فعل» بفتح الفاء وسكون العين مثل : «تاجر تجر وسافر سفر وحاج حج وشارخ شرخ وشارب شرب وصاحب صحب وطائر طير وضائن ضأن وشائل شول وزائر زور وسائق سوق وعائذ عوذ وراجل رجل وقائل قيل وناصر نصر ونافر نفر وراكب ركب ونائب نوب ووافد وفد وماعز معز ويابس يبس ويانع ينع » .

٣٧ ـ ويطرد « فاعل » أيضاً المعتل العين أو اللام على « فعال » بكسر الفاء نحو : « جائع جياع وحائل حيال وضار ضراء وراع رعاء وقائم قيام ونائم نيام وآس إساء » .

٣٨ ـ همزة البلوغ فى الفعل مقيسة فى بلوغ الجسمانيات والأوقات مثل : « أشجرت الأرض : بلغت أن يكون فيها شجر ، وأماه الحافر للبئر أى بلغ الماء ، وأرملت السيارة : دخلت فى الرمل ، وأغامت الطيارة : بلغت الغيم ، وأنفط الحفار بلغ معدن النفط ، وأعرق : بلغ العراق ، وأنجد : وصل نجداً ، وأصبح : بلغ الصبح . وأضحى وأظهر وأعصر وأغرب وأعشى أى أدرك الضحى والظهر والعصر والمغرب والعشاء »

٣٩ ـ كل فعل ثلاثى يطرد مصدره على « تفعال » بفتح التاء وعلى ذلك قال السلف : « أخذ تأخاذاً وبرك تبراكا وبان تبياناً وذكر تذكاراً وضرب تضراباً وقتل تقتالا وركض تركاضاً وعقد تعقاداً ورحل ترحالا » ونذكر أن الفيومى ذكر قياس هذا المصدر قبلنا فى مادة «عسف» من مصباحه المنير ، فالسبق له ـ رحمه الله ـ لا لنا (١) .

٤٠ ـ «فعلان» ليس جمعاً لأفعل وفعلاء كأعمى عمياء ، وإنما هو جمع جمعها فتقول : «أسود سود وتجمع السود على سودان ومثله : « أبيض بيض بيضان وأقرع قرع قرعان وأقطع قطعان » ، وجمع الجمع مقيس عند العرب فعليه تقول : «أحمر حمر حمران وأشهب شهب شهبان وأبقع بقع بقعان » .

٤١ ـ الاسم الرباعى الذى ثالثه حرف علة يجمع على « فعائل » وإن خلا من الهاء مثل : « أفال أفائل وأيل أيائل وأصيل أصائل وتليل تلائل وجيد جيائد وحقاق حقائق وسديل سدائل وشمال شمائل وعيل عيائل وضمير ضمائر وقديم قدائم ونظير نظائر وعجوز عجائز ومديح مدائح ويمين يمائن وهجان هجائن ووشاح وشائح » .

(١) قد جارينا غيرنا ههنا ، لأن « التفعال » يجب أن يكون « فعل » بتشديد العين ليقابل « التفعيل » « التفعيل » وهو مصدر قد مات فى العربية . ومن آثاره « الترنوق » من رنق ترنيقاً اى كدر تكديراً ولكنهم سموا به « الطين فى الانهار » ولم يعرفوا حقيقته .

٤٢ – (فعيلى) بكسر الفاء وتشديد العين المكسورة مصدر المضعف له « فعل » الثلاثي فتقول « خلف تخليفاً وخليفى ، ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه « لو أطيق الأذان مع الخليفى لأذنت » أى مع تخليفى وهو جعله خليفة ، ومثله قولهم « بزيزى ، وخصيصى ، وذليلى ، وسبيبى ، ورديدى ، وشميمى ، وقتيتى ، وقثيثى ، ومكيثى ، ونقيضى ، وشبيرى ، وهزيمى ، ووقيفى ، ومسيسى ، وخيرى ».

٤٣ — أنواع الكلمة هى : الاسم والوصف والظرف والمصدر واسم المصدر والفعل والحرف . فالاسم مثل « القلب » والوصف مثل « الكاتب والمكتوب والشريف والعلام والأعلم » والمصدر كالتزويج واسمه كالزواج . فبذلك يزول الاختلاط الحاصل فى العربية ، وعلى هذا التنويع يجب أن تبنى الكتب المدرسية الحديثة ، ولا نجاة لها من الاشتباك العظيم بدونه ، والله من وراء القصد .

(بغداد) مصطفى جواد

المثالى

حياة الاديب

حياة الأديب شقاء وليس لغير الأديب الشقاء خلق
فان قيل عنك أديب فقل : ألا (قل أعوذ برب الفلق) !!

السعادة

قد جد عزمى فامطيت مطية وظللت فى طلب السعادة أجهد
حتى نزلت من القصور أعزها وإذا السعادة لا سعادة توجد !!

عشق النساء

ولقد علمت من الزمان وصرفه وتعاقب الظلمات والأسحار
شيئان لم يدما وإن طال المدى عشق النساء وصحبة الأشرار !!

الشرف

ما لدمعى قد وكف ... ولعينى لا تكف ...
كل كسر صالح ... جبره إلا الشرف !!

محمد عفيفى شاهين

نحن والمستشرقون

الانانية القومية وتحرير الفكر

بقلم الدكتور حسين الهراوى

إذا قدر لك أن تطلع على عدة كتب تاريخية أو أدبية مما يطبع فى مصر فى العهد الحاضر مثلا، تجد أن جميع هذه الكتب (إلا القليل منها) تنقل عن بعضها، فكأن الواحد منها مرآة للأخرى ، من حيث الأسلوب والمعلومات والترتيب والتبويب ، وترى أن الموضوعات المبتكرة قليلة لا تشفى غلة، ولا تروى صادياً ؛ وإذا اتجهت إلى دار الكتب المصرية أو دور الكتب الكبرى، وجدت هناك كتباً وبحوثاً لم تمسسها يد، ولم يعرف ما فيها إنسان، وكل قيمتها الأدبية والتاريخية لا تتجاوز أنها مخطوطة فى القرون الأولى الاسلامية، أما محتوياتها وما فيها من كنوز فنية علمية فليس للباحثين نصيب فى هذا الشأن .

ولذلك نرى أن التاريخ الاسلامى والعبقرية المصرية مازالتا فى موقفهما الأول منذ النهضة المصرية التى شملت جميع مرافق الحياة الأدبية والاجتماعية الآن ، غير أن هذه النهضة الفكرية لم تتجاوز فى نظرنا حدود النقل والترجمة ، أما المباحث المبتكرة، فهى قليلة العدد إلى حد يستدعى الدهشة والعجب .

فهل السبب راجع إلى أن جمهور القراء لا يشجع على البحث ونشر ما طوته جدران دور الكتب من كنوز هى أشبه شىء بكنوز آثار قدماء المصريين التى لم تر الضوء إلى يومنا هذا ؟ أم أن السبب أن هواية البحث الخالص ليست متغلغلة فى النفوس ؟ أم أن الأفكار لم تتجه إلى هذه الناحية ؟

ليكن السبب مهما كان ، فاننا لا زلنا مقصرين فى هذه الناحية ، وهى ناحية البحث المبتكر او دراسة الكتب المخطوطة ، لنخرج منها ذلك العلم المقبور والنور المستور.

ولكن هناك فئة خاصة فى أوربا من القوم الذين يحترفون تدريس اللغات الشرقية للطلبة الأوربيين ويحسنون الألسنة الشرقية، أطلقوا على أنفسهم نعت المستشرقين ، تقدموا عنا فى مثل هذه المباحث، ونشروا كتباً قيمة، كان النسيان أسدل عليها ستاراً كثيفاً من الخفاء، ففازوا

بفضل التقدم ، واكتسبوا شهرة أدبية واسعة ، وزاد فى قيمتها نوع من (البروبوجاندة) والدعاية الغربية ، فأخذ الناس يظنون أن هؤلاء هم أئمة اللغة والأدب ، وأقبل الشرقيون على دراسة مباحثهم ، وقد سمعنا من نفس المصريين من يقول: إن من المستشرقين من يعرفون اللغة العربية أكثر منا ، ويفهمون فى ديننا أكثر من كثير منا .

والحق أقول : إننى كنت أسمع هذه الآراء والمناقشات، وأنا لا أبين رأياً، ولا أنحاز لجانب، حتى قدر لى أن أبحث بعض مواضيع تاريخية أو اجتماعية أو دينية، فكنت أعثر فجأة على آراء المستشرقين فى الشرق والاسلام، فتعترينى هزة الألم ، إما لخطأ فاضح ، أو عدم فهم ، أو تعصب فيما يكتبه المستشرقون عنا ، ولذلك عنيت بقليل من الجهد أن أدرس أثر هؤلاء المستشرقين.

فالمستشرقون كلهم ممن يكونون أساتذة اللغات الشرقية أو العربية مثلا للطلبة الأوربيين، وهؤلاء الطلبة هم الذين يتعلمون هذه اللغات، تمهيداً لتوظيفهم فى الأقطار العربية الرازحة تحت نير الاستعمار الأوربى، كما أن المستشرقين يؤلفون كتباً لرواد الشرق من الأوربيين .

ومهنة كهذه — كما ترى — لها الصبغة الاستعمارية فى أوضح شكل وأنصع مظهر، لجديرة بأن نتيقظ لما ألف فيها وما كتب ، ولذلك لا نخطىء أن نستنتج أن الغاية من وراء هذا العلم هى المادة والاستعمار، وتقبيح الشرق وعاداته ومظاهره .

لذلك فهمت لماذا تطعن الكتب الاجتماعية الأوربية التى تبحث فى مسائل الزواج وتعدد الزوجات فى الدين الاسلامى طعناً جارحا خارجا عن حد المعقول ، حتى لو فرضنا أن قائلها متعصب ما برأ ناه من اختراع أحط أنواع التفكير : فمثلا — فى كتاب (مرشال) عن الزواج يقول: إن الحجاب منتشر فى مصر إلى درجة أن الأم لا يسمح لها أن ترى وجه ابنتها بعد سن الرابعة عشر .

ويقول: إن الفلاحة المصرية قد تعرى كل جسمها أمام الرجال، أما وجهها فلا يراه إنسان .

وقرأت له فى كتاب آخر وصفا للنبى يمنعنى الأدب عن ذكره أو ترجمته .

ولماذا أذهب بك بعيداً فى بحث كتب ومواضيع قد يكون القارىء بعيدا عنها ؟ إن أشهر المستشرقين رجل يقال له (مرجوليوث) كان فى مصر منذ بضع سنين ، فهذا الرجل له مؤلفات كثيرة عن الاسلام كلها طعن جارح ، وفكر خاطىء ، وتعصب ممقوت : فهو يتشكك فى النبى نسباً ، أبا وأما ، ثم يتشكك فى كل ناحية من نواحى الدين : إما بالطعن الجارح ، أو الغمز واللمز .

فهذه الأمثلة عن جماعة المستشرقين فى تأليفهم، تبين لك أنهم إذا كانوا حسنى النية يراعون بيئتهم ويتلمسون رواج بضاعتهم قبل أن يعنوا بالحقائق ، ولذلك كانوا بعيدى المدى عن تفهم روح العربية أو الكتابة عن الموضوعات الشرقية بنفس الروح التى يكتبون بها ما يختص ببلادهم.

ولما كان الشرق يرزح كثيرا تحت نير الاستعمار، وكانت التربية الاستعمارية تتجه بالفكر

الشرق إلى أن يكون عبداً للفكر الغربى ، فترى فئة المتعلمين منا ينظرون إلى الغرب نظرة الاكبار والاعظام، مستسلمين لآرائه استسلاماً من غير قيد أو شرط، ونشأ عن ذلك أن نفوسهم تشربت التشكيك فى أوطانهم وعقائدهم وأخلاقهم، فأخذنا نرى طغياناً هائلا جارفا من الأفكار الغربية يستأثر بالفكر الشرقى ، والروح الشرقى ، والعائلة والوطنية الشرقية .

أما أثر استعباد الفكر الشرقى فتجده واضحاً فى المباحث الاجتماعية الشرقية ، فترى -مثلا- من يبحثون فى الأدب الشرقى يستشهدون بمستشرق، وهذا المستشرق ليس له فضل غير البحث فى الكتب العربية مثل التى فى متناول أيدينا، فلماذا لا نرجع إلى المنهل الذى ورد منه، ونستنتج منه بقدر استطاعتنا ؟

وأما فى الاجتماعيات الشرقية فقد طغى علينا الشىء الكثير من فتنة الغرب ، فترى قصصنا الاجتماعية وفن الروايات عندنا مترجما عن اللغات الأجنبية، لا يخرج عن: موضوع خيانة الأزواج، وحب العذارى ، والزنا ، وما إليه من أنواع مغريات القراءة فى الشباب ، مما يؤثر فى أخلاقنا وقوميتنا، وقد خرج السفور إلى أبشع مظاهر المدنية الغربية من المراقص وغيرها، مما يشكو منه الغربيون أنفسهم، ومما زاد نسبة الطلاق ببلادهم، وأكثر عندنا الحوادث التناسلية والنسائية.

وأما الأثر فى العائلة المصرية فانك تراه واضحاً فى انتشار الزواج بالأجنبيات اللاتى لسن فى مستوى رجالنا المادى والاجتماعى، وترى أن أكبر فخر لشاب منا ، أن يتزوج بأجنبية ، مهما كان نوعها، تفاخراً وتيها على أقرانه .

هذه كلها أثر من آثار الاستعباد الفكرى الذى أدخله الغرب إلى الشرق، وأما فى الغرب فلا زالت النظرة إلينا هى تلك النظرة التى يصورها المستشرقون ، فتجد الشاب المصرى فى البلاد الأجنبية ككل شرقى يطلق عليه الجنس الملون (أى ذا اللون الأسمر) ويسمع عن نفسه وعن بلاده ما لا يخطر على قلب إنسان .

كل ماذكرنا هو الموجة الهائلة التى اكتسح الغرب بها أفكار الشرقيين، ولذلك وجب أن تصادمها موجة أخرى من الشرق، هذه الموجة الأخرى هى الأنانية القومية فى الأدب والاجتماع والصناعة والاعتزاز بالنفس وتحرير الفكر الشرقى من أثر هذا التخدير الطويل الأمد ، فاننا نزعم أن الفكر الشرقى لا يقل عن الغربى، ولكن ينقصه فقط تلك الأنانية القومية فى الأخلاق والعادات والاداب ، وليس من وسيلة لادراك ذلك إلا بالأنانية الأدبية والتاريخية فى التأليف والنشر .

والذى نراه أن أدبنا الحى لا ينهض إلا باستقلال الفكر والأنانية القومية والوطنية ، فليس العلم احتكاراً، ولعمرى إن مصر اليوم لا تقل فى تربية شبيبتها عن أوربا، فلدينا من يتقنون

الفرنسية والانجليزية والألمانية وغيرها أكثر مما عند الغربيين، من الذين يتقنون اللغات الشرقية، إذن فليكن لدينا فئة تدعو الناس إلى طرق التعليم القومى المستقل، كما فعل المستشرقون بعلوم العرب وآدابهم وكتبهم.

ولكن خطأنا الفاضح أننا نعتمد على الغرب حتى فيما يخصنا من التاريخ القومى، ومايخص بلادنا من أدب واجتماع فنستمد تاريخ قدماء المصريين من الكتب الافرنجية، بينما كتب المرحوم أحمد باشا كمال الخطية لازالت رهينة المكاتب والدواليب؛ ونتأثر تاريخ محمد على باشا والثورة العرابية فى كتب أجنبية، ولذلك كانت الأغلاط التاريخية فاشية فى كتبنا مما ستره عنا الفرنج.

أعطيك دليلا واحداً أستطيع أن أعززه بألف مثله:

أنت دائما تقرأ أن مصر فى عهد المغفور له إسماعيل باشا، كانت امبراطورية وغزت الحبشة، ولكنك لاتعلم من هذه الغزوة شيئاً، فاذا رجعت إلى مذكرات عرابى عنها علمت أن إسماعيل باشا كان تواقاً إلى نجاحها فبعث إليها بنجله، ولكن القيادة كانت لمرتزقة الأمريكان الذين لايعرفون شيئاً فى فنون الحرب، فباعوا الجيش المصرى للنجاشى بالمال، واستولوا على المال الذى خصصه إسماعيل باشا لنجاح الحملة.

وتستطيع إذا قارنت كتب التاريخ العربى والقومى أن تعرف مقدار مابينهما من تفاوت فى أثر الروح القومية، مما يحجبه عنك فى الكتب الأجنبية أثر الاستعمار والمنفعة، واستعباد الفكر الشرقى.

وإذا نظرت إلى القطر المصرى خاصة لوجدته قطراً دولياً، فى لغته ونزعته، فالفرنسية والانجليزية والألمانية وكل لغة تقريباً متغلغلة فى البيوت والتجارة، خصوصاً فى الطبقات الراقية؛ وإذا قارنت ذلك بأصغر الدول الأوربية كاليونان وغيرها، وجدت أن مصر لاتقل عنها مدنية، وتزيد عليها ثروة وتعليما؛ ولكنك تجد السر كل السر فى الأنانية القومية وتحرير الفكر.

فنحن هنا نفكر تفكيراً متشعباً، وليس مصوبا للفائدة؛ ومجهودنا الأدبى ضائع لتعدد اتجاهاته؛ ولذلك تجد قوميتنا مرقعة كالثوب البالى، وأدبنا الكتابى الحى، كالطلقات الطائشة التى ليس لها هدف ولا مرمى.

وليس فى رأينا من وسيلة للنهضة الحقة إلا تركيز اتجاه الفكر بعد تحريره إلى الأنانية القومية والشعور الذاتى.

الدكتور

حسين الهراوى

على باشـــــــا مبارك

١٨٢٤ — ١٨٩٣

زعيم نهضة العلم والتعليم فى عصر اسماعيل

بقلم الاستاذ الجليل : عبد الرحمن بك الرافعى

(تتمة البحث)

معمل الـكيمياء والطبيعة

وأنشأ بدرب الجماميز أيضاً معملا للـكيمياء والطبيعة، لتوسيع مدارك التلاميذ فى العلوم الطبيعية وإطلاعهم على تجاربها ومشاهداتها ، والمران على استعمال الآلات الرياضية والطبيعية.

أعماله الهندسية

إن شهرة على باشا مبارك تقوم فى الغالب على خدماته الجليلة للتعليم ، على أن له مآثر أخرى فى أعمال العمران التى تمت فى عهد اسماعيل، سواء فى الرى أم فى تنظيم القاهرة وغيرها .

فليس يخفى أنه بولايته وزارة الأشغال عهد إليه الخديوى بمعظم الأعمال التى استحدثت فى ذلك العهد .

فاشترك فى تنظيم القاهرة وتوسيع شوارعها وحاراتها ، وإنشاء أحيائها الجديدة ، ومعظم الأعمال التى تمت من هذا القبيل نفذت فى عهده ، مثل شارع محمد على ، وميدانه ، وشوارع الأزبكية ، وميدانها ، والشـوارع المنشأة بعابدين ، وباب اللوق ، وغيرها مما هو بداخل المدينة وخارجها .

قال فى هذا الصدد: « وجرى العمل على ذلك ، فظهرت كل هذه المبانى الحسنة، والشوارع المستقيمة، المحفوفة بالأشجار والخضرة النضرة، المستوجبة للقادمين على المدينة انشراح الصدور، والفرح والسرور، وأزيل ما كان بجهتها البحرية من التلال، التى كانت تمتد من جهة الفجالة إلى قرب باب الفتوح ، ثم تبرع الخديوى اسماعيل للراغبين بمواضع كثيرة، فأنشأوا بها المبانى

المشيدة ، والبساتين العديدة ، وناهيك بقصور الاسماعيلية ، ودورها ، وبساتينها وشوارعها التى يكل الوصف عن محاسن بهجتها » .

واشترك فى استحداث الأنارة بغاز الاستصباح،وإقامة وابور المياه، لتغذية القاهرة بماء الشرب الصالح بواسطة شركتى النور والمياه ، وإقامة (كوبرى) قصر النيل البديع ،وغير ذلك من الأعمال النافعة .

وساهم أيضاً فى أعمال العمران بمدينة الاسكندرية والسويس ، وما أقيم فى المديريات من الدواوين ، والجسور ، والقناطر ، والترع ، ومن أعظمها شأناً ترعة الابراهيمية ، وترعة الاسماعيلية ، قال فى هذا الصدد « هذه الأعمال جميعها أو أكثرها،كنت أباشر أوامرها من رسومات وشروط مع المقاولين ونحو ذلك لتعلقها بديوان الأشغال ، فكنت فى مدة إحالة هذه الدواوين على،مشغولا بالمصالح الأميرية ، وتنفيذ الأغراض الخديوية ، ليلا ونهاراً ،حتى لا أرى وقتاً ألتفت فيه لأحوالى الخاصة بى ، ولا أدخل بيتى إلا ليلا ، بل كنت أفكر فى الليل فيما يفعل بالنهار » .

وكان متولياً وزارة الأشغال عند افتتاح قناة السويس ، فعهد إليه الخديوى اسماعيل باعداد معدات حفلاته الفخمة .

ومن أعماله فى ديوان الأوقاف أنه حكر كثيراً من أراضى القاهرة للراغبين فى بنائها مقابل حكر ضئيل يدفعونه كل سنة ، فعمرت جهات كانت من قبل خراباً بلقعاً ، وأقيمت المبانى والعمائر فى أخطاط عديدة من المدينة .

وبادارته لمصلحة السكك الحديدية،اشترك فى مد كثير من الخطوط الحديدية وإنشاء محطاتها

انفصاله عن الوزارة ثم عودته

انفصل المترجم عن إدارة السكك الحديدية،ثم عن وزارة المعارف والأشغال ، سنة ١٨٧٠ ثم عن الأوقاف سنة ١٨٧١ ، لخلاف وقع بينه وبين اسماعيل صديق باشا (المفتش) وزير المالية المشهور بحظوته عند الخديوى اسماعيل ، ذلك أن المفتش رغب فى أن يضم إيراد السكك الحديدية إلى وزارة المالية ، فلم يقبل على باشا مبارك هذا الضم، إلا إذا تعهدت المالية بجميع نفقات المصلحة ، فوقع الخلاف بين الرجلين ، ووشى اسماعيل صديق بالمترجم عند الخديوى، فأدى ذلك إلى انفصاله عن الوزارات التى كان يقوم بأعبائها ، ولزم بيته ، على أن انفصاله لم يدم أكثر من عدة أشهر ، ولعل الخديوى شعر بالفراغ الذى ترتب على انفصاله عن العمل ، ولم تجد بين وزرائه من يسد هذا الفراغ ؛ فعهد إليه ثانياً فى (١٣ مايو سنة ١٨٧١) بادارة

للدارس ، ثم بالنظر على ديوان الأوقاف ، وبعد قليل أعيد إلى ديوان الأشغال ، وبقى يتـولى وزارة المعارف إلى أغسطس سنة ١٨٧٢ .

ثم عن للخديوى أن يعين ابنه حسين كامل باشا (السلطان حسين كامل) ناظراً لهذه الدواوين، وبقى المترجم متولى شؤونها، وصار منصبه «مستشاراً » لها، وبعد قليل انفصل ديوان الأشغال برئاسة الأمير حسين كامل، وجعل المترجم وكيلا له .

ثم عين المترجم عضواً بالمجلس الخصوصى، الذى كان بمنزلة مجلس الوزراء، وبعد قليل انفصل عنه لما ألقاه فى حقه الواشون، كاسماعيل باشا صديق وأضرابه، وما أرجفوا به، من أن كتابه (نخبة الفكر) الذى كلفه الخديوى تأليفه عن النيل، مشتمل على نقد الحكومة الخديوية، وتقبيح سياستها ، فلزم بيته ثانياً .

وفى شهر صفر سنة ١٢٩١ (مارس سنة ١٨٧٤) جعل رئيساً لقسم الهندسة بديوان الأشغال ، ولما ألحق هذا الديوان بوزارة الداخلية، التى تولاها الأمير محمد توفيق، ولى عهد الأريكة الخديوية ، جعل المترجم مستشارا له ، ثم استقل ديوان الأشغال فبقى المترجم مستشاراً للديوان.

ولا شك أن تعيين على باشا مبارك فى هذه المناصب الثانوية، كان نتيجة الوشاية التى ألقاها اسماعيل صديق فى حقه عند الخديوى .

في وزارة نوبار باشا

ولما وقعت بمصر الأحداث المالية ، وحدث التدخل الاجنبى، وعينت لجنة التحقيق الدولية كان من مطالب اللجنة تنازل الخديوى عن سلطته المطلقة، لمجلس النظار ، فتألفت وزارة نوبار باشا الأولى، سنة ١٨٧٨، وهى الوزارة التى دخلها وزيران أوربيان، يمثلان المصالح الأجنبية .

واشترك المترجم فى تلك الوزارة، إذ تولى المعارف والأوقاف، واستأنف عمله فى إحياء نهضة التعليم ، فشرع فى بناء بعض المدارس الابتدائية ، كمدرسة طنطا، ومدرسة المنصورة ، وظل قائماً بعمله فى جو مملوء بالاضطرابات والارتباكات، إلى أن استهدفت وزارة نوبار باشا إلى سخط الأمة ، وثار عليها الضباط ثورتهم الأولى ، فى فبراير سنة ١٨٧٩، وخلفتها وزارة توفيق باشا القصيرة المدى .

ثم دعى شريف باشا الوزير المشهور، إلى تأليف الوزارة الجديدة، استجابة لمطالب الأحرار، فألف وزارته المعروفة بالوزارة الوطنية .

وكان طبيعياً أن لا يكون المترجم من أعضائها ، لأن الوزارة النوبارية سقطت، مغضوباً عليها من الشعب ، إذ كانت متهمة بممالأة الدول الأجنبية .

وفى عهد وزارة شريف باشا اشتدت الأزمة السياسة ، بين الخديوى اسماعيل والدول الأوربية ، وانتهت بخلعه نزولا على إرادة الدول .

فى عهد الخديوى توفيق

وبعد أن تولى توفيق باشامسند الخديوية ، وعهد إلى رياض باشا تأليف الوزارة ؛ كان على باشا مبارك عضواً فيها ، متقلداً وزارة الأشغال ، فبذل جهداً ممدوحاً فى تنظيم هذه الوزارة والقيام بكثير من أعمال الرى والعمران .

الثورة العرابية

وفى عهد وزارة رياض،هبت عواصف الثورة العرابية ، ولم يكن على باشا مبارك من أنصار الثورة ، بل كان يميل إلى الروية وأخذ الامور بالحكمة والهوادة ، ونصح العرابيين بالاعتدال ، فلم يسمعوا له نصحاً ، وقدتبين أنه كان أبعد نظراً منهم ، لأنه لايخفى أن التطرف والشطط ، فى مسلك الثورة العرابية، كانا من الاسباب التى أدت إلى كارثة الاحتلال .

لم يكن المترجم إذن من أنصار الثورة، بل كان عضواً فى وزارة رياض باشا، التى تحركت الثورة لمناوأتها وإسقاطها ،وقدسقطت فعلا نزولا على إرادة الجيش ، وألف شريف باشا الوزارة الجديدة.

ومع أن شريف باشا كان يقدر كفاءة على مبارك باشا واستقامته وإخلاصه، إلا أنه لم يشركه فى الوزارة، لأنه كان عضواً فى وزارة رياض المغضوب عليها من الشعب ، وهكذا قدر على المترجم أن يكون عضواً فى الوزارتين اللتين هبت عليهما عواصف الثورة، واستقالتا نزولا على إرادة الثوار .

فالأولى وزارة نوبار باشا التى سقطت بتأثير ثورة الضباط فى عهد إسماعيل ، والثانية وزارة رياض التى سقطت نزولا على إرادة العرابيين .

ولما استقالت وزارة شريف وأعقبتها وزارة محمود سامى باشا البارودى ، ظل على مبارك بعيداً عن الوزارة ، وفى عهد وزارة البارودى جاء الأسطول البريطانى إلى ثغر الاسكندرية، ثم تلاحقت الأحداث إلى أن رزئت البلاد بالاحتلال الانجليزى .

ولما قامت الحرب بين العرابيين والانجليز،وانحاز الخديوى توفيق باشا إلى الاحتلال ، انعقدت جمعية عمومية فى القاهرة، تضم أعيان البلاد وذوى المكانة فيها ، وحضر على باشا مبارك هذه الجمعية ، وكان ضمن الوفد الذى انتدبته الجمعية للسفر إلى الاسكندرية، ومقابلة الخديوى توفيق باشا لابلاغه قرارات الجمعية ، فلما وصل إلى الاسكندرية سعى فى طريقة لتهدئة الحالة فلم ينجح ، فانحاز الى الخديوى .

فى وزارة شريف باشا الرابعة

ولما ألف شريف باشا وزارته الرابعة سنة ١٨٨٢ عقب الاحتلال كان المترجم ضمن أعضائها ، وتقلد وزارة الأشغال ، فعنى بأعمال الرى والعمران كما كان شأنه ، كلما تولى هذه الوزارة .

ووزارة شريف باشا هى التى استقالت احتجاجاً على سلخ السودان عن مصر ، فالمترجم يناله جانب من الموقف المشرف الذى وقفه شريف باشا ، بتقديم استقالته التاريخية .

وقد اعتزل على مبارك المناصب أثناء وزارة نوبار باشا التى خلفت وزارة شريف وتقلدت الحكم من سنة ١٨٨٤ إلى سنة ١٨٨٨ .

فى وزارة رياض باشا

وبعد استقالة نوبار تولى رياض باشا الوزارة ، فكان على باشا مبارك ضمن أعضائها وزيراً للمعارف العمومية ، وهى الفترة التى ظهر فيها كتابه الخالد .. (الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة الشهيرة) .

وهو دائرة معارف لخطط مصر وآثارها وجغرافيتها وتاريخها فى عصورها القديمة والحديثة ، ويعد تكملة وتجديداً لخطط المقريزى ، ولكتاب تخطيط مصر الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية ، وفيه وصف شامل لمدن مصر ، وقراها ، ونيلها ، وترعها ، وبحيراتها ، وسواحلها ، وتخطيط كامل لأحياء القاهرة ، وشوارعها ، ودروبها ، وميادينها ، وما احتوت عليه من المبانى ، والمساجد ، والزوايا ، والأضرحة ، والربط ، والتكايا ، والأسبلة ، والقصور ، والوكائل ، والحمامات ، والكنائس ، والأديرة ، والمدارس ، والمكاتب ، مع تراجم علماء مصر وشعرائها وأدبائها وحكامها وأمرائها ، ومرجعه فى هذه الموسوعة الكبرى ، كتب التاريخ والخطط ، قديمها وحديثها ، وحجج الأوقاف والأملاك ومباحثه ومشاهداته ، وما وجده مسطوراً على الأحجار والجدران ، ولئن قيل إن العلامة على باشا مبارك استعان فى وضع الخطط بطائفة من المهندسين من تلاميذه ومرؤوسيه فى وزارة الأشغال والمعارف ، فذلك لا ينقص من فضله ، ولا يقلل من عظم العمل الذى اضطلع به ، وحسبه أن إرادته وجهت مساعديه إلى معاونته فى البحث والتنقيب ، وروحه تتمشى فى جميع أبواب الكتاب ومباحثه .

وتقع الخطط التوفيقية فى عشرين مجلداً ، ظهرت سنتى ١٣٠٥ ١٣٠٦ إلى سنة (١٨٨٧-١٨٨٩) . أفرد المؤلف الأجزاء الستة الأولى للقاهرة ، والجزء السابع للاسكندرية . والأجزاء الأخرى لبقية مدن القطر المصرى وقراه ، وخصص الجزء الثامن عشر لمقياس النيل ، والتاسع عشر لترع مصر ورياحاتها ومنشآت الرى فيها ، والعشرين لنقودها القديمة والحديثة ، وبالجملة

فهذا الكتاب غرة فى تاريخ مصر العلمى، ومأثره خالدة للمترجم ، وهو مرجع لكل باحث فى شؤون مصر العلمية والهندسية والتاريخية .

واستأنف المترجم جهوده فى عهد وزارة رياض باشا لنشر التعليم وإنشاء المدارس ، ومن أجل أعماله فى هذا العهد تقريره طبع كتاب (مرشد الحيران إلى معرفة أحوال الانسان) تأليف العلامة (محمد قدرى باشا)، كان هذا الكتاب الجليل مخطوطاً، فرأى العلامة على باشا مبارك أن يخرجه للناس منشورا لتعم فائدته ، فاشتراه من ورثة المرحوم قدرى باشا، وطبعه سنة ١٨٩٠ على نفقة الوزارة ، وقررت تدريسه فى مدرسة الحقوق، ودار العلوم ، فأسدى بذلك خدمة عظمى للعلوم الشرعية، والقانونية ، وللنهضه العلمية ، والتشريعية .

ولما استقالت وزارة رياض باشا لزم المترجم بيته ، ثم سافر إلى بلده لتفقد أملاكه وإصلاحها بعد أن تركها وأهمل شأنها طوال السنين لاشتغاله بالمصالح العامة ، وهناك مرض بداء المثانة فعاد إلى مصر .

وفاته

وألح عليه المرض إلى أن وافته المنية بمصر فى منزله بالحلمية الجديدة، فى ١٤ نوفمبر سنة ١٨٩٣ ، فانطفأت الشعلة التى أضاءت البلاد بأنوار العلم والعرفان ، نيفاً وأربعين سنة ، وأقفلت المدارس حدادا على أبيها ، وارتجت البلاد حزناً على فقيدها ، وانتقل المترجم إلى عالم الخلود، تاركا ذكرى مجيدة، حافلة بما أداه لمصر من جلائل الأعمال؟

عبد الرحمن الرافعى

في الاجتماع

كيف تختار الزوجة ؟

بقلم الاستاذ مصطفى جاد أبو العلا

دبلوم دار العلوم العليا

إن حسن الاختيار أو صحة الانتخاب، لهو أساس الحياة الزوجية ، والحق الثابت لكل من الرجل والمرأة ، إذ عليه قوام المستقبل : فاما نعيم وهناء ، وإما ذل وشقاء ، وقد جرت العادة أن الرجل هو الذى يطلب الزواج ويختار الزوجة ، فالتبعة الأولى واقعة عليه ، وأول مايجب أن يوجه طالب الزواج نظره إليه إيجاد زوجة تضاهيه : عادات وأخلاقا وميولا ، لأنها ستكون شريكة حياته ، والنفس بطبعها لاتألف إلا من كانت صفاته وعاداته تشاكل صفاتها وعاداتها ، ولا غرور فالاتحاد فى الخلق والطباع ، هو دعامة الحياة الزوجية .

وينبغى ألا يكون الباعث الأول للزواج تلبية نداء الشهوات، واتباع أهواء النفس، فقلما ينجح الزواج الذى يبنى على هذا الأساس ؛ ولكن النفس أمارة بالسوء ، لهذا ترى البعض يبنى اختياره للزوجة على كثرة المال ، أو وفرة الجمال ، وكلا الأساسين واهى القواعد ، والتعويل عليهما دليل ضعف الارادة وانحطاط النفس؛ فالذى يختار الزوجة طمعاً فى ثروتها ، يكفيه عاراً أنه لايختارها لذاتها ، بل لأمر يجعلها وسيلة لا غاية ، فلا يكون سعيه هذا إلا كسعى كل عاطل من حلية الكسب ، أو طامع يبنى مجده وسعادته بما لا يملكه ، وإنى لذاكر لهذه المناسبة ماجاء فى هذا الصدد : بدائرة معارف القرن العشرين لنتبين خطأ ذلك الرجل :

« إن لطالب الزواج أن يستقصى الأحوال الطبيعية الخاصة بالفتاة ، وما يرتبط بها من الأحوال والشروط الأخر ، كان تكون جميلة مؤدبة متعلمة ، راغبة بصدق فى العمل ، على إقامة بناء الاجتماع العائلى ؛ أما الثروة فانى أعتقد أن سعادة الزواج لاتتم بمعناها الصحيح إلا إذا كانت ثروة الزوجة فضلها وعفتها وجمالها دون مالها ، فقد خلق الله الرجال قوامين على النساء ، أى عليهم القيام بحاجاتهن من مأكل ومشرب وملبس ؛

وفرضت الطبيعة على الرجال ذلك ، وطبع الرجل على أن يكون رئيس بيته وقائد أولاده، وسبب كل خير فى أسرته، يسره أن يدخل بيته فلا يجد فيه متاعاً أو أثاثاً إلا وهو من ثمرات كدحه ونتيجة جده ، ولا يرى فيه أحداً إلا وهو عالة عليه فى مأكله ومشربه وملبسه ، هنالك تتجسم له اللذة على قدر تجسم هذه العهدة الملقاة على عاتقه ، ويشعر بارتياح لا يشعر به إلا كل عالى الهمة شريف النفس . »

ونحن إذا أعرنا الرجل الذى يتزوج الغنية نظرة ، وجدناه يدخل بيته فيرى به متاعاً أو أثاثاً ليس شىء منه من ثمرة كده ، ثم يتأمل فى امرأته وأبنائه فيراهم فى غنى عنه ، فيشعر عندئذ أن وجوده والعدم سيان فى نظرهم من جهة الاتفاق على مرافق المعيشة ، هذا الشعور وحده كاف لافقاده لذة الزوجية والأبوة بما لا يعوضه منها شىء آخر فى حياته .

ومن جهة أخرى فان هذا الزوج يصبح فى نظر زوجته مفقود الكرامة والرجولة ، فلا تنظر إليه باعتبار أنه عائلها والحامى لها ، بل باعتبار أنه واحد ممن تعولهم هى بمالها ، ويعيشون على حسابها ، هذا إذا كانت ذكية النفس عالية الأخلاق ؛ ولكنها إذا كانت منحطة الهمة ساقطة الاداب فانها تمن عليه بمالها ، وتظهر له فى كل مناسبة أنها غنية عنه بذاتها ، وأن لديها من المال ما يكفيها ، فيكون مقامه محفوفاً بالأكدار ، مشوباً بالمنغصات؛ وأما الذى يستهويه سلطان الجمال فهو يبنى الرجاء على شفير هار ، لأن الجمال وصف زائل فضلا عن أن تأثيره فى النفس لا يدوم وهو كما قيل « مرعى »

ولن تجد « مرعى » ممرعاً أبداً   إلا وجدت به آثار منتجع

وما مثل أولئك الذين يقبلون على الزواج ، خصوصاً لسلطان الجمال ، إلا كالطفل الذى يستهويه جمال الفراشة فيقضى نهاره ركضاً وراءها فى تنقلها من غصن إلى غصن ، حتى يعييه التعب فيقعد ملوماً محسوراً ، ولله در القائل :

والحسن فى النفس لا فى الوجه تبصره   والحسن فى الغيد أصباغ وألوان

فالذين يختارون زوجاتهم مدفوعين بعوامل الطمع ، أو الشهوة ، لا يصلحون للحياة الزوجية لأنهم عبيد شهواتهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :« من تزوج امرأة لمالها أو لجمالها أورثه الله ذلها » وقال : «تخيروا لنطفكم ، فان العرق دساس » .

وعندى أن الصفات التى يشترك فيها الزوجان وتصلح دعامة للاختيار ، هى الصفات النفسية قبل كل شىء ، ثم البدنية بعد ذلك . وأهم صفات النفس: الاخلاق، والتربية ، والتقوى، وسلامة الجسم من العاهات ، ويضاف فى الرجل القدرة على المعيشة ، أما اشتراط الحسن فهو من الكماليات، ولو أن النفس بطبعها ميالة إلى الجمال ، قال صلى الله عليه وسلم :« الدنيا متاع

وخيرمتاعها الزوجة الصالحة » وقال (نابليون): « المرأة الجميلة تسر العين، والصالحة تسر القلب، أولاهما جوهرة ، والثانية كنز » ويكاد تأثير الاحتشام يضارع جاذبية الجمال.

فلا تخترها فتاة تميل إلى الاقتران بغيرك ، لأنه لاخير فى زواج لا يكون أساسه الحب الخالص ، وألا تكون ميالة إلى الخلاعة واللهو والمداعبة ، فأنها تقلق راحتك بملاحظتها ومراقبتها ، وربما جرها العناد إلى طرق أبواب الفساد ، فتدنس بذلك شرفها وشرفك ، ولا تقترن بالمتكبرة التى لايهمها سوى أمر نفسها ، فأنها ترى أن العالم وسكانه دونها عظمة ومجداً فتزعجك فى كل وقت بعظمتها ، وتشمخ عليك بكبريائها ، فتكدر عليك صفو حياتك ، بل اخترها نشيطة محبة للعمل ، فأنها تساعدك فى بعض أعمالك ، وتقوم مقامك اذا كنت مريضاً ، وابتعد عمن تأنف أو تأبى العمل بيدها فى شئون البيت كالطبخ أو الغسل أو الحياكة ... الخ ، وأن تكون من سنك أو أصغر بقليل ، بحيث لا يكون الفرق بين سنيكما عظيما ، وقد كان الناس من قبل يستحسنون صغر الزوجة ، كى يربوها على ما يحبون ، أما الآن وقد صارت الفتاة تربى فى بيت أبيها تربية لاتقل عن التربية اللازمة ، فمن الواجب أن تبقى فى بيت أبيها إلى أن يتسنى لها درس واجبات الزوجة نحو زوجها على والدتها ، التى هى لها خير أستاذ ، ويجب أن تترك فى بيت أبيها إلى سن الرشد ، بل بعده، حتى تشعر بحقيقة الداعى إلى الزواج ، وما يتطلبه هذا منها ، ليس نحو زوجها فحسب ، بل نحو أولادها وأقربائها وأقرباء زوجها ، وأن تكون فتاة تحبها وتحبك ، وتتحقق من صدق حبها لك حباً طاهراً ، فالحب الطاهر سر سعادة الأسرة ، ومصباح الهناءة والسرور ؛ وأن تكون متحلية بالآداب السامية والأخلاق الراقية ، فانها تسر القلب بآدابها ، وتشرح الصدر بمحاسن أخلاقها ، وتعود ذلك أبناءها، وألا تكون جاهلة ، إذ من الحمق أن تسلم زمام المنزل لمن لا تدرى من واجباتها شيئاً ، أو تكل إليها تربية أطفالها وتهذيبهم ، وهى لاتعرف للتهذيب معنى .

ولهذه المناسبة أقول :

إن المصريات لسن كلهن متعلمات ، وناشئة ذلك اختلاف آراء الآباء فى تعليم الفتاة ، فلو آثرنا البنات المتعلمات على غيرهن لكسدت سوق غير المتعلمات وأصبحن عبئاً ثقيلا على الهيئة الاجتماعية ، ولساءت العقبى إذا تملكهن اليأس فخرجن عن حدود العفة والكمال ، وقد اشتدت الشكوى والحسرة من سلوك كثير من الفتيات المتعلمات ، وإنك لتراهن يمشين فى الطرقات مشية الخلاعة، ويتبجحن فى كلامهن وأقوالهن ، ويترددن على محال الملاهى خليعات متبرجات ، فتبدو عليك علامات الاشمئزاز ، بل علامات الخجل من فتيات أمة أنت تنسب إليها ، وتود أن تبلغ مراتب الكمال بين الأمم ، نعم تخجل من بنات لم ترد بتعليمهن إلا

بلوغ الكمال ، فاذا بهن نزلن بنا إلى الحضيض ؛ لا أقول ذلك عن أولئك المتعلمات جميعهن بل إنى أعترف أن بينهن من عكف أهلوهن على تهذيبهن ، ومراقبة أخلاقهن ، فانتفعن بالعلم وبلغن به سبل الرشاد ؛ ولكنهن وياللأسف نادرات ونادرات جداً .

ومن ذلك يتبين لنا أن التعليم شيء والتهذيب شيء آخر ، وأنه لافائدة ترجى من المتعلمات إذا لم يجملهن التهذيب ، وقد قصر الآباء والقوامون على الفتيات مهمتهم على تعليمهن ، ولم يلتفتوا إلى تهذيبهن ، فتحول إلى الشر ما أرادوه من الخير ، ولو تمشت هذه الحال بغير حاجز لتدهورت الأسر المصرية ، وسقطت فى مهواة لا قرارة لها ، وليس بخاف ما ينجم عن ذلك من سوء المصير ، بضياع روح الفضيلة فى الأمة :

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فان همو ذهبت أخلاقهم ذهبوا

أما الفتيات غير المتعلمات فانك لاتجد فيهن غالباً هذه الأعراض التى أصابت المتعلمات ، وذلك راجع إلى سهر المسيطرين على تهذيب أخلاقهن ، وإرشادهن إلى الطريق السوى ،وإنى لأفضل فتاة غير متعلمة — ولكنها مهذبة — على متعلمة غير مهذبة .

ويقينى ان يجتهد الآباء والمسيطرون فى تثقيف الفتيات وتهذيبهن حتى ينشأن نشأة صالحة ، لاتشوبها عيوب التقاليد العرجاء ولاتعتورها نتائج الاهمال الوخيمة « فبنات اليوم هن أمهات الغد » والفتاة فى منزل أبيها — كما قال الشيخ نجيب الحداد — « كالغصن الرطب تنميها كما تشاء ، ونفسها كطين الخاتم اللين ، تطبعها كما تريد ، فكل ما تغرسه فى روحها فتاة تريك إياه امرأة ، وكل ماتؤدبها به عذراء يظهر لك منها متزوجة »

ولما كان لكل رأيه ، وله حق الجاهرة به أقول :

إن السعادة كل السعادة فى اختيار « المتعلمة المهذبة » ، فمن الواجب إذن على الآباء أن يعنوا بتأديب بناتهم وهن فى سن الحداثة ، ويعلموهن العلوم والمعارف ، التى تجعلهن يستعملن جمالهن فى الأمور الطيبة ، والتى لها مساس بوظيفتهن الهامة ، فالمرأة لها أهم وظيفة فى المجتمع الانسانى ، قال أحد كتاب الغرب: « أخلاق الرجال دائما نتيجة تربية الأمهات » فعليها يترتب نظام الكون ، وبها ينشأ الرجال الذين تطأطيء الرؤوس إجلالا لذكر أسمائهم ، فوظيفتها إذن عظيمة ، لاسيما وهى قادرة على أعمال لايتيسر للرجال فعلها ، فيمكنها تربية الأطفال والعناية بأمرهم ، بخلاف الرجل فانه لايقوى ولايجد من نفسه صبراً على أداء ذلك .

وفوق خطورة وظيفتها ، فالانسان يتزوجها لكى يجد منها صديقاً نصوحاً ، ويصادف قلباً شفيقاً ، وإنساناً يسليه من همومه ، ويشاركه فى سرائه وضرائه، فتتحقق آماله فيها إن كانت ممن تعلمن وتهذبن ، إذا أصابته مصيبة ذكرته بمصائب غيره ، فيخفف عنه هذا بعض الألم، وإن وقع فى خطر كان له من مشورتها سبيل إلى النجاة ، وإن كان فى ضيق أوجدت له بحزمها مخرجاً منه .

أما إن كانت من اللاتى لم يذقن طعم التعليم والتهذيب ، فان حياته تكون أمر حياة ، فاذا أتته مصيبة أعانته فى زيادة جلب الأذى له ، وإن كان مديناً أكثرته طلبا بلا رحمة ولا شفقة ، حتى يزداد دينه ويصبح مغلول اليدين راسفاً فى قيود الذل والهوان ، يأتى من محل عمله إلى بيته ليجد فيه الراحة ، وليرى من زوجه وجهاً باشاً وثغراً باسماً ، فيدخل البيت وإذا به يراه فى سكينة يحسبها من نتائج السرور وما هى إلا دلائل الغم والهم ، وما يكاد ينظر وجهها حتى يرى الكآبة بادية عليه .

هذه هى نتائج سوء التربية . وهذا هو بعض ما تجلبه المرأة الجاهلة غير المهذبة لزوجها من المصائب.

مصطفى جاد أبو العلا

النهضة النسائية فى مصر

للشاعر الكبير الأستاذ محمد الهراوى

نهضن فما غادرن للمجد مطلبا ... وقمن فما أبقين فى النفس مأربا
عقائل مصر قد نزعن إلى العلى ... وأقسمن لايلوين عنها تنكبا
رءين بلاد النيل حاق بها الأسى ... عليها عدا صرف الليالى وأجلبا
فثرن وراء الخدر ثم عدونه ... يوالين أحداث الزمان تعقبا
غضبن لمصر غضبة فأريننا ... غزال النقى فى ثورة الليث مغضبا
خرجن يظاهرن الرجال على هدى ... وألفن فى يوم المواكب موكبا
توشحن بالأعلام، فالكوكب الذى ... بدا فوقها ضمت حواشيه كوكبا
نشرن عليهن البنود خوافقا ... فلحن طواويسا وهن من الظبا
تميل بها فى الجانبين أكفها ... كما مال غصن داعبته يد الصبا
تسنمن أعواد المنابر غدوة ... يثرن جوى الأحشاء حتى تلهبا
خطبن فأججن النفوس كأنما ... وصلن بطى النفس سلكا مكهربا
خطبن ولولا أنهن على أسى ... لأسمعننا سجع الحمام على الربى
نزلن إلى الأسواق تجار رحمة ... وما رمن إلا جانب الله مكسبا
فحيا فريق طلعة الغيد مثنيا ... وعاب فريق أن درجن من الخبا
ومن عائب فى حب مصر عقائلا ... طرحن قليلا للبلاد التحجبا
فلم يتعدين الحدود إلى الهوى ... ولم تستملهن المظاهر خلبا
مخافة قول العاذلين شماتة ... تخذن حمى الأوطان فى الجد ملعبا
ووالله ما امتدت عيون بريبة ... لهن ولا ظن بسوء تسربا
منى فى نفوس الغيد للمجد وحده ... وما للهوى فى الجد أن يتغلبا
أعيذ الغوانى أن تطيش بها المنى ... ضلالا وأن تمضى أمانيها هبا
إذا ما بنات النيل قد همن بالعلا ... فهنىء بهن النيل فالنيل أنجبا
لعمر أبى قد أنجب النيل صفوة ... من الغيد تأبى أن يذل ويغضبا
تغار عليه أن تلين قناته ... وتحذر أن يبقى معنى معذبا
لقد مشت الدنيا إلى الغاية التى ... ينادى بها الأحرار شرقا ومغربا
وقامت نساء الغرب يغلون فى المنى ... فما قيل: شطت فى الأمانى مذهبا
أكان عجيبا أن يقوم نساؤنا ... ولو هن لازمن الخبا كان أعجبا
عقائلنا! إن الأمانى أقبلت ... تصافح منكن البنان المخضبا
رماكن قوم بالجمود وأرجفوا ... ومدوا لسان السوء بالسوء مسهبا
وما علموا ألا لا بارك الله فيهمو، ... بأن وراء الخدر فخراً محجبا
سيقدركن النيل يوم فخاره ... ويذكر فى الأبطال ليلى وزينبا

(الهراوى)

الأدب الميت

قد يكون من الحق أن نصف الأدب بالحياة والموت ، مراعين في هذا الوصف ما يبعثه الأدب في نفوسنا من حب الحياة والتفاني في ذلك الحب ، وهو ما نسميه الأدب الحي النامي ، وعلى العكس منه هذا الأدب الذي يبغضنا في الحياة ويجعلنا نعرض عنها بوجه مغيظ وفؤاد محنق ، وبعبارة أخرى نقول : إن الأدب الميت هو هذا اللون الذي لا تتفق غاياته مع غايات الحياة ولا مثله العليا مع مثلها ، ونريد في كلمتنا هذه أن نبين أثر هذا الأدب في أخلاق الشعب ، وما يغرسه فيه من عادات وأخلاق ، وقد لا نكون مغالين إذا ادعينا أن تأخر الشرق ووقوفه في منتصف الطريق ، بينما الغرب يجد ويعمل من غير كلال ولا ملل ، للوصول إلى القمة والذروة ، يرجع إلى الأدب الميت الذي ساد ربوعنا وتغلغلت روحه في نفوسنا وقلوبنا ، فأن الأمم لا ترقى إلا بأمرين : أدب ناهض كامل ملىء بكل عناصر القوة ، وتربية صحيحة قويمة للجسم والعقل والخلق . فاذا انهار أحد هذين الركنين استحال على الأمة أن تنهض وترقى وتسير بخطى وسيعة إلى أمانيها وآمالها ، ولذلك فأنت ترى المصلحين في كل أمة لا يبغون الاصلاح إلا بهاتين الوسيلتين الناجحتين ، ولقد ظل الشرق حينا من الزمن خاضعاً لما ورثه عن أجداده السالفين من آداب لا تتفق ومبادىء الحياة وغاياتها ، فمل الحياة وسئمها ، ورأى أنه لا فضل فيها ولا فضل في الجهاد والكد من أجلها ، مؤملا الحظ والسعادة في حياة ثانية غير هذه الحياة ، فتوانى وتواكل ، حتى أسلمه هذا التواكل إلى ما نراه الآن من تأخر وانحلال ؛ واليوم قد آن لنا أن ننفض عن أنفسنا غبار الأدب الميت الذي عشنا في ظلاله حينا من الدهر ، محوطين بظلامه ، مغمورين بآثامه .

قلنا : إن الأدب الميت هو الذي لا يتفق مثله الأعلى مع مثل الحياة ، فما هو إذن مثل الحياة الأعلى ، الذي نعيش له ونحيا من أجله ؟ نستطيع في الاجابة عن هذا السؤال أن نقول : إن مثل الحياة الأعلى هو السعي بالانسانية إلى أكمل غاية مستطاعة في كل ناحية من نواحي العيش ، مادية كانت أو معنوية ، من غير تقصير في أحدهما أو إهمال ، ولهذا فالأدب الحي هو الذي يدعو إلى المثل العليا ، ويملأ النفس تحفزاً وأملا في نيلها ، وهمة تستهين بالصعاب والعقبات تذللها وتقتحمها ، وعلى العكس من ذلك تماماً يكون الأدب الميت الذي ندعو اليوم إلى نبذه واطراحه ، فبينا يدعونا الأول إلى الجد والكفاح والعمل ، ويغرس في قلوبنا الايمان بأن لا شيء في هذه الدنيا إلا العمل والعمل وحده ، إذا بالثاني يركن إلى الحظ ويؤمن بأن كل ما في الوجود خاضع

لقانون القضاء والقدر ، فماله يجد ويعمل وهو لن ينال إلا ما كتب له فى عالم الأزل ؟ لاشك أن أدبا تلك غايته ومقصده، لايترك فى النفس إلا ابغض الآثار، وأسوأ النتائج؛ وما ظنك بأدب يريك الجد والكسل ، والعمل وترك العمل ، أمرين متساويين لا فضل لأحدهما على الآخر ؛ ماظنك بتلك النتيجة الخاسرة حين نلقن أبناءنا هذا الأدب الذى يبعث فى نفوسهم الزهد فى الكفاح والجد ، لأنهم يعلمون أنهم مهما عملوا وجدوا لن ينالوا إلا ما كانوا ينالونه من غير جد ولا عمل ؟ ألا ترى معى أن هذا نوع من الأدب الميت، لأن مثله الأعلى الكسل والخمول والركون إلى الحظ والمصادفة ، وهما أمران ينافيان الحياة من كل نواحيهما ، ويقفان بها بعيدا عن غايتهما المنشودة ؟ فنحن اليوم نريد أدبا لايؤمن بغير الأسباب والعلل، ولايدع للظروف والمناسبات فرصة التغلب على الهمة والعزيمة ، ومن الغريب أنك تجد هذا الأدب الميت لايزال متغلبا على النفسية الشرقية ، حتى إذا حدثت أحدهم ملأك العجب والدهشة حين تراه لايصدق بقيمة العمل فى الحياة، وأنه وحده هو الذى يرفع ويخفض ، ولو أتيت له بما شئت من أدلة وبراهين ، فأنه سيظل غير مطمئن لأدلتك وبراهينك ، وذلك بلا ريب أثر سىء للأدب الميت الخامل الذى يأبى العمل والنهوض ، وأظننا بعد أن برهن التاريخ على أن الدنيا لاترفع إلا العامل الجد ، وأن هؤلاء الذين ملئوا سمع العالم وبصره، لم ينالوا مانالوه إلا بجدهم وجهادهم، ولم يحظوا بذلك الجد الرفيع الشامخ ، إلا بما بذلوه فى سبيله من عمل وتضحية ، أظننا بعد هذا كله لانريد إلا أن نطوح بأدبنا الجبرى الكسل، إلى خزانة التاريخ نحفظه بها ولاندع له فرصة الظهور ، ليبث سمومه فى النشء والشباب ، ولنتبل على أدب العمل الذى يصور الحياة ميدان كفاح وجهاد ، لايفوز فيه إلا من تدرع بأوفى قسط من الهمة والعزيمة ، وآمن الايمان كله بالقدرة على تخطى الصعاب والعقبات مهما كانت قوية شديدة .

ولون آخر من ألوان الأدب الميت، ترونه ممثلا فى ذلك الشعر والنثر الملىء بتزهيدنا فى الحياة الدنيا وما فيها من خير وسعادة ؛ حتى ليوهمنا أنا خلقنا لنعيش متقشفين زاهدين، طمعا فى ثواب الدار الآخرة وما أعد لنا فيها من النعم ، ولقد وجد هذا الأدب نتيجة لفلسفة سادت الشرق فى عصور كثيرة ، فلسفة ضعيفة خائرة القوى ، غير مليئة بالجد والنشاط ، فانا لانشك فى أن الزهد لايطمئن إليه إلا رجل ألقى سلاحه ، ولم يشأ أن يكافح ويخوض لجة الجهاد فاقتنع من الكثير بالقليل، لأن همته ضعيفة وعزيمته واهنة ، ثم يمضى مبررا جنايته على المجتمع بتركه العمل على ما يرفع من شأنه ، وينهضه إلى أوج العلاء ، فيرغم نفسه على الايمان بأن الزهد فى الحياة خير من الجد والطموح ، اللذين يحملان المرء على التعب والنصب ، وهمته الكليلة لاطاقة لها بحملهما ، وأظن الأدب لن يخسر شيئاً ، بل سيربح الربح كله يوم نستغنى عن هذا القدر من أدب الزهد فى الحياة والرغبة عن جمالها ، فلندع زهد المعرى وزهد أبى العتاهية ومن إليهما،

ولنقل على أدب الجمال والطبيعة الذى يملأ قلوبنا حبا للكون وشغفا بجماله ورغبة فى الحياة، وفى نيل أوفى حظ منها، فما دمنا فى هذه الدنيا فلنأخذ بحظنا منها، ولنوقن بأنا ماخلقنا فى هذه الحياة لنعمل للحياة الثانية فحسب، تلك العقيدة التى جعلت المسلمين يعيشون فى الدنيا وهم ليسوا من أهلها، ويحسبون العمل للحياة الحاضرة لا يتفق والعمل للحياة المستقبلة، كما كان يفهم فلاسفتنا السابقون، ولكنا اليوم نؤمن بأنا قد خلقنا لنسعى بالانسانية إلى المثل العليا ومراقى الكمال.

لا يمكننا إغفال أثر هذا الأدب الذى هو بلا ريب من العوامل الكبرى فى تأخر الشرق واستنامته بالزهد والرضا بالقليل، فلم يشأ أن يفكر ويجهد نفسه لينال حظاً أرفع، وعيشاً أهنأ، بل رضى بالقليل يناله، ولا يصرف فى سبيل نيله قوة أو مجهوداً، فاستغل الغرب ذلك ورأى أن تلك البلاهة الشرقية، التى يسمونها الزهد من أكبر الوسائل لاستغلال جهوده وامتصاص دمه، ويكفى أن تتصفحوا كتب الأدب لتروا فيها الكثير من قول البستى:

زيادة المرء فى دنياه نقصان ... وربحه غير محض الخير خسران

وكل وجدان حظ لاثبات له ... فان معناه فى التحقيق فقدان

ياعامرا لخراب الدهر مجتهداً ... بالله هل لخراب الدهر عمران؟

وياحريصاً على الأموال يجمعها ... أنسيت أن سرور المال أحزان

زع الفؤاد عن الدنيا وزخرفها ... فصفوها كدر والوصل هجران

قدر لنفسك هذا الأثر الذى يبعثه مثل هذا (الأدب) فى نفس الشباب وما يغرسه فى قلبه من زهد وقناعة، ولست أدرى كيف كانت عقلية هؤلاء القوم الذين يرغبون عن نعيم الحياة الدنيا التى خلقنا فيها لننال حظنا منها كاملا غير منقوص؟ فلنستغن عن هذا الأدب ولا نغالى فى قيمة الأدباء الذين يجعلون كل همهم تزهيدنا فى الحياة وما فيها من سعادة، وثقوا بأنا لن نخسر شيئاً إذا حذفنا من آدابنا هذا اللون الميت، وأنتجنا أدبا حيا يقبل بكل قوته على النعيم واللذة ورفهنية العيش وحلاوته.

وهناك ألوان أخرى لاتقل فى أثرها السيء عن الألوان السابقة إن لم تزد عنها تأثيراً وفعلا، وهى كثيرة متنوعة كان لها أقوى يد فى هبوطنا وتأخرنا، مثل أدب التشاؤم وأدب الضعف وأدب الاستسلام وأدب القناعة، وما إلى هذه الأنواع الميتة التى ورثها الشرق جيلا عن جيل، ونظر إليها بعين الاجلال والتقديس، فتشبعت نفسه بها، وأصبح يجد الخروج عليها خروجا على تقاليده وعاداته وأخلاقه؛ وزاد ذلك تمكنا من نفسه ورسوخا فى قلبه أن تلك الأخلاق الضعيفة، تبعث فى نفسه الرضا بحاله، وتدعوه إلى الكسل الجسمانى والاستكانة إلى الراحة،

وأظن أن النفس التى لاتجد حافزاً يدعوها إلى الأمل وإلى العمل تتسنم مهاد الدعة ، وتجدفيه غايتها وآمالها ، ولا تسعى إلا حيث لايكلفها السعى مؤنة ولا جدا ، وإنى لازلت أؤكد وأوقن بأن جميع ألوان الأدب الضعيف، لها مورد واحد ، ذلك هو سوء فهم الشرقيين لمعنى القضاء والقدر ، حتى لحسبوا أن عملهم وجهادهم سيضيع هباء إن لم يكن قد كتب لهم فى عالم الغيب نيل مايريدون ، فمالهم يجاهدون ومالهم يعملون ، وماقسم لهم فى عالم الأزل سوف يجيئهم وهم مرتاحو الضمير هادئو الفؤاد ؟ ويندر أن تجد شاعراً أو كاتبا ينبع أدبه الضعيف إلا من هذا المورد الذى أساءوا فهمه ، ولم يشاءوا أن يفرقوا بين قضاء وقدر، وبين جد وعمل ، وتفان فى الجهاد ، ولو رجعوا الى حقيقة الأمر للاموا أنفسهم وما ظلموا القدر حين يخفقون فى نيل بغية، أوبلوغ أمل ؛ فالقضاء والقدر هما علم الله بكل مايجرى فى الكون من خير وشر ، فهو من صفات الكشف لا تأثير له فى فعل المرء، ولا دخل له فيما يقوم به فى تلك الحيـاة من جد أو غير جد ؛ وإذن فالنجاح والاخفاق وما يرفع المرء إلى السعادة أو يهوى به إلى الحضيض،ليس إلا بمايقدمه من عمل وتفاؤل، أوكسل وتشاؤم ، فلنعد باللائمة على أنفسنا إن لم ننل ما رجوناه وأمانينا ، ولنثق بأن فى استطاعتنا أن نشق لأنفسنا طريقاً إلى السماء ، إذا اعتقدنا أن أنفسنا وحدها هى الكفيلة ببلوغنا مانريد ، فاستمددنا منها الهمة وعظائم الأعمال .

إن كل نهضة من النهضات — فى قديم التاريخ وحديثه — لاتبنى دعائمها وتثبت أسسها إلا إذا حملها قادة الأدب وحماته ، فهم وحدهم الذين يرشدون الأمة إلى سبل الرفعة والمجد، ويرفعونها من حضيض الضعة إلى ذرا الرقى والرفعة ؛ ولهذا فانكم ترون الشرق ضعيفاخاضعا، لأنه لم ينجب من رجال الأدب هؤلاء العباقرة، الذين يرفعون أمامه مصباح الأدب قويا وهاجا، وأنتم ترون كذلك أن نهضتنا التى تغمر جونا اليوم مدينة كذلك إلى حد كبير للأدباء الذين أنجبتهم مصر فى تلك الفترة من الزمن ؛ وإنا سوف نسير إلى الأمام بخطى واسعة إلى أمانينا وآمالنا طالما أحسن أدباؤنا القيادة وهداية الأمة .

لهذا كله ندعو اليوم إلى أن ننفض أيدينا من كل أدب لايتفق وهمتنا المشبوبة ، وعزيمتنا القوية وأمانينا الباسمة ، وهو تلك الألوان التى سميناها الأدب الميت الذى لايعيش إلا وسط الموتى وبين القبور ، ولن ينقصنا شىء ، ولن ينقص الأدب شىء إذا استغنينا عنه كله، وبدأنا ننشىء لأنفسنا بناء جديدا من أدب جديد ، لايقع تحت تأثير هذا الأدب القديم ، فلا نحدث الأمة إلا عن عظمة تاريخها، ومجد آبائها، ومستقبلها الباسم، وآمالها فى الحرية والاستقلال، ومالى تلك الأحاديث الشهية العذبة ، التى تملأ قلوب النشء والشباب أملا وتفاؤلا بالمستقبل ، وعزما

(البقية على الصفحة رقم ٢٠٠)

عوائق الضمـــــير

بقلم الأستاذ محمد مهدى علام

أستاذ التربية والفلسفة بدار العلوم وقسم التخصص

تناولنا فى العدد الماضى الكلام على الضمير والارادة والندم والتوبة وماإلى ذلك ، ونتكلم الآن عن حكم الضمير فنقول:

حكم الضمير لا يخلو عادة من تأثره بالعاطفة التى لايمكن أن تفارقنا فى الحكم على أعمالنا نحن ، مهما أمكن أن تفارقنا فى الحكم على أعمال لامساس لها بنا . إننا نتناول بأحكام الضمير أنفسنا ، ولا يمكن أن نتجرد من العاطفة أثناء إصدارنا هذه الأحكام على أنفسنا بأنها مصيبة أو مخطئة ، تجردنا منها فى أثناء إصدارنا أحكاما على مسألة رياضية بأنها خطأ أو صواب .

والناس معادن ، فهم مختلفون فى درجة العاطفة التى تصحب ضمائرهم ؛ فمنهم من تسلمه طبيعته إلى تلك العاطفة، فيغرق فى لجتها المتلاطمة ، ويشعر بسرور بتلك العاطفة حين يطيعها، بل إنه ليجد أحيانا ضرباً من الارتياح فى شعوره بشىء من الغم لدى معارضة الضمير لتلك العاطفة ؛ إنى أرمى بعبارتى الأخيرة إلى ذلك الصنف من النـاس الذى يكتفى بضرب من تأنيب النفس عند مخالفته الضمير طاعة لعاطفته فلا هو يعصيها ، ولا هو يعلن التمرد على الضمير، أو يشق عصا طاعته لدرجة يتبلد معها فيموت ، وإن ذلك لأشبه بالمرأة التى تفرح ما بقيها بالبقاء على الحظ التعس الذى لازم بطل رواية من الروايات التى قرأتها أو شهدتها،على حين أنه لا يحرك عاطفة الشفقة فيها بؤس أخت لها تساكنها وتؤاكلها وتشاربها .

وإذا تغلغل الميل إلى العاطفة فى حياة الشخص، اختلط عليه تخيل الفضيلة بعمل الفضيلة،وقضى نحبه [illegible]ن يعرف الفرق بين الأمرين ، واستمع هنا إلى تحذير ابن المقفع : « وعلى العاقل أن يعرف أن [illegible] الهوى متعاديان ، وأن من شأن الناس تسويف الرأى وإسعاف الهوى ، فيخالف ذلك ، ويلتمس ألا يزال هواه مسوفا ، ورأيه مسعفا ؛ وعلى العاقل إذا اشتبه عليه أمران فلم يدر فى أيهما الصواب ، أن ينظر أهواها عنده فيحذره » وفى ذلك أيضا ماجاء فى وصية عبد الله بن معاوية :

« واعلم يابنى أن رأيك إذا احتجت إليه،وجدته نائما ، ووجدت هواك يقظان ، فإياك أن تستبد برأيك ، فانه حينئذ هواك ، ولا تفعل فعلا إلا وأنت على يقين أن عاقبته لاترديك،وأن نتيجته لاتجنى عليـك »

الضمير يصيب ويخطىء : إن أحكام الضمير عرضة للخطأ ، إذ أن أهم مميزات البشر تعرضهم

للوقوع فى الخطأ ، نرى أن ضمائر بعض الناس تقودهم فى عمل من الأعمال إلى نقيض ماتقودنا إليه ضمائرنا فى ذلك العمل ، بل نحن نرى أغرب من هذا : نرى أن ضمائرنا نحن تقودنا فى حين من الأحيان إلى نقيض ماتدعونا إليه فى حين آخر . وتعليل ذلك أن الضمير يحكم على أمور مدركة مفهومة ، ومن الممكن جدا أن يظهر فيما بعد أن إدراكنا وفهمنا أمرا من الأمور كان مغايرا للحقيقة ، ويتبع ذلك طبعاً خطأ الحكم الأول الذى أصدره الضمير .

من أجل ذلك كان لزاما علينا أن نعير اهتمامنا تلك الأحكام التى تصدرها ضمائر غيرنا،ممن نقدر فيهم حب الحق ، ونعتقد فيهم الميل عن الهوى ؛ وأن نعيد البحث فيما نحن بصدده من الشئون ، مقلبين لها على كل وجه ، وفى كل ضوءيمكن أن ينير لناسبيل تعرفها ، وبعبارة أخرى يجدر بنا أن نثق إلى قصى حد ممكن من الوثوق ، بأننا نفهم مانحن بصدده قبل إصدارحكم عليه بأنه حق أو باطل . فاذا ما بحثنا فى الأمر كما قدمنا ، ووجدنا أن ضميرنا لايزال يحفزنا إلى العمل ، وجب أن نعمل طبقا لاملاء ضميرنا ، حتى ولو خالفنا الناس جميعاً ، لأن تلبية نداء الضمير واجب لاتجوز الحيدة عنه .

فاذا نحن وضعنا أصابعنا فى آذاننا حين سماع ذلك النداء كنا من غير شك آثمين : أى أننا نكون قد اتبعنا ما نعتقد أنه خطأ ، لأن غيرنا يعتقد أنه حق ، وفى ذلك تناقض خلقى لايرضاه لنفسه إنسان رشيد .

وإن تلك الحيطة فى تلبية نداء الضمير قبل الاستشارة هى مايسميه ابن المقفع « الجبن عن عمل ما لايجدعليه المرء موافقا » فى قوله : « وعلى العاقل أن يجبن عن المضى على الرأى الذى لا يجد عليه موافقاً ، وإن ظن أنه على اليقين »

على أنه لايجوز أن نعصى (الضمير الشخصى) طاعة (للضمير العام) ، فنحن لانعطى هذا الأخير السلطة العليا ، وإن كنا نسترشد برأيه .

فعلينا أن نبطىء فى التنفيذ بسبب الاسترشاد بحكمه ، أوكما يقول ابن المقفع ، علينا أن نجبن فلا نعجل بالتنفيذ ، ولكننا نخالف ابن المقفع فى وجوب الجبن حتى ولو ظن المرء أنه على اليقين .

وشأن الضمير الشخصى مع الرأى العام شأن مجلس النواب مع مجلس الشيوخ فى بعض الدساتير : يعرض الأول على الثانى مشروعات القوانين المزمع تشريعها ، قبل تسليمها للسلطات التنفيذية ، ليستطلع رأيه فيها ، فان أقرها نفذت ، وإن لم يقرها أبدى أسباب رفضه ، ثم تعاد المشروعات إلى مجلس النواب لاعادة فحصها ، ثم ترسل مرة ثانية إلى مجلس الشيوخ ، فان أقرها ، وإلا نفذت حتما ، وهنا نعود لنقتبس من حكم ابن المقفع : « لاينبغى للمرء أن يعتد بعلمه ورأيه ،

مالم يذاكره ذوو الألباب ولم يجامعوه عليه ، فانه لايستكمل علم الأشياء بالعقل الفرد »

الصراع بين الضمير والتعصب

كما ظهر لنا أن هناك صراعاً بين الضمير والعاطفة، كذلك يوجد صراع بين الضمير والتعصب، وأنواع التعصب كثيرة ، فمنها :

(١) « التعصب للوطن » ويظهر صراعه للضمير أجلى ما يظهر فى المناقشات السياسية والاقتصادية التى يميل فيها المرء إلى مشايعة قومه بحق وبغير حق ، وليس ينقذنا من ذلك الضيق العقلى الشنيع إلا الضمير القويم ، الذى لايعرف إلا العدل فى الحكم بغض النظر عن الوطن ، والدين، وخط الطول ، وخط العرض ، أما أن تقول : أمتى أمتى ، أصابت أو أخطأت ، فقول يساوى قولك : إنى جهول ظالم لاأقيم للعدل وزناً . (١)

ولتعلم أن شعورك بوطنيتك وقوميتك شىء، وادعاءك كل الفضائل لوطنك وقومك شىء آخر: ولقد كان هذا الخطأ كثير الشيوع عند البروسيين قبل الحرب ، ولا تكاد تخلو أمة من هذا التعصب ، وإنما هى تختلف فى درجة خضوعها له .

(٢) وهناك تعصب « العقل الباطن » أو ماوراء الشعور ، ويتناول أحكامنا على الأشخاص والأفكار ؛ وداؤنا الوبيل فى هذا النوع من التعصب هو أننا نخطىء الفرق بينه وبين الحكم النزيه ، فترانا نعتقد أننا نطيع ضميرنا فى حكمه البرىء عن الهوى والضلال ، فى حين أننا غارقون فى لجة من التعصب لايستقيم معها حكم ، ولايسلم من خطرها ضمير، وبعد أيام معدودة أو سنين معدودة ، نفيق من غفوتنا ، ونرى ضلالا ذلك الذى كنا نسميه حلالا، وباطلا ذلك الذى كنا ندعى أنه حق ، وهوى ذلك الذى كنا نعتقد نه حكم ضمير برىء نزيه عن التعصب، نفاخر به .

(٣) وهناك التعصب الذى مصدره « غريزة المحافظة على القديم » : كلنا يحب القديم ، ويحس فى الخروج عليه شيئاً من ألم الفراق، يختلف قوة وضعفاً باختلاف قوة تلك الغريزة فينا، فمنا من لا يكاد يحس بذلك الألم ، إذ ليس للقديم عنده حرمة ، فهو يتبع كل ناعق ؛ ومن أمثلة هذا النوع فى الفرد : الأطفال ، وأصحاب المزاج الدموى ؛ ومن أمثلته فى الأمم : الأمة التركية الحديثة ، والأمة الأمريكية (الولايات المتحدة) ، والأمة الفرنسية ، ومنا من يرى القديم مثالا للكمال ، ولا يستطيع التسلم بأن الجديد يمكنه أن يجاريه فضلا على أن يفوقه، فهو يحنى هامته إجلالا وإعظاماً لهندسة الأهرام على حين ينعى على الأبنية الحديثة جدتها وعدم تحملها ؛ ولكن العقل الذى طهر من دنس التعصب للقديم لمجرد قدمه ، لا يسعه إلا

---

(١) تدبر الحديث الشريف : « من قاتل تحت راية عمية ، يغضب لعصبته ، ويقاتل لعصبته ، وينصر عصبته ، فقتل ، فقتلته جاهلية»

الاعتراف بأن للحديث عظمته وفخاره ، كما أن للقديم مجده ووقاره . إذا استطاع الانسان أن ينظم تعصبه ، ويهذبه ، كانت أحكام ضميره أقرب إلى الصوب .

وجملة القول أن الضمير يجب أن يفوز فى المعركة التى تنشب بينه وبين التعصب ، وعلينا أن نرجح كفته باضعافنا من عوامل التعصب ، ما استطعنا إلى ذلك سبيلا . يقول العلامة (جون لوك) : «على المرء ألا يحب رأياً من الآراء ، وألا يتمنى أن يكون ذلك الرأى صواباً ، حتى يعلم أنه صواب ، ثم هو فى غنى عن هذا الأمل وذاك التمنى ، لأنه لا يوجد شىء باطل يستحق أن نعقد عليه آمالنا أو يستأهل مكانة الحق وسلطته ، ومع هذا فلست ترى شيئاً أكثر شيوعا من ذلك » [١]

محمد مهدى علام

الادب الميت

(بقية المنشور على الصفحة رقم ١٩٦)

ناهضا بعدوهم إلى إعادة ماضيهم المجيد وتاريخ بلادهم المشرق ، وكفانا ما مضى من عهد قضيناه بين ظلمة اليأس وخيبة الرجاء ، متشبعين بأدب لا يهدى إلا إلى التعاسة والشقاء .

نحن الآن فى حياة جديدة ، فلماذا نقف مكتوفى الأيدى ، خاضعين لأدب بلى ، وتقادم عليه العهد ، ولم يغرس فى أفئدتنا إلا حب الكسل والخمول والرضا بالواقع ، حتى ضعفت همتنا ، وماتت آمالنا ، وأصبحنا ننظر إلى المستقبل بعين التشاؤم التى لا ترى فيه إلا كل شر ووبال ، فخارت قوانا ، واستكنا للذل والاستبداد ، وطال عتبنا على القدر إذ لم ننل آمالنا و لم نحظ بأمانينا ولا زال القدر سلاح الضعيف العاجز ؟

هيا يا رجال العلم ندع ذلك الأدب المظلم بما فيه من موت وفناء ، ولنعمل على إنشاء أدب جديد ، يبعث فينا ميت الرجاء ، ويحيي ضعيف الأمل ، حتى تتقدم أمتنا المصرية إلى الأمام ، وتنال مكانها القديم فى التاريخ ، يوم كانت ينبوع الحضارة ، ومورد الثقافة ، مما جعلها بحق معلمة الشعوب أسفار المدنية ، وآيات الحرية .

أحمد أحمد بدوى

[١] وازن بين هذه العبارة وعبارة الاستاذ الامام [... فهم يعتقدون الامر ثم يطلبون الدليل عليه ، ولا يرونه الا موافقاً لما يعتقدون ، فان جاءهم بما يخالف ما اعتقدوا نبذوه ولجوا فى مقاومته وان أدي ذلك الي جحد العقل برمته : فأكثرهم يعتقد فيستدل ، وقلما تجد بينهم من يستدل ليعتقد ...)

المعرفة فى فلسفة أفلاطون

للأستاذ يوسف كرم

مدرس الفلسفة بكلية الآداب

مناهج المعرفة

(ا) إن أفلاطون أول فيلسوف بحث مسألة المعرفة لذاتها وأفاض فيها من جميع جهاتها، فاستقصى مناهجها ونظر فى مظاهرها ومصادرها، فانه كان يعتقد أن الحقيقة أول الخيرات عند الآلهة والناس، وأن مهمة الفيلسوف طلب الحقيقة، وأن هذا الطلب شاق طويل لابد فيه من منهج قويم وإنما تكشف الحقيقة أولا بالتأدى من كثرة الافراد إلى وحدة الماهية، فان فى كل نحلة مثلا شيئاً يلائم جميع النحل مهما اختلفت سناً وشكلا ومقداراً، كما أن أفعالا كثيرة تشترك فى كونها: شجاعة، أو عفة، أو عدالة، وأن هذه الثلاث تشترك فى كونها فضائل، وكذلك الحال فى الألوان والأشكال والحركات وغيرها من الموجودات وأحوالها، أى أنا نجد دائماً أصلا واحد تحت مختلف الظواهر، هو الحقيق بالمعرفة، أما ما عداه من العوارض فمتقلب لا يجد العقل فيه مطلبه، ويكتسب هذا الأصل بالاستقراء ويؤلف مقدمة العلم. Mènon 72 - 75

(ب) وبعد اكتسابه يتعين تحليله، وإلا بقى غامضاً ولم يتحقق العلم الصحيح، والتحليل عكس الاستقراء بمعنى أن يتأدى من الوحدة إلى الكثرة – فى الشىء إلى عناصره – وله قواعد تتبع ومخاطر تجتنب، فيجب أن يطابق طبيعة الشىء فلا يقسم إلا حيث تقتضى القسمة، ويجب أن يكون تاماً فيستخرج من المعنى المكتسب بالاستقراء معنيان أو ثلاثة، ومن كل منها معنيان أو ثلاثة أيضاً حتى ينتهى إلى البسائط، أما ما يتحرز منه فهو اعتبار المركب بسيطاً، والعرضى جوهرياً، والوسيلة المثلى فى التحليل القسمة الثنائية (Dichotomie) كأن تقول: السياسة علم والعلوم طائفتان: نظرية وعملية، والسياسة تدخل فى الطائفة الأولى، ثم تنقسم هذه إلى علوم تأمر وعلوم تحكم والسياسة تدخل فى الأولى، وهكذا حتى يتعين معنى السياسة (politique 258 C - 267 C) أو كأن نحاول تعريف السوفسطائى، فنمضى من قسمة إلى قسمة حتى نبلغ إلى التعريف الذى لا ينطبق إلا عليه (Soqhiste 218 D - 231) فالقسمة تبدأ من اللامعين، وتتدرج إلى التعيين، أى إنها تتأدى من وحدة الجنس إلى كثرة الأنواع، ومن وحدة المبدأ إلى كثرة النتائج، وكل فى الاستقراء والتحليل ينتهى بنا إلى ماهيات أى إلى حدود، ثم تترتب هذه الحدود وتؤلف العلوم، والواجب

دائماً الاتفاق على الشيء نفسه بالعناصر التي تحده، فان هذا خير في الاتفاق على اسم الشيء فقط دون العناية بالحد (Soqhitse 218 C)

(ج) ولكن الاستقراء والتحليل منهجان مستقيمان، قد لا يستطاع انتهاجهما في بعض الأحوال فيستعاض عنهما بمنهج خلقي هو المنهج الفرضي (Hyqothêtique)

مثال ذلك: قد تعرض مسألة للمهندس، فيقول في نفسه أفرض أن حلها بالايجاب، وأنظر ما يلزم من نتائج، أو أفرض أن حلها بالسلب وأنظر ما يخرج لي؛ وللفيلسوف أن يتخذ نفس المنهج، فان رأى أن نتيجة كاذبة تلزم من فرض انتقل إلى نقيض هذا الفرض، وأخذ به مع ملاحظة مرين: الأول أن هذا المنهج قد يبين كذب فرض ما ولا يبين صدق الفرض الذي يؤخذ به، إذ قد تخرج نتائج صادقة من مقدمات كاذبة، والثاني أنه يرغم العقل ولا يقنعه، فانه يأخذ المسائل من خلف ولا يستعمل إلا حيث يمتنع النظر المستقيم .(Repub. v 1)

(د) هذه خلاصة ما يمكن أن يسمى منطق أفلاطون، يضاف إليه كلام في الحكم سنورده عما قليل؛ أما القياس فلم يعرفه ولم ترد عنه إشارة في كتبه، ولكننا نجد فيها ذكر الاستدلال (Diale ctipue) بأكثر من معنى واحد، فهو تارة منهج « لا يستخدم شيئاً حسياً بل ينتقل من معانٍ إلى معانٍ بواسطة معانٍ » (Repub 511 B) وطوراً هو المنهج الذي يرتفع العقل به من المحسوس إلى المعقول ـ من الظواهر الزائلة إلى الحقائق الدائمة ـ دون أن يعد وسيلة لاستنتاج المعقول من المحسوس ولكنه تمهيد للتعقل الصرف، وثمت معنى ثالث هو أن الاستدلال بالعلم الكلي الذي يبحث عن الامور الدائمة والمبادىء الأولى يصل إليه العقل بعد العلوم الجزئية، فلا يتركها مشتتة، بل يدرك علاقاتها بعضها ببعض، ويربطها بالعلة الأولى (Rep · 537 C)

ففي التعريف الأول: الاستدلال منهج منطقي، وفي الثاني حركة في النفس، وفي الثالث علم يشبه أن يكون الميتافيزيقا .

درجات المعرفة

(ا) هذا عن مناهج المعرفة، أما عن المعرفة ذاتها فقد وجد أفلاطون نفسه بين رأيين متعارضين :ـ رأي بروتاغوراس وأمثاله من الهرقليطيين الذين يردون المعرفة إلى الاحساس ويزعمون أنها جزئية متغيرة مثله، ورأي سقراط يضع المعرفة الحقة في العقل، ويجعل موضوعها الماهية المجردة الضرورية ـ فزاف عنده الأول من كل جهاته، وحق الثاني فأيده بكل قوته، وراح يطلب له أصولا ويفرع منه النتائج، حتى أقام المذهب العقلي الروحي طوداً شامخاً يسطع في رأسه نور الحق والجمال والخير.

يدعي الهرقليطيون أن الاحساس ظاهرة وحدها متغيرة أبداً، ليس لها موضوع تقوم فيه

ولا قوة تصدر عنها، ولكن الذاكرة والتبعة تنقضان هذه الدعوى، من حيث إن الذكر يعنى دوام الشخص الذى يذكر ، ولو كان الاحساس كل المعرفة،كما يقولون، لأصبحت جميع الآراء صادقة على السواء، المتناقض منها والمتضاد، ولامتنع القول إن شيئاً هو كذا أو كذا على الاطلاق، ليس فقط فى النظريات، بل فى السياسة والاخلاق أيضاً، فيستحيل العلم والعمل، ولكنهما ممكنان. فالقول مردود ، وهو مردود كذلك فى ناحية أنه ينكر الفكر كملكة خاصة ، والواقع أنه لا يكفى لفهم اللغة مثلا رؤية ألفاظها أو سماعها، بل إن الاحساس ينبه قوة فى النفس لولاها ما تم فهم أبداً ، وتظهر هذه القوة بوضوح أجلى فيما سنورده فى أفعال عقلية صرفة ، ليس للاحساس دخل فيها . Thêètêe

(ب) ذلك أن العقل لا يقنع بالاحساس بل يعتبره أدنى مراتب المعرفة، لأنه يطلب الوضوح والثبات ،ويريد أن يقول عن الشىء إنه كذا، أى إنه ماهية معينة دائمة يقف الفكر عندها ويطمئن إليها ،فيجد فى الاحساس «لا نهاية» آتية من المادة والحدوث تحول دون تعقله تماماً، فتقتصر النفس على أن تبدى فيه « رأياً » هو عبارة عن تأليف إحساسات حاضرة أو مذكورة . والرأى فى ذاته صادق أو كاذب، وفى النفس اقتناع أو احتمال، وهو على أية حال معرفة غير مربوطة بالعلة، فلا يبرهن ولا يبلغ إلى اليقين ولا يعلم للغير، لأن التعليم تبيان الأمور بعللها ، ولا يبقى ثابتا ، بل يتغير بتغير موضوعه فى عوارضه وعلاقاته ـ انظر إلى الطب والحرب والفنون الجميلة والآلية ، والسياسة العملية ، والعلوم الطبيعية ، تجدها جميعاً حادثة نسبية مشوبة باللانهاية ، لتعلقها بالمادة وهى جميعا موضوع رأى لا علم ، والرأى الصادق« نفحة إلهية » أو إلهام لا اكتساب عقلى، وهو قلق فى النفس يدفعها إلى طلب العلم (ménon) Timeé. 51B—E

(ج) وأول ما ترقى النفس عن المحسوسات يكون بملاحظة ما بينها من علاقات تستحث العقل على التفكير، مثل أن ترى الشىء الواحد كبيراً بالاضافة إلى آخر ، صغيراً بالاضافة إلى ثالث، شبيهاً بآخر، أو مضاداً، أو مبايناً مساوياً أو غير مساو، فيتساءل العقل عن الوجود والاضافة والكمية والكيفية، وهى العلاقات التى يؤلف بواسطتها الأشياء بعضها مع بعض فى أحكامه عليها، وإدراك العلاقات ومضاهاة الأشياء ، فعلان متمايزان عن الأحساس، وقد سبق أن الحواس ليست مدركة بالذات، ولكنها آلات تدرك النفس بواسطتها، أى إنها تتلقى منها انفعالات تركبها فى أحكام، فان العلم ليس الاحساس ، بل حكم النفس على الاحساس.

وترقى النفس درجة ثانية بدراسة الحساب والهندسة والفلك والموسيقى، تستغنى فيها عن التجربة وتستخدم المنهج الفرضى، أى البرهان الذى يضع المقدمات ويستخرج النتائج؛ فان لهذه العلوم موضوعات متمايزة عن المحسوسات ،فليس الحساب عد الجزئيات كما يفعل التاجر، بل العلم الذى يبحث عن الأعداد أنفسها بصرف النظر عن المعدودات، وليست الهندسة مسح الأرض بل النظر فى الأشكال أنفسها ، ويمتاز الفلك عن ملاحظة الكواكب فى أنه يفسر الظواهر

السماوية بحركات دائبة ، بينما الملاحظة البحتة لاتقع إلا على حركات غير منتظمة ، ويفترق العالم الذى يكشف النسب العددية ، التى تقوم بها الألحان، عن الموسيقى الذى يضبط النغم بالتجربة؛ فهذه العلوم تضع أمام العقل صوراً كلية تتكرر فى الجزئيات، وقوانين ضرورية، ونسباً عددية، فيطلب علة الكلية والضرورة ، وعلة النظام فى المعقولات والمحسوسات . نعم قد تستعمل النفس الصور المحسوسة فى هذه الدرجة من المعرفة، لكن لا كموضوع بل كواسطة مثلما يفعل الرياضيون ، وذلك لتنبيه المعانى المقابلة لها ، وبعد فترة تأمل تستغنى عن كل معونة حسية ، وتستغرق فى المعانى تتأملها خالصة .

ثم تعلم النفس أن العلوم الجزئية لاتكفى أنفسها، وأنها تحفز العقل لأن يرقى درجة ثالثة لما يرى من أنها تقوم على مبادىء لاتبرهن عليها ، وأن قوانينها تتجاوز الجزئيات الزائلة وتنطبق على موضوعات دائمة .

فهناك علم أعلى أو فلسفة أولى، ترفع العقل من الحادث إلى المطلق، ومن الزائل إلى الدائم؛ وهذا العلم هو «الاستدلال»، يحيل الانسان شبه إله ، لأن موضوعه الأمور الدائمة؛ والمبادىء الكلية تنتهى إلى مبدأين أساسيين : مبدأ عدم التناقض ، ومبدأ العلية الأول بين بنفسه، لايقام عليه برهان ولا اعتراض ويقوى استمسا كنا به إذا نظرنا إلى مايترتب على إنكاره من نتائج، هى النتائج التى ينتهى اليها بروتاغوراس وأضرابه من إنكار العلم والعمل .

أما مبدأ العلية، فانه يفسر التغير، وهو على شكلين: مبدأ العلة الفاعلية، والعلة الغائية، ولا ينبغى الاشتغال بهذا العلم الأول قبل الثلاثين ، ويجب التهيؤ له بالفضيلة التى تخلص النفس من الشهوات وتعدها لقبول الحق عن طيب خاطر؛ فان الحق لاينكشف للنفس تطلبه وهى منقسمة على نفسها بل للنفس المخلصة تتوجه اليه بكليتها .(Rep . v I)

نظرية المثل

(ا) فاذا مانظرت النفس فى هذه النسب الثابتة التى هى القوانين، وفى هذه الصور الكلية التى هى الأنواع والأجناس، أدركت أولا أنه لا يمكن أن تحصل فى العقل بالحواس عن الأجسام الجزئية المتحركة ، بل يجب أن تكون حاصلة فيه عن موجودات مجردة ضرورية مثلها ، لما هو واضح من أن المعرفة شبه المعروف حتما ، وأدركت ثانيا أن لا بد لاطراد الصور الكلية والقوانين من مبدأ ثابت، لأن المحسوسات حادثة وكل ماهو حادث فله علة ثابتة ، إذ لا تتداعى العلل إلى غير نهاية، ولأن المحسوسات ناقصة لاتبلغ أبداً إلى كمال ماهياتها، فيلزم أن الكمال موجود وأن النقص تضاؤله، فتؤمن النفس بعالم معقول، هو مثال العالم المحسوس وأصله فيه الكليات متحققة بالذات على نحو تحققها فى العقل، مفارقة للمادة ، بريئة عن الكون والفساد : العدالة

بالذات ، والانسان بالذات، والجمال والكبر والصغر والأعداد والحركة والسرعة والبطء والغرس والشجر بالذات، وهلم جرا، فهى مبادىء أو « مثل » الوجود المادى والمعرفة جميعاً ، ذلك أن الأجسام إنما يتعين كل منها فى نوعه باشتراك جزء من المادة فى مثال ، فيتشبه به ويحصل على شىء من كماله، فالمثال هو الشىء بالذات، والجسم شبح له — هو نموذج الجسم أو مثله الأعلى متحققة فيه كمالات النوع إلى أقصى حد ، بينما هى لا تتحقق فى الأجسام إلا متفاوتة ، بحيث إذا أردنا الكلام بدقة فلا نسمى النار ناراً، بل نقول إن النار شىء شبيه بالنار بالذات ، وإن الماء شىء شبيه بالماء بالذات، ولو لم تكن النفس حاصلة على هذه المعايير الدائمة، ماعرفت كيف تسمى الأشياء وتحكم عليها، فان العلم إنما يحصل أولا وبالذات بحصول صور المثل فى العقل، فهى موضوع العلم، وعلة حكمنا على النسبى بالمطلق، وعلى الناقص بالكامل، وعلى التغير بالوجود . والخلاصة الظواهر المحسوسة من جهة، والحقائق المعقولة من جهة وفى الوسط أى فى العقل الكليات .

(ب) كيف عرفنا هذه الكليات وليس بيننا وبين العالم المعقول اتصال مباشر فيما نعلم ؟ إن شيئاً من التأمل يدلنا على أننا نستكشفها فى النفس بالتفكير، فحينما تعرض لنا مسألة نقع فى حيرة ونشعر بالجهل، ثم يتبين لنا « رأى صادق » يتحول إلى علم بتفكيرنا الخاص، أو بالأسئلة المرتبة يلقيها ذو علم ، وما علينا إلا أن نجرب الأمر فى فتى لم يتلق الهندسة ، نجده يجيب عن أسئلتنا إجابة محكمة ، ويستخرج من نفسه مبادىء الهندسة ، فاذا كنا نستطيع أن نستخرج من أنفسنا حقائق لم يلقنها لنا أحد ، فلا بد أن تكون النفس اكتسبتها فى حياة سابقة على هذه الحياة الراهنة (mènon) ، فقد كانت النفس قبل اتصالها بالبدن فى صحبة الآلهة فرأت « فيما بعد السماء » موجودات « ليس لها لون ولا شكل » (Phèdre 248 a-c) حفظت ذكرها حتى إذا أدركت أشباحها بالحواس تذكرتها ، فالعلم ذكر ، والجهل نسيان، وكما نذكر صديقاً عند رؤية رسمه، نذكر الخير بالذات بمناسبة الافعال الخيرة، والمتساوى بالذات بمناسبة الأشياء المتساوية، وهكذا، فما التجربة إلا فرصة ملائمة لظهور المعنى الكلى، وما الاستقراء والتحليل إلا وسيلة لتوضيحه، أما هو فى ذاته فموجود فى النفس، ومتصور بالعقل الصرف .

(ج) وبعد أن يبلغ العقل إلى المثل يرقى إلى درجة رابعة وأخيرة ، فيرى أنها مترتبة فى أنواع وأجناس ، أى أن منها ماهو مرتبط بعضه ببعض بواسطة مثل أعلى وأعم وهذه مرتبطة كذلك بمثل أعلى وأعم وهكذا إلى مثال أول قائم فوقها جميعاً هو الخير بالذات ، فيضع هذه العلاقات فى أحكام، فالحكم الذى يعنى أن الشىء هو هو، وهو شىء آخر فى آن واحد، يعنى أن المثال الواحد يشارك فى مثل كثيرة مع بقائه هو هو، والعلم استقصاء هذه المشاركات بين المثل بالتحليل والقسمة، فان أضاف مثالا لمثال مشارك فيه، كان صادقاً، وإن ألف مثالين ليس بينهما مشاركة كان كاذباً ، كاضافة رؤية سقراط إلى صورة ثيودور أو بالعكس .

فأفلاطون يرى أن حياة العقل فى الحكم؛ وكان السوفسطائيون والميغاريون والكلبيون قد حاروا فيه، وجزموا بامتناعه، لأن منهم من اعتبر الماهية وحدة مطلقة، على مذهب برمنيدس، فوقف عندها جامداً، ومنهم من أخذ بالكثرة المطلقة على مذهب هرقليط، فتلاشت عنده الماهية، وفى كلا الموقفين يمتنع التعقل والتفكير، أما القول بأن المثل ماهيات ثابتة، وبالمشاركة بينها فقد بدا لأفلاطون موقفاً وسطاً ينجو به من نتائج الطرفين، وإن تكن هذه المشاركة من أغمض المسائل فى مذهبه وأكثرها استهدافاً للنقد كما سنرى.

(د) والخلاصة أن فوق العالم المحسوس عالما معقولا هو الوجود الحقيقى، ومثلنا معه مثل رجال وضعوا فى كهف منذ الطفولة، وأوثقوا بسلاسل ثقيلة، فلا يستطيعون نهوضاً ولا مشياً ولا تلفتاً، وأديرت وجوههم إلى داخل الكهف فلا يملكون النظر إلا أمامهم مباشرة، يرون على الجدار ضوء نار عظيمة، وأشباح أشخاص وأشياء تمر وراءهم، ولما كانوا لم يروا فى حياتهم سوى الأشباح، فانهم يتوهمونها حقائق، فاذا أطلقنا أحدهم وأدرنا وجهه للنار فجأة، فانه ينبهر ويتحسر على مقامه المظلم، ويعتقد أن العلم الحق معرفة الاشباح، ثم يفيق من ذهوله، وينظر إلى الأشياء فى ضوء الليل الباهت، أو إلى صورها المنعكسة فى الماء، حتى تعتاد عيناه ضوء النهار ويستطيع أن ينظر إلى الأشياء أنفسها ثم الى الشمس مصدر كل نور.

فالكهف هو العالم المحسوس وإدراك الأشباح المعرفة الحسية والخلاص من الجمود بازاء الأشباح يتم بالفلسفة، والتأدى إلى الحقائق يتم بالاستدلال والأشياء المرئية فى الليل أو فى الماء الأنواع والأجناس والقوانين أى الأمور الدائمة فى هذه الدنيا والأشياء الحقيقية المثل؛ والنار ضوء الشمس والشمس مثال الخير مصدر الوجود والكمال. فالفيلسوف الحق هو الذى يميز بين الأشياء المشاركة ومثلها، ويؤثر الحكمة على الرأى، ويجاوز المحسوس المتغير إلى نموذجه الدائم، ويتعلق بالجمال بالذات.

(هـ) والآن كيف تمت لأفلاطون هذه النظرية؟ يقول أرسطو: إنه وصل إليها بالتفكير فى المذاهب السابقة، فانه أخذ عن أقراطيل وهرقليط أن المحسوسات فى تغير متصل، وأنها لذلك لا تصلح أن تكون موضوع علم. وكان سقراط يطلب الحد والكلى فى الخلقيات، ولا يعنى بالطبيعيات، فاقتنع أفلاطون أن الكليات المعقولة وحدها هى التى تحد وتعلم، وأنه يمتنع أن يوجد حد مشترك للجزئيات المحسوسة، وهى متغيرة أبداً، وسمى هذه الموجودات مثلا، وقال إن المحسوسات إنما توجد وتعلم بها، أى إنها تتصنف فى أنواع لمشاركتها فيها، وما المشاركة سوى اسم آخر لمسمى وجده عند الفيثاغوريين، فانهم كانوا يقولون: إن الأشياء تحاكى الأعداد او تشابهها، فأبدل هو اللفظ وقال: ان الأشياء... تشارك فى المثل، غير أن سقراط لم يكن

يجعل الماهيات أشياء مفارقة ، ولم يكن الفيثاغوريون يجعلون الأعداد مفارقة ، ففطن أفلاطون — وكان يمتاز عنهم بالمنطق — إلى أنه لما كان العلم والحد لا يلائمان الجزئيات المحسوسة ، فيجب وضع الكليات فوق الجزئيات ، وأقامها عللا صورية ونماذج وغايات للمحسوسات . فتحقق له بها ما كان يرمى إليه أمبيدوقل من قوله بالمحبة أو الخير وانكساغور من قوله بالعقل أو النظام والكمال ، ثم أخذ عن الفيثاغوريين فكرة التناسخ ، فاعتقد بحياة سابقة وأحال التوليد السقراطى تذكراً ، إن لم يكن قد وضع هذا التوليد من عند نفسه .

مراجعة النظرية

(ا) ولكن أفلاطون لم يكن مطمئناً إلى هذا التفسير تمام الاطمئنان ، فعاد إليه يمتحنه فى محاورة « برمنيد » فرأى أولا أن المنطق يقضى عليه بأن يضع مثلا للمشابهة ، والواحد والكثير والجمال والخير وما أشبه ؛ ولكنه يقول : إنه كثيراً ما حار فى هل يضع كذلك مثلا للانسان والنار والماء أم لا ؟ وإنه يجد من الغرابة بمكان عظيم أن يكون هناك مثل للشعر والوحل والوسخ وما إلى ذلك من الأشياء الحقيرة ، ويعترف أن الفكرة عاودته من حين لآخر أن ربما وجب القول بمثال لكل شىء ، فكان يضطرب لها ويتحول عنها مسرعاً ، لئلا يمضى معها فيغرق فى هاوية من الحماقة ، ثم ينتهى إلى أن هذا إنما يعرض له لأنه يلحظ رأى الناس ، ولأن الفلسفة لم تستول عليه بعد بالقوة التى يرجو أن تستولى يوماً ما . وحينئذ فلن يشعر فى نفسه احتقاراً لشىء .

وينتقل إلى المشاركة فيقول : إنها ممتنعة ، لأنه إذا كانت أشياء عدة ، تشترك فى مثال واحد ، فاما أن يوجد المثال كله فى كل واحد فى هذه الأشياء ، وهذا يعنى أن المثال متحقق كله فى نفسه ومتحقق كله فى كل واحد من الأشياء ، أى مفارق لنفسه وهذا خلف ، وإما أنه يوجد مقسما فى الأشياء المشاركة فيه ، وحينئذ يعدم بساطته من جهة ، ويلزم القول من جهة أخرى أن جزء الكبر بالذات ينقلب صغراً بالنسبة إلى كل الكبر ، وأن كل الصغر يصبح كبراً بالنسبة إلى جزئه ، أى أن الشىء المشارك يصير على خلاف الشىء المشارك فيه ، وهذا خلف كذلك ، ثم إن الغاية من نظرية المثل إنما هو وضع جزئيات عدة تحت مثال واحد يقال عليها ، ولكن هذه الوحدة ممتنعة ، لأنه إذ ساغ لنا أن نضع الكبر بالذات فوق الكبار المتكثرة لتشابهها فى هذه الصفة ، فان تشابه المثال والأشياء الكبيرة يحتم علينا أن نضع لنفس السبب كبراً آخر فوقها جميعاً ، وهكذا إلى غير نهاية . وليس يغنى القول : إن المثال تصور فى العقل وإنه من حيث هو كذلك يمكن أن يقال على كثير دون أن يفقد شيئاً من وحدته ، فان العقل إنما يتصور بالمثال شيئاً حقيقياً ، هى الناحية

المشتركة بين كثيرين ، وهذه الناحية المشتركة ، هي المثال ، فلم يتغير الموقف ، أما إن قيل إن نسبة الجزئي إلى المثال ليست كنسبة الجزء إلى الكل ، بل كنسبة الصورة إلى النموذج أمكن الاجابة أن النموذج في هذه الحال يشبه الصورة ، فيتعين أن نضع فوق الجزئي والنموذج نموذجاً آخر يشتركان فيه، وهكذا إلى ما لا نهاية .

وأخيراً لا يصلح المثال أن يكون موضوع العلم، فانه قائم بذاته، وليس فينا ولا في هذه الدنيا، وإذن فلا يعلمه إلا العلم بالذات أو مثال العلم، أما علمنا نحن فهو علم بما في هذه الدنيا، ولسنا مشاركين في العلم بالذات ، فان أضفنا هذا العلم بالذات إلى الله، فيلزم أن الله لا يعلم الموجودات الخارجة عن المثل ، وأننا لا نعلمه، وأن القدرة بالذات التي هي قدرة الله لا تتناول المحسوسات.

والخلاصة أن نظرية المثل تنهار من أساسها وتبدو كأنها « بطانة » لهذا العالم لا لزوم لها، فليس المثال علة للجزئيات ، والمشاركة ممتنعة ، وليس وحدة فوق كثرة ، وهو يتعدد إلى مثل لا تحصى ، وليس موضوعاً لعلم وهو مفارق لنا تمام المفارقة.

(ب) وعلى ذلك فقد كان أفلاطون متردداً في وضع مثل لبعض المحسوسات ومشفقاً على نفسه من السخرية فيما يتعلق بالبعض الآخر، ولكنه لم يكن يجد صعوبة في القول بمثل للمجردات متصورة في ذاتها ، حتى إذا ما راجع معنى المشاركة وجده يثير صعوبات عاتية ، ولكنه عاد فقال إن هذه الصعوبات ليست ممتنعة الحل وإنما يتطلب حلها عقلا ممتازاً ، أما إذا وقفنا عندها وأنكرنا المثل فلا ندرى إلى أين نوجه الفكر فان المشاركة وإن تعذر فهمها في الوجود تبدو واضحة ضرورية في العقل ، من حيث ان الفكر إضافة معنى لآخر . ويؤخذ من كلام أرسطو أن أفلاطون في أواخر أيامه وفي دروسه الشفوية استبدل الأعداد بالمثل أو بعبارة أدق استبدل بها نسباً عددية وحاول أن يجد أعم النسب فيجعلها مثلا ، فكأنه رجع إلى قول الفيثاغوريين أن ماهية الأشياء نسب عددية ، وتصور المشاركة تحقق الأشياء بحسب النسب العددية .

يوسف كرم

اللعب

بقلم الدكتور على عبد الواحد وافى

أستاذ التربية بدار العلوم العليا والأخلاق بقسم التخصص بالازهر

وتاريخ الادب المسرحى بقاعة المحاضرات التمثيلية

تمتاز النهضة الادبية فى مصر على غيرها الآن بتلك الطائفة من الشباب العلماء . الذين كرسوا حياتهم فى سبيل العلم والادب ، وأضحوا فى طليعة الشباب العلماء فى الشرق كله .

ومن هذه الطائفة التى ذكرنا الاستاذ الدكتور علي عبد الواحد وافى الذى يعد بحق نجماً متلألئاً فى سماء الادب حديثه وقديمه .

وها نحن أولاء نقدم هذا المقال العلمى الطريف للدلالة على صدق ما نقول .
المحرر

١ — نظريات اللعب

ماهو اللعب ؟ وما أسبابه ؟ وما الوظيفة الجوهرية التى يؤديها فى حياة الطفل ؟ — أسئلة اختلف المشتغلون بعلم نفس الطفل فى الاجابة عليها ، اختلافاً كان له أكبر فضل فى بيان دقائق هذه الظاهرة ، واكتشاف مالها من الأهمية فى حياة الطفل الفردية والاجتماعية ، وأهم النظريات التى قيلت بهذا الصدد تنحصر فيما يلى :

أولا — نظرية الراحة

يرى شالير (Schaller) ولا زاريس (Lazarus) وغيرهما أن الوظيفة الأساسية للعب هى إراحة القوى العقلية أو القوى الجسمية من عناء الاعمال .

وهذه أقدم نظرية قيلت فى اللعب (من ١٨٦١ إلى ١٨٨٣) — وقد ترجم قائلوها فى الحقيقة عن الرأى السائد عند عامة الناس ، مع تهذيبهم له ووضعه فى صيغة فنية .

ولا ننكر أن هذه النظرية تشتمل على نصيب من الصحة ، وخاصة فيما يتعلق ببعض

ألعاب من بلغ سن الرشد ، غير أنها مبهمة وغير كافية لشرح جميع مظاهر اللعب ؛ ويكفى للبرهنة على هذا أن نوجه لها الاعتراضات الآتية : —

١ — تعب القوى الجسمية أو العقلية يحمل الانسان عادة على طلب الراحة التامة لا على اللعب الذى يتطلب نوعاً من المجهود . فاللعب لا يؤدى فى الواقع الوظيفة التى ينسبها إليه قائلو هذه النظرية ، وإن أداها فبشكل ناقص ومن طريق غير طبيعى .

٢ — يلعب الأطفال بمجرد يقظتهم من نومهم ، أى فى وقت تكون فيه قواهم الجسمية والعقلية موفورة، ليس بها أى أثر لما يسميه قائلو هذه النظرية تعباً ، وتقضى صغار الحيوانات بياض يومها فى اللعب ، مع أنها لا تقوم بأعمال أخرى ، من شأنها أن تجهد قواها العقلية أو الجسمية .

٣ — لكل صنف من الحيوانات طائفة خاصة من الألعاب : فللطفل الانسانى ألعاب محدودة لا يتعداها ، كما أن للهرة ألعابها وللحمل ألعابه . . . الخ. فلو أمررت أمام الحمل حبلا ماحدثته نفسه باتباعه كما تتبعه الهريرة، كما أننا لم نر هرة تناطح أخرى فى لعبها معها كما تفعل الحملان . . . الخ ، فلماذا اختلفت أصناف الحيوان هذا الاختلاف فى شكل ألعابها ؟ ولماذا كان لعب صغار الانسان غير لعب صغار ماعداه من أصناف الحيوان ؟ ولماذا اختلف لعب كل طائفة من هذه الأصناف الأخيرة عن لعب ما عداها ؟ — تعجز « نظرية الراحة » عجزاً تاماً عن تفسير هذه الظاهرة الجوهرية ، التى يتوقف عليها كل موضوع اللعب على بيان أسبابها فبديهى أنه لو كانت وظيفة اللعب مجرد الراحة من عناء الأعمال — كما تقول هذه النظرية — ما تعددت مظاهره بتعدد أصناف الحيوانات ، وما كانت هذه المظاهر ثابتة ومحددة عند كل صنف منها ، أو على الأقل ما كانت ثمة حكمة فى ذلك .

ثانيا — نظرية القوى الزائدة

ليس لدى الطفل من الأعمال الجدية مايستهلك جميع قواه الجسمية والنفسية . وقد زودته الطبيعة بغريزة اللعب ، ليفرغ بواسطتها ما لديه من القوى الزائدة عن الحاجة ، مستعيناً فى هذا « التفريغ » بالحركات التى كونتها العادة فى مراكزه العصبية .

وتنسب هذه النظرية — التى تقرر تقريباً نقيض ما تقرره النظرية الأولى — للمربى الانجليزى (هربرت سبنسر) ، لأنه أول من عرضها بشكل علمى مفصل فى كتابه (علم النفس) وإن كان قد ذكرها قبله — ولكن بشكل مجمل وغير فنى — الشاعر الألمانى شيلير (Schiller).

ولا ريب أن وجود بعض قوى زائدة عن الحاجة عند الحيوان ، قد تكون من الأمور المساعدة على اللعب ، ولكننا لا نسلم ، مع قائلى هذه النظرية ، لا بأن وظيفة اللعب هى

مجرد (تفريغ) تلك القوى الزائدة ، ولا بأن طريقة اللعب تنحصر فى تكرار حركات قد كونها العادة فى مراكز الطفل العصبية ، وحسبنا لدحض هاتين النقطتين أن نذكر الاعتراضات الآتية : –

١ – تبتدىء ظاهرة اللعب عند الطفل بمجرد ولادته ، أى قبل أن تتكون عنده أية عادة ، وهذا وحده كاف فى هدم النقطة الثانية من النظرية التى نحن بصدد الكلام فيها .

٢ – على أن الألعاب اللاحقة للأطوار الأولى من حياة الطفل ، لا تنحصر فى تكرار حركات قد كونتها العادة من قبل ، فى المراكز العصبية ، بل يتألف معظمها من اختراعات ، أى من مزيج من الحركات الجسمية والنفسية ، للطفل فيه فضل اختراع العناصر ، أو على الأقل فضل التأليف بينها تأليفاً لا عهد له به من قبل .

٣ – يوجه للنقطة الأولى من هـذه النظرية نفس الاعتراض الثالث الذى وجهناه (لنظرية الراحة) ، فمن البين أنه لو كانت وظيفة اللعب مجرد (تفريغ) القوى الزائدة عن الحاجة ، ما كانت ثمة حكمة فى تعدد أشكال الألعاب بتعدد أصناف الحيوانات ، ولكن تصرف الطبيعة بهذا الصدد ضرباً من التحكم والهوى ، غير مبنى على أى أساس حيوى ، وهذا مالا يمكن أن يسلم به إلا قليلو الالمام بقوانين الطبيعة ، ودقتها فى أعمالها .

٤ – على أن الأطفال كثيراً ما يلعبون فى حالات لا تكون فيها قواهم الجسمية والعقلية زائدة عن الحاجة ، وكثيراً ما رأينا أطفالا يلعبون وهم فى أشد حالات تعبهم ، حتى يغشاهم النعاس كلالا — ولعبهم بأيديهم — وأطفالا مرضى يلعبون بمجرد أن يأنسوا من أنفسهم قوة بسيطة على الحركة دون أن ينتظروا تكدس قواهم وزيادتها عن الحاجة .

ثالثاً – نظرية الوراثة النوعية

يرث الطفل ، بحكم قوانين الوراثة النوعية ، كثيراً من مظاهر النشاط التى بدت فى الجنس البشرى ، فيرث عن الانسانية الأولى الاتجاه نحو الصيد والقنص ، والقسوة على الحيوان ، وعن الاطوار التالية الاتجاه نحو تكوين الجمعيات ، وبناء المنازل . . . . وعن أمم القرون الوسطى الاتجاه نحو أعمال الفروسية . . . . وهلم جرا ، وتظهر لديه هذه الاتجاهات مرتبة حسب ترتيب ظهورها فى الانسانية : فأول اتجاهات تظهر عنده ، تمثل مظاهر نشاط الجنس الانسانى فى أول مرحلة من مراحله : وهلم جرا ، وبما أن كثيرا من هذه الاتجاهات قد أصبح بقاؤها عند الطفل ضاراً به ، أو على الأقل غير مفيد له فى حياته الاجتماعية الحالية ، لذلك زودته الطبيعة باللعب ، ليبرز بوساطته هذه الاتجاهات ، من حيز القوة الى حيز العقل ، فيجيب بذلك داعيها

ويشبعها إشباعا يترتب عليه القضاء عليها وتطهيره منها ، فالطفل حينما يلعب مثلا فى طفولته الاولى ألعاب الصيد يجيب بذلك داعى اتجاه قد ورثه عن أقدم طور تاريخى للانسان ، إجابة يترتب على تكرارها إشباع هذا الاتجاه وبالتالى القضاء عليه ، وهكذا دواليك ، حتى يقدم على طور الرجولة وقد طهرته ألعابه من جميع الاتجاهات التى نكب بها من قبل وراثته النوعية ، والتى لايتناسب بقاؤها عنده مع الشكل الذى تتطلب حياته الاجتماعية الحالية أن يكون عليه ، وبالجمله ليس للعب وظيفة إلا تطهير الطفل من اتجاهات وراثية تأباها بيئته الاجتماعية .

وأول من قرر هذه النظرية بشكلها المتقدم العالم الامريكى (ستانلى هول) سنة ١٩٠٢م ، وقد بناها على عدة أسس ، منها :

١ ـ نظرية (هيكيل) التى تقرر أن المراحل التى يجتازها الطفل ، فى أى فرع من فروع حياته أثناء تطوره من الطفولة إلى الرجولة ، ماهى إلا تلخيص أى تكرار بشكل مختصر ومرتب لنفس المراحل التى اجتازها الجنس البشرى فى تقدمه من الوحشية إلى الحضارة .

٢ ـ ماقام به (ستانلى هول) نفسه من التجارب والمشاهدات التى أثبتت له صحة نظرية (هيكيل) فيما يتعلق باللعب ، أى أثبتت له أن اللعب يتطور فى الطفولة تطوراً مشبها لتطور مظاهر النشاط فى الجنس الانسانى ، فقد قرر أن الالعاب الفردية وألعاب الصيد ، هى أول مايظهر عند الطفل ، وتمتد حتى السابعة أو التاسعة من عمره ، وبعدئذ تخلفها الالعاب الاجتماعية وهكذا ، وواضح أن هذا التطور شبيه فى جملته بتطور مظاهر النشاط فى الجنس الانسانى نفسه ، فان الاعمال الفردية ، وأعمال الصيد ، كانت أول مظهر من مظاهر هذا النشاط ، ثم خلفتها الاعمال الاجتماعية وهلم جرا .

٣ ـ مايراه (ستانلى هول) وبعض علماء النفس معه من أن الاتجاهات النفسية لاتنفك مرهفة الحد ، مادامت داخلية بحتة ، فاذا ما أبرزت من حيز القوة إلى حيز الفعل ، وذلك بتلبية الشخص نداءها ، وبأدائه الحركات الجسمية والنفسية التى تتطلبها وتوحى بها إليه ، هدأت سورتها وضعفت سيطرتها على النفس ، وكلما تكرر إبرازها انخفضت درجة حدتها حتى تمحى محوا تاما ، ولذلك نراه يشبه الطفل فى مثابرته على اللعب بصغير الضفدع لاينفك يحرك ذنبه حتى يتخلص منه .

ولنظرية (ستانلى هول) على سابقتيها عدة مزايا:

منها: محاولة البحث عن أسباب اختلاف نوع الألعاب باختلاف الأعمار ، الأمر الذى لم يتنبه له بتاتا قائلو النظريات السابقة .

ومنها : أنها تتضمن تعليلا لظاهرة ذات أهمية فى اللعب ، لم يفطن لها أيضاً قائلو النظريتين الانفتى الذكر ، وهذه الظاهرة هى اتحاد بعض أنواع الالعاب عند أطفال كثير من الامم

الانسانية ،ألا ترى أن لعبة (الاختفاء والبحث) فاشية بين صبيان مصر، وصبيان كثير من الشعوب الأخرى ؟ أفنجد لهذه الظاهرة تعليلا أصدق من التعليل الذى تتضمنه نظرية (ستانلى هول) وهو أن الاطفال جميعا يحاكون بلعبتهم هذه الانسان فى عهده الاول الذى اعتاد فيه الصيد وحماية نفسه بالاختفاء من بطش الوحوش، مدفوعين إلى ذلك بحكم الوراثة الجنسية، التى زودتهم جميعا بهذا الاتجاه، وجعلتهم متحدين فيه وفى طريقة إبرازه، كأنهم أخذوه عن معلم واحد؟

غير أنها، بالرغم من تلك المزايا، غير كافية لشرح كل ظواهر اللعب، وغير مصيبة كل الأصابة فى الوظيفة التى تنسبها اليه .

١ - فليس بصحيح - كما يدعى - (ستانلى هول) - أن ألعاب الطفل قاصرة على تكرار مظاهر النشاط التى ظهرت فى الأمم السابقة، فكثيرا مانرى الأطفال، فى كل طور من أطوارهم، يأتون فى لعبهم بأمور يقلدون بها أعمالا لم تظهر إلا فى أمتهم أو فى عصرهم، ولا عهد للأمم السابقة بها، كاللعب بالسيارات والطيارات وكمحاكاة القاطرات البخارية وسائقيها، والمدارس المنظمة ومعلميها، وبأمور أخرى يحاكون بها أعمالا تشترك فيها جميع الأمم الانسانية، حاضرها وماضيها، كاللعب بالعرائس الذى يقلدون فيه ماتفعله الأم مع ولدها .

٢ - وأكبر ما يؤخذ على (ستانلى هول) خطؤه فى فهم وظيفة اللعب، فمن الصعب التسليم بأن ظاهرة تشغل كل طور الطفولة، ويوقف عليها كل نشاط الكائن الحيوانى، أثناء هذا الطور لايكون لها وظيفة، كما يقول (ستانلى هول)، غير تطهير الطفل من بعض اتجاهات ضارة، نكب بها من قبل الوراثة النوعية، وإلا حكمنا على الطبيعة بالسفه والعبث فى تصرفها مع الكائن الحى، تنقل إليه بعض اتجاهات من الانسانية التى سبقته، ثم تشغله طوال طفولته بالعمل على التخلص منها، على أن الواقع يكذب ذلك، فالطفلة التى تقضى ردحاً كبيراً من طفولتها فى اللعب بالعرائس مدفوعة بغريزة الأمومة المنقولة إليها بواسطة الوراثة، لاتخلصها لعبها من هذه الغريزة، بل تنشأ أما رءوما حنونا، دونها فى هذه العواطف الأمهات اللاتى لم تلعبن أثناء طفولتهن لعبها، أو على الأقل مساوية لهن فيها، والطفل الذى يلعب ألعاب الصيد أو الزراعة، ليس بلازم أن ينشأ مجرداً من كل اتجاه نحو الصيد أو الزراعة .

على عبد الواحد وافى

الاقصوصة الفرنسية

من عهد جورج صاند إلى أميل زولا

—— ▬ ——

تمهيد

لقد بلغ فن الأقصوصة الفرنسية من جورج صاند إلى أميل زولا حد الاتقان ، وارتفع به الكتاب إلى أسمى مراتب الابداع ، فنال إعجاب معاصريهم. وانتقل هذا الأعجاب إلينا. إذ أننا لا نستطيع أن نقرأ أقصوصة من أقاصيصهم حتى نؤخذ بسحر بيانهم ، وما أودع فى عباراتهم من تحليل نفسانى ، وخيال رائع ، والوصول إلى أعماق ما فى النفس ، والتعبير عنه بألفاظ رقيقة ، وأسلوب عذب سائغ .

وقد دعانا اختيار الترجمة لهؤلاء الكتاب فى ذلك العهد ما أتوا به من تجديد فى القصص، وما ارتفعوا بخيالهم إلى ذروة الفن . وإن كنا لا نستطيع أن نغمط حق أمثال (موباسانت) (maupassant) والكتاب الذين تلوه فيما زودونا به من نفثات أقلامهم ، مما لا يمكننا إنكاره عليهم ، إلا أن القالب الذى صبوا فيه سبائك أسلوبهم ، ألبس لباس سابقيهم ، وفى الواقع أن أجود ما جادت به قرائح الرجال المتأخرين ، يعد معلما للكتاب فى الفترة التى وصلنا اليها الآن .

وهؤلاء الكتاب يختلفون اختلافا بينا من وجهة النظر والأسلوب والمواضيع ، فبينا ترى بعضهم خياليا ينسج لك من خياله قصة تقرأها له ، ويصورها لك صورة جميلة محبوكة حبكا فنياً يتركك تحسبها حقيقة ، بينا ترى البعض الآخر لا يعرف هوادة فى تقرير الحقائق ، ومتطرفا فى تدعيم المذهب الواقعى (Realism)، غير أن الكل عرف كيف يكتب ما يجول بخاطره وكيف يجنى أزهار هذا الادب الجديد ؟

ويرجع الفضل فى هذا النجاح الكبير الذى لاقته الأقصوصة عند ظهورها إلى الجرائد السيارة ، فانها اختصت هذا الفن بمجهود كبير ، وشجعت كتابه حتى وصلوا به إلى السماكين، ومن عظيم عنايتهم به أن خصصوا له صحفاً من جرائدهم ، وجعلوه باباً مستقلا وجد تشجيعاً من الجمهور ، فقد لمسوا فيه نوعاً طريفاً جديداً غير ما تعودوه من قراءة الأخبار ، فقد كانت مادتها مملة للجمهور ، فأراد أصحاب الصحف تنويع الأبواب ، لتقدم لقرائها موضوعاً حديثاً للتسلية ، وبينما كانت بعض الجرائد تعتمد على القصص المسلسلة ، كانت كبريات الصحف

والممتاز منها تعمد إلى القصة الصغيرة ، فيجد فيها قراؤها لذة وبهجة ، كما وجد فيها المتأدبون غذاء لأفكارهم ، وإرواء لظمئهم ، فكانت للجمهور كمائدة بها مختلف الأطعمة ، فيتناول كل ما يستسيغه .

١ — جورج صاند (Jeorge sand) ١٨٠٤ — ١٨٧٦

تلك الكاتبة الذائعة الصيت ، التي ظهر في عصرها (ميريمه) (merimée) وأجاد في الكتابة القصصية ، وزود قراءه بثمر شهي ناضج ، وفي نفس الوقت كان يعاصرها في أمريكا الكاتب المعروف (بوى) (Poe) ؛ وقد نسج على منوال الكتاب الفرنسيين في هذا النوع الجديد من الأدب ؛ إلا أنه لم يلاق من الأمريكيين تشجيعاً ، ولم يقدروا قيمة ابتكاره ، ولذا انفرد باتقانه والأجادة فيه ، الكتاب الفرنسيون ، فهم الذين أتقنوا صناعته ، وتحديد غاياته ومراميه ، ولذا عد هذا النوع أيضا (أى فن القصة القصيرة) فناً إفرنسياً حتى أن جورج صاند ، هذه الكاتبة ذات الحذق الخارق للعادة ، كانت تستلهم وحى حبها في كتابتها القصصية ، فلذا كانت تخرج عصارة تحليل نفسانى عميق ، وفلسفة عالية ، ولذا كان تأثيرها على المشاعر والعواطف أكثر وقعاًمن بقائها على صبغتها الأدبية ، وقد نالت من معاصريها إعجاباً ، وفي أوساطهم تقديراً عظيما ، وشهرة بالغه .

وقد اشتهر من بين قصصها قصة (المركيزة) (The marquise) التي عبرت فيها عن دقيق شعورها ، وصادق وجدانها ، وهي لم تقتصر على تحليل أخلاق تلك الطبقة الأرستوقراطية ، التي من بينها تلك السيدة العجوز التي أحبت (ممثلا) إلى حد الهوس والجنون ، ولكنها رغم هذا الحب القوى ، وتلك العاطفة المتقدة ، كانت تميتها بشدة محافظتها وظهورها أمام الجمهور ، بمظهر الصلف كما هي عادة تلك الطبقة ، وقد تسللت جورج صاند إلى أعماق تلك المركيزة بحذق ومهارة ، فصورت لنا كيف يكون الهوى المبرح في برودة الجمال المسن الشرس ، فتركت القارىء — بقوة بيانها ، وسحر بلاغتها — يهتز من دقة الملاحظات التي أبدتها في أسلوب رقيق ، وألفاظ عذبة مسترسلة ، وفي هذا يتجلى فن القصة القصيرة ، في خيال لذيذ يصل بالقارىء إلى حد الابداع .

٢ — جولياس جانن (Jules Janin) ١٨٠٤ — ١٨٧٤

أحد النقادة الأفذاذ ، وهو الذى ساعد جورج صاند فيما وصلت إليه من شهرة ، وكان فخر جريدة (Journal des Dêbatsô) إحدى أمهات الجرائد الفرنسية العظيمة وأحد سحرة الأقلام ، يحركها بين أنامله كما يشاء ، ويخط بها ما يبغى ، يدبج بسهولة كما يتكلم ، ذو شخصية بارزة وذكاء متوقد متجدد ، وخيال سام ، وشعور رقيق عال متدفق .

وقد ولد ممثلا يبدى إيماءاته وحركاته على القرطاس على خشبة المسرح ، انغمس فى الحياة البوهيمية حتى كان من أمرائها ، ويمكن لك بدون عناء أن تستشف من أقاصيصه ما يود أن يصوره من المناظر الرائعة البهيجة ، بأسلوب خلاب ، وخيال واسع النطاق ، وسلاسة فى اللفظ ، وسهولة فى التعبير مما يبعث على الفخر به .

٣ — (أميل سوفستر) (Emile Souvestre) ١٨٠٦ — ١٨٥٤ .

وهذا محرر آخر فى الجرائد ، ذو موهبة فياضة فى الأدب ، ومن رأيه : أن على المحرر أن يواصل التجديد ، ويقدم للقراء القصص الشائقة لتسليتهم فى ساعات فراغهم ، ويتحتم أن تكون قصيرة بقدر تلك الفترات ، لتقرأ فى الجتمعات العائلية فى المساء أو فى الأويقات التى تصل الهجوع بالنوم ، وهو من (بريتون) ، وقد جاهد جهاداً شاقاً طويلا فى باريس ، قبل أن يصل إلى شهرته بأقصوصته (الفيلسوف تحت السقف) ، ولو قرأت له أقصوصة (العم موريس) لبلغ بك التأثير حداً لا مثيل له ، وقد انصب همه على دراسة أحوال الأوساط الوضيعة والتغلغل فى مسراتها وأحزانها الدفينة ، وصدق مشاعرها ، وتمسكها بعقائدها الدينية التى نبذها إذ ذاك « فتيان العصر » . وقد كان لنشأته فى (بريتون) ودراسته لطرائق المعيشة والعادات فيها ، طابع خاص من تصوراته وكتاباته ، دفعت بشهرة أقاصيصه إلى عرض العالم .

٤ — (الفرد دى موسيه) (AL fred des masset) ١٨١٠ — ١٨٥٧

إنه لمن السهل أن تدرك من بين كتابات هذا المخلوق الشديد الارتباك مبلغ حبه وشغفه العظيمين للبساطة ، وإنه ليقص عليك تاريخ حياته فى أقصوصته (العصفور الأبيض الأسود) وهى أحسن مجاز رائق ، فى أى أدب قرأت ، فيأتى لك فيه على نوع من الطير غير عادى ذى نباهة عظيمة ، وما هو إلا عصفور أسود يحاول أن يظهر أبيض ، بواسطة المساحيق والدقيق ، وربما يعنى بهذا العصفور جورج صاند التى عاشرها ردحاً قليلا من الزمن فى مدينة البندقية ، وانفصلا حيث لم تحل لهما العشرة ، لأن كلا منهما معجب بنفسه .

وإن كان (موسيه) يبالغ دائماً فى كتاباته إلا أنه يتذرع بالصدق فى تقرير الحقائق ، وإن عد (هوجو) نسر الشعر الغنائى العصرى ، فان موسيه لا مشاحة هو البلبل الفرد ، ولا تفرقة فى نثره وشعره من وجهة الاجادة

ويكفى أن تقرأ أقصوصته (كاميل) الشائقة ، فتريك أن (موسيه) — الذى مات فى أوج شهرته صريع الشراب — كان من أحسن الناس طيبة قلب ورقة إحساس ؟

محمد بهجت
بقسم المساحة بالقاهرة

دعاة المعتزلة

واصـــــــــل بن عطاء

بقلم الأستاذ حافظ عبد الوهاب

مقدمة

اصطدم الاسلام وأهله صدمة زحزحتهم عن الطريق التى استقاموا عليها بقتل الخليفة الثالث (عثمان)، وأشعر الأمر قلوب العامة أن شهوات تلاعبت بالعقول فى أنفس من لم يملك الايمان قلوبهم، وتوالت الأحداث بعد ذلك، وكانت حروب بين المسلمين انتهى فيها أمر السلطان إلى الأمويين . غير أن بناء الجماعة قد انصدع ،وتفرقت بهم المذاهب فى الخلافة، حتى مرت نجوم الشقاق فى بروج العقول ، وافترق الناس إلى : شيعة ، وخوارج ، ومعتدلين ؛ وغلا الخوارج فكفروا من عداهم، وغلا بعض الشيعة فرفعوا (علياً) إلى مقام الألوهية، بيد أن هذه الأعاصير لم تقف فى سبيل الدعوة الاسلامية ، فقد آن للمسلمين أن يشتغلوا بأصول العقائد بعد فراغهم من الحروب ، ووجد من أهل الاخلاص الحسن البصرى الذى مضى حد عزمه ، وورى زند أمله ، فكان له مدرسة للتعليم بالبصرة يجتمع إليه الطالبون من كل صوب ؛ ولكن بعد مديدة من الزمان دبت عقارب الخلاف، فاعتزل واصل بن عطاء عن أستاذه الحسن البصرى يعلم أصولا لم يكن قد أخذها عنه .

واصل بن عطاء

ولد واصل بالمدينة سنة ٨٠ هـ ، ثم انتقل إلى البصرة وسمع من الحسن البصرى ، وتوفى سنة ١٣١ هـ ؛ وكان يكنى بأبى حذيفة ، ويلقب بالغزال، لجلوسه عند صاحب له فى سوق الغزالين، ولم يلزم هذه السوق إلا ليتصدق على من يغشاه من النساء المتعففات ؛ قال أبو العباس المبرد : كان واصل أحد الأعاجيب ، وذلك أنه كان ألثغ قبيح اللثغة فى الراء ، ولا يفطن لذلك لاقتداره على الكلام . قال أبو الطروق الضبى الشاعر المعتزلى يمدحه باطالة الخطب واجتنابه الراء على كثرة ترددها فى الكلام حتى كأنها ليست فيه :

علیم بابدال الحروف وقامع — لكل خطيب يغلب الحق باطله

وقال آخر :

ويجعل البر قمحاً فى تصرفه — وخالف الراء حتى احتال للشعر

ولم يطق مطراً والقول يعجله — فعاد بالغيث إشفاقا من المطر

واصل وبشار بن برد

طالما كان بشار يمدح واصل بن عطاء ، ومن قوله يفضله على خالد بن صفوان ورفقته يوم خطبوا عند والى العراق :

أبا حذيفة قد أوتيت معجبة   من خطبة بدهت من غير تقدير
وإن قولا يروق الخالدين معا   لمسكت مخرس عن كل تحبير

لأنه كان مع ارتجاله الخطبة التى نزع منها الراء ، كانت مع ذلك أطول من خطبهم ، ثم هجاه الأعمى لاختلافهما فى الرأى ، قال :

مالى اشايع غزالا له عنق   كنقنق الدو إن ولى وإن مثلا(١)

فلما هجا واصلا وصوب رأى ابليس فى تقديم النار على الطين ، وقال :

الأرض مظلمة والنار مشرقة   والنار معبودة مذ كانت النار

وزعم أن جميع المسلمين كفروا بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم ، فقيل له وعلى أيضاً ؟ فأنشد :

وما شر الثلاثة أم عمرو   بصاحبك الذى لا تصبحينا

قال واصل عند ذلك : « أما لهذا الملحد الأعمى من يقتله ؟ أما والله لولا أن الغيلة سجية من سجايا الغالية ، لبعثت إليه من يبعج بطنه على مضجعه ، ويقتله فى جوف منزله وفى يوم حفله »

مجادلة واصل للخوارج

أجمع أصحاب الحسن والخوارج والمرجئة على أن صاحب الكبيرة فاسق فاجر ، ثم انفردت الخوارج وحدها ، فقالت هو مع فسقه وفجوره كافر ، وقالت المرجئة : هو مع فسقه وفجوره مؤمن ، فانبرى لهم واصل قائلا : قد سميتم صاحب الكبيرة بالاجماع فاسقاً فاجرا ، وهذا صحيح كما نطق به القرآن فوجب تسميته به . وما تفرد به كل فريق منكم من الأسماء فدعوى لا تدعم إلا بدعامة من كتاب الله أو سنة نبيه ، ثم قال واصل للخوارج : وجدت كل أحكام الكفار المنصوص عليها فى القرآن زائلة عن صاحب الكبيرة ، فوجب زوال اسم الكفر عنه بزوال حكمه ، وفى السنة أن أهل الكفر لا يتوارثون ولا يدفنون فى مقابر أهل القبلة ، ولم يفعل بصاحب الكبيرة كذلك ، فاذن وجب أن يكون مرتكب الكبيرة غير مؤمن ، لزوال أحكام المؤمن عنه فى كتاب الله ، ووجب أنه ليس بكافر لزوال أحكام الكفار عنه ، ووجب أنه ليس بمنافق لزوال أحكام المنافقين عنه فى سنة نبينا ، ووجب أنه فاسق فاجر ، لاجماع الأمة على تسميته بذلك ، وبتسمية الله له فى كتابه .

[١] أي كعنق الظليم الفلوى وهو ذكر النعامة لأنه كان طويل العنق جدا

أساس الاعتزال

إن أساس الاعتزال فرقة القدرية، التى كانت تقول بالقدر خيره وشره من العبد ، ثم جاء واصل وعمرو بن عبيد فى آخر دولة بنى أمية ووسعا مجال القدرية ، وأدخلا فيها ملاحظات جديدة، ودققا وفصلا ، وكان عمرو من تلامذة واصل اشتهر بالزهد والورع ، وفيه يقول أبو جعفر المنصور :

كلكم يطلب صيد غير عمرو بن عبيد

فكان يجادل مخالفيه، ويدعو إلى الاعتزال فى مهارة ، فاذا رأيته مقبلا توهمته جاء من دفن والديه ، واذا رأيته جالساً توهمته أجلس للقود ، واذا رأيته متكلما توهمت أن الجنة والنار لم يخلقا إلا له ، وقد أبى هو وأصحابه أن يتولوا للحكومة عملا ، وأرادوا أن يكون عملهم لله خالصا .

ويظهر أن النقطة المبدئية فى نشأة مذهب الاعتزال، هى القول بالمنزلة بين المنزلتين ، إذ كانت حالة المجرمين من الأمة، مسألة حيوية لم يزل بحر المناظرات فيها زاخراً فى ذلك الزمان، والسبب فى هذا الاعتزال أن رجلا دخل على الحسن البصرى قائلا له : ياإمام الدين! لقد ظهرت فى زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبائر ، وهم الخوارج ، وجماعة يرون أن العمل ليس ركناً من الايمان ، وهم المرجئة ، فكيف تحكم لنا فى ذلك اعتقاداً ؟ فتفكر الحسن فى ذلك وقبل أن يجيب قال واصل : أنا لا أقول إن مرتكب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق ، بل هو فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر ، ثم قام إلى اسطوانة من اسطوانات المسجد ،يقرر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن ، فقال الحسن: اعتزل عنا واصل ، فسمى هو وأصحابه معتزلة.

موقف المعتزلة السياسى

لم يقتصر أهل الاعتزال على المجادلات الدينية فحسب ، بل خاضوا فى ميدان السياسة وأبدوا آراءهم ، فقالوا: إن بيعة أبى بكر صحيحة شرعية ، ولم تكن بنص من رسول الله، وإنما كانت بالاختيار ، واختلفوا أيهما أفضل : أبو بكر أم على ؟ فقال قدماء البصريين: كالنظام والجاحظ: إن أبا بكر أفضل من على ، وقال البغاددة كأبى الحسين الخياط إن علياً أفضل ، ولهم فى ذلك حجاج طويل ، ولما وصلوا إلى واقعة الجمل، كان واصل يقول إن أحد الفريقين فاسق بقتاله لا محالة ، وأما عمرو بن عبيد فقال بفسق الفرقتين المتقاتلتين جميعاً، وتبرأ المعتزلة من عمرو ومعاوية وخطئوهما وتباعهما .

بزوغ علم الكلام

المعتزلة هم أسرع من استفاد من الفلسفة اليونانية بعد صبغتها صبغة إسلامية ، وأشهر من استخدم الفلسفة فى ذلك أبو الهذيل العلاف والنظام والجاحظ ، فالمعتزلة هم الذين خلقوا علم

الكلام فى الاسلام، لأنه فى أوائل القرن الثانى للهجرة ظهر أثر من دخل فى الاسلام من اليهود والنصارى والمجوس، فكثير من هؤلاء أسلموا ورءوسهم محشوة بأديانهم القديمة، فسرعان ما أثاروا حول الاسلام الشكوك والأوهام، كل هذا دعا المعتزلة أن يتسلحوا بسلاح عدوهم فجادلوا جدالا علمياً وردوا هجمات القائلين بالجبر والمنكرين لله. قال المرتضى عن واصل «إنه كان أعلم الناس بكلام غالية الشيعة، ومارقة الخوارج، وكلام الزنادقة، والدهرية، والمرجئة، وسائر المخالفين» فأخذ بعد معرفة أقوالهم يرد عليهم فى فصاحة من القول، يصفها بشار بقوله فيه:

وقال مرتجلا تغلى بداهته كمرجل القين لما حف باللهب

وتصفه زوجته فتقول:

«كان إذا جنه الليل صف قدميه يصلى ولوح ودواة بجانبه، فاذا مرت به آية فيها حجة على مخالف، جلس فكتبها ثم عاد إلى صلاته».

عقائد المعتزلة

أمكننى بعد البحث والتنقيب فى بطون الكتب القديمة، أن أجمع الأصول التى كان يقول بها جماعة الاعتزال، وها هى بالاختصار:

١ – اعتقاد أن الله واحد لا شريك له من أى جهة كانت ولا كثرة فى ذاته البتة، وهو خالق الجسم وليس بجسم، ومحدث الأشياء وليس كالأشياء، وأنه لا يرى بالأبصار لا فى الدنيا ولا فى الآخرة. ويظهر أن هذا الأصل موضوع للرد على المجسمة الذين تقولوا أقاويل تقشعر منها ذوائب المؤمنين.

٢ – العدل: وفيه أن الله لا يحب الفساد ولا يخلق ولا يفعل الا ما فيه المصلحة. وأفعال العباد منسوبة إليهم يفعلونها بقدرة خلقها الله فيهم، ويظهر أن هذا بلا شك موضوع أولا للرد على المجبرة وبعض من قال بوقع الظلم من الله تعالى من الرافضة.

٣ – القول بالوعد والوعيد: فالله صادق فى وعده ووعيده لا مبدل لكلماته فلا يغفر عن كبيرة الا بعد التوبة.

٤ – القول بالمنزلة بين المنزلتين.

٥ – الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وفيه تكليف المؤمنين الجهاد، وإقامة حكم الله على كل من خالف أمره أو نهيه، سواء أكان كافرا أم فاسقا، قال الخياط فى كتابه الانتصار: «ليس يستحق أحد منهم اسم الاعتزال حتى يجمع القول بالأصول الخمسة»؟

حافظ عبد الوهاب
دبلوم دار العلوم العليا

طريقة التاريخ

بقلم ج . ل ميرز . استاذ التاريخ القديم بجامعة أكسفورد

لفظة التاريخ بأوسع مدلولاتها تعنى اكتشاف الحوادث وتسجيلها ودراستها ، فاذا قلنا - مثلا - التاريخ الطبيعى ، فلسنا نقصد أقل مما تحدثه الطبيعة فى هذا العالم المحيط بنا .

واذا ضيقنا الدائرة وجدنا أن العلوم التاريخية لا تعتمد على التجربة ، لأنها مقيدة فى النظام الزمنى ، الذى تحدث الحوادث فيه ، وعلى هذا فنحن عندما نصف الاشياء فى نظامها (التاريخى) فلا نعمل أكثر من تسجيل توزيعها فى الزمان ، كما أننا اذا أردنا وصفها فى النظام الجغرافى لانعمل أكثر من تسجيل توزيعها فى المكان ، ومن هنا كان التاريخ شقيق الجغرافيا كلاهما يعنى بالحوادث وترتيبها ، وإحصاء أسبابها ونتائجها .

والشائع أننا اذا تحدثنا عن التاريخ لانقصد التاريخ الطبيعى ، وإنما نقصد تسجيل أعمال الأنسان ، وحتى هنا نجد الانسان يعمل أشياء كثيرة ، لايهتم بها المؤرخون إلا إذا اتفق وكانوا يكتبون عن مجهوداته الخاصة كالموسيقى والكتابة والحرب ، ونجد التاريخ العام للجنس البشرى ، يستقل به علم خاص اسمه الأنثروبولوجيا [1] وأخلاق الانسان فى الجماعة تنسب الى فرع من فروع المعرفة ، هو (الانتولوجيا) [2] وقد يعطى له أحيانا هذا الاسم المغرر الغريب (علم الاجتماع)

وإذا كان من الصعب تميز التاريخ عن هذه الدراسات ، فانه من المفيد أن نذكر أننا إذا أردنا أن نسجل باختصار حقيقة تاريخية ، فما علينا الا أن نختزل هذه الحقيقة الى (اسم) و(تاريخ) . خذ مثلا : الحقيقة التاريخية المعروفة بالفتح النورمندى نرمز اليها (وليام الاول عام ١٠٦٦) كما نرمز للماء بالرمز الكيمائى (ايد) ، وفى كلتا الحالتين لايدل الرمز على صورة إخبارية ، ولا يشرح الحقائق ، والسبب الذى يجعل المبتدىء فى دراسة التاريخ يشعر بالسآمة والملال ، هو أن بعض الناس لايعرفون أن الاسماء والتواريخ ماهى الا رموز ، وهم لذلك يعتاضون بها عن المعرفة التاريخية فى ذاتها .

ومع هذا لانستطيع العمل بغير التواريخ - مهما كان حظها من الضبط والاتقان وإلا فكيف نستطيع معرفة النظام الذى سارت الحوادث بمقتضاه ؟ وكيف نقدر مدتها أومدة الفترات التى بينها ؟

---

[1] علم الانسان [2] علم الجماعة

وكذلك الحال فى الأسماء، إذ بغير أسماء الأقوام، والأمكنة والأفراد بنوع خاص، لا تتأتى لنا معرفة ماحدث فى تاريخ معين، ولا من أحدثه ولا أين حدث، بل ولا الناس الذين اشتركوا فيه أو أحسوا نتائجه.

من هنا كانت أسماء الافراد وأعمالهم من أهم حقائق هذا النوع من الدراسة، حتى عرف أحدهم التاريخ بأنه وصف تأثير عظماء الرجال، ذلك لأن الجزء الأكبر من التاريخ لايعنى بتسجيل الأشياء الثابتة، بل يعنى بتسجيل التغير. وهذا وحده هو السبب الذى يجعلنا نوجه التفاتنا إلى عظماء الرجال، لأنهم عوامل الأحداث الكبرى وأدواتها.

وقليل من يدرك أن الهمج والمتوحشين يندر حدوث التغير بينهم، فكل شىء عندهم ثابت محدود بطرائق الحياة، مقيد بالعرف، وهم لذلك يخافون الانقلاب، ويكرهون محدثيه ويعاقبونهم؛ ولهذا قلما تشعر هذه الجماعات بظهور الفرد العظيم، ومثلها فى ذلك مثل جماعات الغوريلا، قلما تشعر بظهور قرد عظيم!

أمثال هذه الجماعات — مع أن أفرادها من المخلوقات العاقلة — ندرسها فى الوسط المحيط بها، لأن حياتها تتلاءم مع هذا الوسط ولاتتغير، إلا كما تتغير عادات الحيوان بتغير البيئة، أو بعبارة أدق بتغير طريقة الحصول على الطعام، ولسنا نستطيع القول بأن لهؤلاء الناس تاريخاً ما، إلا اذا كنا نقصد التاريخ الطبيعى الذى بدأنا به، والذى يبحث فى اعمال الحيوانات على السواء.

إلى جانب هذا نذكر أزمنة «ماقبل التاريخ» ونقصد بهامراحل التطور التى مرت بها حتى الجماعات «التاريخية» نفسها؛ وهى بعيدة عن معرفتنا المباشرة، لأن أولئك الناس أو أسلافهم لم يتركوا لنا أثراً كتابيا نعتمد عليه، ولايسعنا دراستهم إلا باكتشاف أدواتهم ومساكنهم، وأعمالهم الفنية التى قدر لها أن تصل الينا. ومهما وصلنا بهذه الطريقة، إلى فهم الاختراعات التى ابتكروها والتحسينات التى ابتدعوها فلن نصل إلى معرفة أسماء أو تواريخ.

فأذا مروا بمرحلة ماقبل التاريخ وما يتبعها من المراحل البدائية أو القريبة من الحيوانية، فأنهم يتركون خلقهم الثابت ويدخلون إلى «الوجود التاريخى» ويقعون تحت التغيرات المتعاقبة المستمرة فى التواريخ، وفى النظم الأجتماعية، بل ويقعون تحت تأثير «الشخصيات التاريخية» وهذا بالطبع لايحدث لهم فجأة بل بالتدريج.

ونحن نعرف فى أغلب الأحيان الكثير عن تجارة جماعة ما، وفنها وصناعتها، قبل أن نعرف لغتها أو نظامها الاجتماعى، ونجد أن معظم الذين لعبوا دوراً كبيراً فى التاريخ بدأوا عهدهم «التاريخى» بما يشبه الأزمة أو الانقلاب.

عن كتاب «فجر التاريخ» عبد الحميد يونس

في زوايا التاريخ

كيف ومتى دخل الاسلام الهند الصينيه؟

بقلم السيد طه بن أبي بكر السقاف (سنغافورة)

وثائق تاريخية

يميل العربى بفطرته إلى الضرب فى أنحاء المعمور ، واقتحام الفيافى والبحار منتجعاً مواقع الخصب والرخاء ، رائداً مناطق النجعة والكسب ، فهو لايفتأ متسنما غارب التجوال من قطر إلى آخر ، متخيراً للانتجاع أفسح الأقطار بقاعاً ، وأخصبها مراع ، وألطفها هواء ، وحب الكسب والانتجاع فى العربى ظاهرة متأصلة فيه من قديم الزمان ، فقد حدثنا التاريخ : أن طلائع المهاجرين منهم قد اخترقت جزيرة « سر نديب » سيلان ، وكثر ترددهم عليها ، وبعد أن لحق نبينا محمد عليه الصلاة والسلام بالرفيق الأعلى ، توغل كثير من تجارهم فى بلاد الصين وتغلغلوا فى كانتون .

وفى القرن التاسع الميلادى ، وفدت جمهرة من تجار العرب إلى « كدح » .

وذلك بعد إتيان البرتوكيسيين إليها ، فانتعشت البلاد ونشطت الحركة التجارية بها ، ولم يكن الاسلام فى تلك الآونة ، قد ضرب بجرانه فى سومطرة Sumatra وشبه جزيرة ملقا ، غير أن هذا لا يمنع وجود أقلية ضئيلة اعتنقت الاسلام سراً على أيدى أولئك التجار المبعثرين فى سومطرة وملقا .

وفى عام ١٢٩٢ ميلادى ، أسلم أول سلطان فى سومطرة اسمه مردسبلو على يد عربى ينتهى نسبه إلى سيدنا أبى بكر الصديق ، رضى الله عنه ، ولقب (مرد سبلو) عقب إسلامه بالسلطان الملك الصالح ؛ وباسلامه أسلمت الرعية وانهزمت البوذية ، شر انهزام ، ثم اقترن الملك بابنة ملك فرليك perlık المسلم طبعاً ، وهو أول قران من نوعه ، وكانت نتائجه على الاسلام حسنة مما ضاعف ، عدد المسلمين ، وقوى شوكتهم .

وفى سنة ١٤٠٠ ميلادية تشرف بالانضمام إلى الاسلام ملك (ملاكا) واسمه راجه كجيل أى الأمير الصغير ، وتسمى بعد إسلامه بالسلطان محمد شاه ، وكان إسلامه على يد عربى اسمه السيد عبد العزيز ، ولا نعرف بالضبط إن كان يمت إلى السادة العلويين المنتشرين بهاته الجزائر أم لا ، لعدم وجود قرائن تنير لنا الطريق ، ولعلنا نوفق فى المستقبل إلى إماطة اللثام عن هذه الشخصية .

ومن الحوادث فى أيام محمد شاه ، وصول عالم كبير من جدة ، تتلمذ له الملك وولى عهده أحمد ، وتلقيا عنه دروساً فى الديانة الاسلامية ومبادئها الشريفة ، ثم توفى الملك وخلفه فى المملكة ولى العهد ، وحدث فى خلال ذلك زحف البرتوكيسيين على (ملاكا) ، فخرج الملاكيون لرد الغارة يقودهم ملكهم بنفسه ، وكانت بين الجيشين معارك دامية ، انتهت بانكسار الملاكيين واندحارهم ، ومن حسن الحظ أن استطاع الملك الفرار إلى إحدى الولايات الخاضعة لحكومة جوهور (johore) وقعد حاكما عليها ، وانتشر الاسلام فى جوهور التى أصبحت من ذلك الحين إلى وقتنا هذا مملكة إسلامية كبيرة .

وابتدأ الاسلام ينتشر فى (كدح) فى أواخر القرن الثالث عشر ، ومن الثابت فى التاريخ أن ملك (كدح) اشترك فى الحفلة التى أقيمت فى ملاكا ، احتفالا باسلام ملكها ، وذهب بنفسه ومعه هدايا فاخرة ، وفى هذا مايبرهن على قدم الاسلام فى « كدح » وأسبقيته لملاكا ، بيد أن انتشار الاسلام فى كدح وفيرق ، لم يكن إلا بعد أن تشرف ملك ملاكا بالاسلام ، لأن كدح وفيرق كانتا تابعتين لحكومة ملاكا ، فانتشار الاسلام واعتزازه فيهما بعد إسلام ملكها الأول رأى فيه كثير من الوجاهة والصحة.

وفى سنة ١٧٦٥ تولى الملك فى فيرق (Perak) ملك عظيم الشأن يسمى السلطان إسكندر ، وكان يحب العلماء ويبالغ فى احترامهم ، لذلك كان عصره زاخراً بالعلماء الذين يغمرهم بعطفه وعنايته ، ولا أدل على ذلك من اختياره أحد علماء السادة العلويين ، الذين خدموا الدين أجل الخدمات ، وزيراً يدير دفة البلاد ، وفعلا صار السيد أبو بكر العلوى وزيراً مطلق التصرف فى المملكة ، وللسيد أبى بكر هذا أخ اسمه هاشم ، والأخير هو الذى وضع القانون الذى يطلق الملايو عليه «أو ندغ سمبيلن » وقوله سمبيلن أى قانون ٩٩ ، وكان بايعاز من الملك إذ توسم فيه الخبرة بالسياسة ونظمها ، وقد تمتع السادة العلويون من منذ أن وطئت أقدامهم هذه الجزائر بامتيازات خاصة أغدقها عليهم أولئك الأمراء المخلصون لدينهم ، تقديراً لخدماتهم ومجهوداتهم التى يقومون بها فى سبيل الاسلام ونشره ، وبلغ بكثير من الأمراء الملايويين أن أنكحوهم بناتهم ، وأصبح أسباطهم ملوكا ، والقارىء لايجهل أن ملك فونتيانك وفرليس وسباك وفيرق كلهم من السادة

العلويين أبناء المهاجر أحمد بن عيسى .

وفى سنة ١٤١٩ دخل مولانا ابراهيم العربى إلى جزيرة جاوا وابتدأ ينشر الاسلام فى كرسيك (Gersik)ومنها إلى سورابايا (Soerabaia)وتخطى إلى مادورا (Modoura) وتوفى هذا الداعى العظيم فى كرسيك بعد ما زعزع أركان الوثنية بجاوا ،ومضى عليها،ويتوهم بعض الكتاب أن مولانا إبراهيم ليس عربياً ، ولا ندرى على أية وثيقة يعتمدون فى البرهنة على هندية هذا العربى ؟ أو هل يظنون أن لفظة « مولانا » تجعله هندياً ، لأنه لقب هندى يستعمله مسلمو الهند ؟

مولانا إبراهيم عربى ولد فى الهند ، وتربى بها،وكان يلوم عليه أحد العلماء أن يحمل هذا اللقب طبقاً لعادة البلاد لا غير ، وكل مطلع يعرف أن كثيراً من أولاد الصحابة والتابعين استوطنوا الهند وتزوجوا فيها،أفلا يعقل أن يكون هذا أحد أشبال أولئك الصحابة الأمجاد ؟ ومع ذلك فلم يشر مؤرخو الملايو إلى هندية هذا الرجل العظيم ، اللهم إلا إن كان من مؤرخى الفرنجة ،فطريقتهم فى تشويه التاريخ معروفة .

وفى القرن السادس عشر دخل الاسلام إلى جزائر « البوكيس » على يد أحد أهالى منقكابو (minengkabau) وفى برنيو دخل الاسلام فى نصف القرن السادس عشر، أدخله إليها (تجا فلمباغ (Palembang) أما ملوك (برناتى وتيدور وجزائر امبون) فقد اعتنقوا الاسلام فى أواخر القرن الخامس عشر م؟

طه بن أبى بكر السقاف العلوى
مدرس بمدرسة السادة الجنيد
(سنغافورة)

لفتات نظر

وقعت فى الجزء الثانى عشر فى موضوع « القواعد الجديدة فى العربية » للأستاذ مصطفى جواد ، غلطات مطبعية وصوابها مايلى :

صفحة	خطأ	صواب	صفحة	خطأ	صواب	صفحة	خطأ	صواب
١٤٦٧	وأده	واده	١٤٦٨	وأصدم	واصطدم	١٤٦٩	قضيفة	قضفة
١٤٧٠	أشيعة	شيعة	١٤٦٨	اتجاد	إنجاد	١٤٧٠	فعل المتعدى	فعل التعدى
١٤٧١	قياسة	قياسه	١٤٦٨	أب	وأب	١٤٧٠	صفياك	صفعاك
١٤٧١	استوقد	استوقع	١٤٦٨	قل	وقل			

وردة تموت..!!

لقد ذبلت أيتها الوردة ، وغاضت نضرة شبابك !!
لقد ولت بهجتك وذهبت أيامك !! وماأشبه عمرك فى ازدهاره وذبوله بعمر بنى الانسان!
لكم زينت بك صدور ، وتنشقت أريجك أنوف، ونعمت ببهائك عيون ، وقبلت شفاه!
وها أنت تذبلين وتداسين بالأقدام !! ...
فما أشبه عمرك بعمر بنى الأنسان ! !

* * *

إيه أيتها الوردة !
أين جمالك الذى كان يتغنى به عشاق الجمال ؟
أين هذه النضرة التى طالما تهت بها عجبا فى حقلك بين الازهار ؟
لقد عدت يد الانسان العاتية عليك كما يعدو الموت على بنى الانسان ! !

* * *

إيه ! لكم هام فى جمالك كتاب وشعراء فدونوا القصائد وحبروا المقالات ..! وها أنت تموتين وتداسين بالاقدام ،! وما أشبه عمرك بعمر بنى الأنسان!!

* * *

أين تلك الرائحة التى كانت تشع من أوراقك فتتلقفها أنوف الحسان ، !
هذه أنت الآن تموتين وتداسين بالاقدام
ها أنت الآن فى مواطىء الاقدام ، ولقد كانت تحلى بك الاكاليل والتيجان
فما أشبه عمرك بعمر بنى الانسان ، ، !

* * *

لقد كنت طفلة مرحة لما تتفتح براعمك : تتيهين على الدوح الشائخ ، بين أوراق أمك ، كما يتيه الطفل بين أحضان أمه ، فتساقط عليك قطرات الندى فى الصباح فتشرقين ..،
وها أنت قد احتوتك الكهولة ، وأصابك الذبول ، ودنت منك النهاية الفاجعة ، حيث الفناء والموت .
فاليك دمعة مسحوحة ، طالما ذرفت أمثالها على أولئك الراحلين من بنى الانسان !؟

السيد العنانى

التابو أو اللامساس

فى عدد ابريل سنة ١٩٣٢ تناول حضرة الزعيم الكبير الدكتور عبد الرحمن شهبندر الكلام على موضوع « التابو أو اللامساس » فأثار هذا البحث جدلا كبيراً فى الصحف السورية ونشرته مجلة العرفان برمته معقبة عليه . وجاءتنا ردود كثيرة حوله ، ننشر منها هذه الردود عملا بحرية الرأى ؟ المحرر

— ١ —

استغربت قول الدكتور الفاضل عبد الرحمن شهبندر فى صفحة ١٤٢٥ من مجلتكم : « بل هذا التنجس الذى يشعر به إخواننا الشيعة ، من كل من خالفهم شعوراً محمولا على المعنى المادى المحسوس » وقوله « لأننا آمنا بخلافة أبى بكر وعمر » فهذا لا أثر له عند أصحابنا الشيعة بتة .

أما العامة فجهلة للدين من الشيعة وغيرهم ، ومنهم ينشأ فساد الدين ؛ ألا ترى أن ابن أبى الحديد عبد الحميد سأل عالمنا الشهير أبا جعفر يحيى بن محمد العلوى ، نقيب البصرة ، عن أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال مرة : « أنتقول إنهما من أهل الجنة ؟ » فقال : « إى والله أعتقد ذلك ، ولا أشك فى إيمانهما برسول الله ... وصحة عقيدتهما » قال : « فقلت له فعثمان ، قال وكذلك عثمان » ثم قال : « رحم الله عثمان ، وهل كان إلا واحداً منا وغصنا من شجرة عبد مناف ؟ ولكن أهله كدروه علينا ، وأوقعوا العداوة والبغضاء بينه وبيننا » (١) مع أن الرجل كان إمامياً علويا .

وألف العالم الشيعى المعاصر لنا (أبو عبد الله الزنجانى الأيرانى) عضو المجمع العلمى بدمشق ، كتابا فى تحليل مؤاكلة اليهود والنصارى ، فكيف يتنجس الشيعة من السنة ، ودينهم واحد ، وربهم واحد ، ونبيهم واحد ؟

أما الذى لاقاه الدكتور شهبندر ، فهو من الجهلاء الذين ابتلى الشيعة بهم ، وكذلك السورى الذى أفتى الترك ، بتحليل أموال الشيعة وقتلهم فى زمن الحرب العظمى ، وربك أعلم بالمهتدين .

ياسيدى : — وفى كل من مذهب الشيعة والسنة خرافات ، يجب تطهيرهما منها ، ليتحد المسلمون ويظهر لباب الدين الذى جاء به الرسول عليه الصلاة والسلام ؟

(بغداد) مصطفى جواد

---

(١) شرح ابن أبى الحديد (مج ٢ ص ٥٧٧)

— ٢ —

طالعت فى مجلة « المعرفة » الغراء بحثاً علمياً فلسفياً فى الجزء الثانى عشر لسنتها الأولى فى ١ نيسان سنة ١٩٣٢ بعنوان (التابو أو اللامساس) بقلم زعيمنا الكبير العلامة الدكتور عبد الرحمن بك شهبندر .

وشد ما كان استغرابى للأساس الذى بنى عليه بحثه الاجتماعى مدعوماً بالظن والتخمين، وغير مستند إلى دليل منطقى أو برهان معقول ،و «إن بعض الظن إثم» ؛ وهو العلم الفرد الذى له مكانته العلمية ، والأستاذ البعيد الغور الذى له مكانته السياسية ، فعلمت إذ ذاك أن سياسة التفرقة بين المسلمين فى العهد الأموى لم تزل متأصلة فى النفوس ، تعمل عملها فى القرن العشرين ولو عن غير قصد .

قال الزعيم الكبير حفظه الله : «إنه ركب سنة ١٩١٥ من مدينة (هيت) على شاطىء الفرات إلى العتبات المقدسة ، «النجف وكربلاء والكوفة» مع نوتى من عرب المعدان من عوام الشيعة، اسمه (حسين) ولما أذنت الشمس بالمغيب، طبخ النوتى طعاماً من الأرز والهرطمان، ودعاه مع رفيقه المرحوم السيد (توفيق الحلبى) لكى يشتركا معه ، وكان يقسم الأيمان أنه لايتأفف من الأكل معهما ، فشكره على ذلك ، ثم همس فى أذن رفيقه بأن الشيعة على شاطىء الفرات هم من الغلاة، الذين يأخذون بظاهر الآية « إنما المشركون نجس » وهم يحشروننا فى زمرة هؤلاء المشركين؛ لأننا آمنا بخلافة أبى بكر وعمر ولم ننتصر لأهل البيت الانتصار اللائق . »

أعزك الله يا مولاى الزعيم ، لقد أسرفت فى حكمك وأنت الحاكم العدل ، وجرت باستنتاجك وأنت معدن الفضل، لأن دعوة (حسين المعيدى) لكما إلى طعامه وقوله إنه لايتأفف، لا تستدعى الحكم القاطع على إخوانك فى الدين بأنهم يحشرون إخوانهم فى زمرة المشركين ، كلا ورب الكعبة ، إن الشيعة براء من هذه الأباطيل ، ولم يقل بهذا أحد من علماء المسلمين الشيعيين والسنيين فى العهدين الأموى والعباسى ، وهذه كتب الفقه لاتؤيد ماهمست به فى أذن رفيقك ، والآية الكريمة التى استشهدت بها « إنما المشركون نجس » لاتنطبق على المسلمين ولا على المسيحيين ، وإنما نزلت فى مشركى قريش بالاجماع ، وهذا تفسير القرآن للعلامة الطبرسى الشيعى ، وهو من أحسن التفاسير جمع فأوعى يدحض هذه الشبهة .

إن هذا الحكم لو صدر من أمثال (حسين المعيدى)، لايؤبه له ولا يقام له وزن ، ولكن أنت الحامل لواء العلم، المجاهد فى سبيل اتحاد كلمة المسلمين ، فهل يليق أن تكتب على صفحات المجلات والجرائد السياسية ، وكلامك القول الفصل ، بأن المسلمين الشيعيين يحشرون إخوانهم فى زمرة المشركين ؟ وهل يجوز أن تزرع زرعاً لايأتى أكله إلا سما زعافاً ؟

لقد ذكرتنى يادكتور بحكاية عرضت لى منذ ثلاثين سنة فى العهد العثمانى فى مدينة (صور)، وكانت وقتئذ مركز الطابور الرديف، وهى : أن الملازم (عبد الرزاق أفندى) من محلة

الشاغور بالشام ، طلب أن يقرأ على درساً فى النحو ، فأجبته إلى طلبه ، وكان يستوضح منى بعض المسائل ، وفى يوم من أيام الصيف كنا جالسين على شاطىء البحر مساء ، وقد تهافت الناس للاستحمام ، فقال لى : يا أخى ! إن أكثر الناس فى هذا البلد شيعيون ، وعندنا منهم كثيرون ننبذهم بالأرفاض ، وقد بلغنى أن الرجل منهم له ذنب فوق إليتيه ، فاستغربت هذا الأمر من قائد متخرج فى معهد عسكرى عال ، فقلت له يا أخى ! ومن أخبرك أن لهم أذناباً ؟ فقال هذا شائع عندنا فى الشام ، فحينئذ طلبت اليه أن يستعرض المستحمين كما يستعرض الجيش ، لكى يزول ماعلق بذهنه ، فعاد وهو يتأفف من هذه الترهات التى ما أنزل الله بها من سلطان .

يامولاى الزعيم ! أنت تعلم يقيناً أنه لا اختلاف بين الشيعيين والسنيين فى الأصول ، وهذا كتاب الله بين أيديهم ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهذا كلام نبيهم الصادق الأمين الذى لا ينطق عن الهوى « إن هو إلا وحى يوحى » ، وإذا حصل خلاف فى الفروع لا يزيد عما بين الأئمة الأربعة :

وكلهم من رسول الله ملتمس غرفاً من البحر أو رشفاً من الديم

فالخلاف حزبى سياسى حاشا الدين ، كان بين الهاشميين والأمويين ، ثم انقسم الهاشميون إلى علويين وعباسيين ، ثم إلى شيعيين وسنيين ، وكانت الحرب سجالا يثيرها علماء السوء لينالوا الزلفى من ملوك زمانهم ، وكان التعصب يظهر ويختفى بحسب الظروف ، والناس على دين ملوكهم ، وماعهد جمال باشا السفاح ببعيد ، فقد استحصل على فتاوى من أكثر علماء سوريا بتكفير رئيس البيت الهاشمى ، لمطالبته بحقوق العرب ، فالآن ليس للمسلمين سلطة دينية ولا دنيوية ، والأغيار يسومونهم سوء العذاب ، وطأوا بسنابك خيلهم أوطاننا ، وملكوا باختراعاتهم أرضنا وأصبحنا غرباء فى بلادنا ، ولم يزل الدين مطية للنكاية والتفرقة بيننا ؛ المسلمون منتشرون فى القارات الخمس من سنيين وشيعيين ، يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويؤدون مناسك الحج ويعبدون ربهم فى المساجد جنباً لجنب ، متصلة أنسابهم بالمصاهرة والمجاورة ، يتبادلون المآدب والولائم ، لا يتورعون عن طعام بعضهم بعضاً ، فمتى نستيقظ من سباتنا ونضرب بهذه الأكاذيب عرض الحائط ؟ ونعتصم بديننا القويم ، عملا بقوله عز وجل « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »

ياحضرة الدكتور ! أنت حكيم للأرواح والأجسام ، وأنت محط الآمال ، وعليك المعول فى رتق هذا الفتق بين المسلمين ، وكنا نربأ بقلمك الفياض أن يجرى فى هذه الحلبة بدون تمحيص ، ولنا بغزارة علمك ، وقوة حجتك وسعة اطلاعك ، دحض ماسجله قلمك عن سهو أو نسيان ، والعصمة لله وحده ، ومثلك من يتحرى الحقائق للخدمة العامة مصداقاً لقوله تعالى « إن الظن لا يغنى عن الحق شيئاً » صيدا (سوريا) سليمان روه

— ٣ —

قرأت اليوم ما كتبه معالى الزعيم الكريم الدكتور شهبندر فى «المعرفة» الزاهرة عن (اللامساس) وتعرضه فى المقال لحادثة وقعت لمعاليه، أثناء ذهابه إلى العراق مع أحد فلاحى تلك البلاد، وتوهمه أن الشيعة — لاسيما من كان منهم على ضفاف الفرات، الذين عدهم غلاة وليسوا من الغلو على شيء — يعتقدون الاشراك بمن يعترف بخلافة ابى بكر وعمر، فيطبقون عليهم ظاهر الآية: «إنما المشركون نجس» ! !

وكم كنت أود — وأنا ممن يضمرون للدكتور الزعيم كل احترام — لو أن معاليه لم يلق الكلام على عواهنه فى هذا الموضوع الخطير، بل بحث واستقصى كتب الشيعة واعتقاداتهم، ليرى إن كان هذا الذى سمعه من أفواه بقايا القرون المظلمة حقا أم غير حق . . .

وما احسب هذا الوهم الذى اعتقده الدكتور إلا متسربا اليه من المحيط الدمشقى الذى كان يعتقد إلى حين قريب بالشيعة اعتقادات ماأنزل الله بها من سلطان، ولم تخطر للشيعة فى بال.

ومثل الدكتور فى علمه ووطنيته يجب أن يترفع عن اتهام طائفة إسلامية كبرى، لها فى تاريخ العرب والاسلام فى الماضى والحاضر أنصع الصفحات، تهما لم يوحها للسالفين إلا التعصب الأعمى والغرض والجهل .

والشيعة الذين ظلوا أزمانا عديدة عرضة لشتى المثالب فى عقيدتهم وإسلامهم، لم يكونوا فى يوم من الأيام إلا فريقا إسلاميا، لا يختلف عن غيره إلا بأنه يرى فى على بن أبى طالب رجلا تجمع فيه كثير من الخلال الفاضلة، والصفات الحميدة، فكان أهلا للاكبار والاعجاب والتقدير والتفضيل، وأن آل الرسول لم يعاملوا بعد الرسول معاملة يقتضيها الاعتراف بالجميل، لمن نفخ فى العرب روح الحياة وأسس مجدهم العظيم .

وأما فيما عدا هذا فليس بين الشيعة وغيرهم من المسلمين فرق: لا فى الاعتقادات، ولا فى المعاملات، وإذا وجد فرق طفيف فهو لايعدو هذه الفروق التى نراها بين الشافعى والحنبلى والمالكى والحنفى، مما مرده فى ذلك الاجتهاد واختلاف الانظار .

فلا ندرى متى يقدر للباحثين أن يدرسوا حقيقة هذا المذهب الاسلامى الشيعى، كما درسوا المذاهب الأربعة الاسلامية، فيعرفوا أن ماعلق فى أذهانهم عنه ليس إلا وهما وخيالا، فنرتاح من الردود والنقود؟ وكتب القوم مطبوعة ومنتشرة فى كل صقع وقطر، ومن السهل الرجوع اليها للوقوف على الحقيقة .

ولا أدرى إن كان فى كلامى هذا مقنع لمعالى الزعيم فى فساد ماذهب اليه، فيعمد إلى تصحيح ماكتبه فى «المعرفة» عن الشيعة، ويغير —هو وغيره— اعتقاده فيهم، فلا يتكلم الناس عنهم بعد اليوم الا بالحقيقة الواقعة، أم أنا سنضطر فى كل مناسبة إلى حمل أقلامنا والدفاع عما يلصق بنا مما لايمكن احتماله، ومما يعلم الله أننا بعيدون عنه وبراء منه ؟ !

دمشق (الجامعة السورية)

حسن الأمين

التسليـــــــة المنزلية

بينا فى العدد الماضى أن الاسرة المصرية محرومة من الجتمعات العائلية والتسلية ، فهجر الرجال دورهم الى القهاوى والمشارب وما شابه ذلك ، وتركوا المرأة فى عقر دارها فلم تنعم بالمعلومات العامة والاجتماعية والادبية ، كأنها لم تخلق إلا لتعجن وتغسل وتطبخ،وتحبل وتلد؛ فلا تعلم من أمور الحياة سوى تلك الامور ، نتعيش فى جهل مطبق ، وتحشو رأس أبنائها بالخزعبلات والأفكار السقيمة والآراء العقيمة، واذا ماضاق ذرعها فى أخذهم بالحيلة والملاينة، التجأت إلى تخويفهم(بالبعبع وابو رجل مسلوخة) فيشبون تهلع قلوبهم من الظلام ، ويفزعهم كسر فنجان ، ويخيفهم صفير الريح فى النوافذ ، بينا رب الدار لاه غافل عن أسرته وما فيها من علل تكبر مع مر الايام والاعوام ، مادام يشفى غلته من الجتمعات التى يندس فيها؛ وكأن الدار ماهى إلا فنـدق نوم ، وامرأة للمتـعة . ولا أخطر على بلادنا من تلك القهاوى التى يضيع شبابنا فيها زهرة أعمارهم بين النرد وورق اللعب ، كأن الحياة عبث ولهو وكسل فحبذا لو نادى كل منا بغلقها ، والأشادة بمحاسن الجتمعات العائلية البهيجة التى يخرج منها الجنسان على علم غزير بالشؤون المختلفة التى هى قوام التربية والتعليم ، ولا أبالغ إذا قلت إنى عرفت طلبة يحملون شهادة « البكالوريا » يفخرون بذكائهم، ويجهلون أبسط الشؤون كأرسال خطاب بطريق (السيوكورتاه وخلافه) .

أيها القارىء ! الحقيقة مرة ، فأن شئنا إصلاح شؤوننا الاجتماعية ، فما علينا إلا أن نهب دفعة واحدة ، ونستأصل الأدواء التى تمشت فى شرايين الأسرة المصرية ، وننتشلها من الوهدة المتردية فيها ، لتنجب أبناء بررة، يعملون على صالح بلادهم ، ويقيمونها من عثارها ، ويد الله مع الجماعة .

هذا وقد ذكرنا فى العدد الماضى، بعض الالعاب البريئة التى ابتكرها أبناء الغرب للتسلية فى سهراتهم العائلية ، فتبعث على الضحك المخفف لمتاعب الحياة ، وبجانب تلك الالعاب أحاجى كثيرة شائقة سنذكر بعضها تباعا للتنويع والتبديل .

١ — فاذا سألك أحد الحاضرين أن تترك الغرفة على رجليك وتعود بستة أرجل، فما عليك إلا أن تخرج وتعود ومعك كرسى ذو أربعة أرجل .

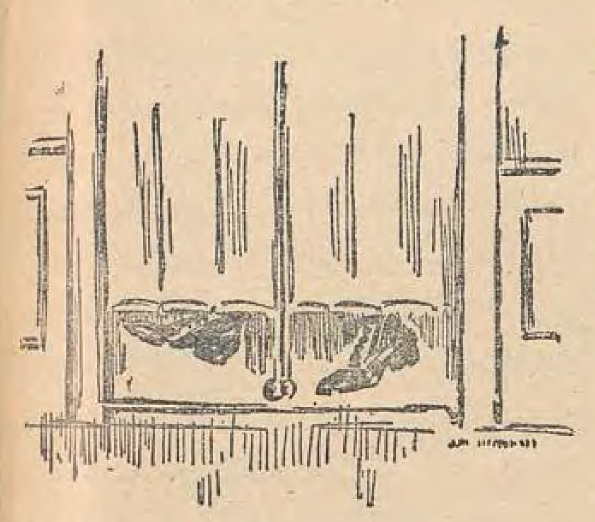
٢ — وإذا قال لك قائل :ضع نفسك فى ثقب الباب ، فلا تحجم، واكتب على ورقة كلمة (نفسك) ولفها ومررها من الثقب.

٣ — وإذا طلب منك أن تضع كرسيين بجانب بعضهما وتخلع نعليك وتقفز عليهما، فاخلع نعليك واقفز على النعلين لا على الكرسيين.

٤ — وإذا قيل لك: قبل كتابا من الداخل والخارج فقبله مرة فى داخل الغرفة، وأخرى خارجها.

أما الألعاب فمنها:

(معرفة الأشخاص من أياديهم وأرجلهم)



يقسم اللاعبون أنفسهم إلى فريقين: أحدهما تخرج من الغرفة والثانى يبقى بها، وتعلق ستارة على الباب، ويمر أفراد الفريق الأول أمام هذه الستارة رافعى الأيدى، ويحذر الفريق الثانى أسماء من يمر أمامهم من يديه: وكل إصابة تحتسب. ثم يحل كل فريق محل الاخر والرابح من قلت أخطاؤه.

وإذا أريد معرفة الأشخاص من اقدامهم، فترفع الستار عن الارض بضع سنتيمترات بحيث لاتظهر سوى الاحذية فقط، أما الطريقة فكما أسلفنا.

من أنا؟

يحسن أن تهيأ هذه اللعبة قبل وصول الضيوف، فيأتى بقطع من الورق يكتب على كل منها اسم أحد العظماء المشهورين، كمحمد على باشا، أو عدلى باشا، أو جمال الدين الأفغانى، وغيرهم مثلا: وتلصق إحدى هذه الاوراق على ظهر اللاعبين كل بدوره، بدون أن يرى ما هومدون عليها، وعلى كل منهم أن يحذر الاسم المكتوب. وذلك بأن يسأل أى فرد من الموجودين أسئلة مختلفة، كل منهم سؤالا واحد فقط. واليك المثال: محمدعلى باشا.

س: هل أنا على قيد الحياة؟ ج: لا — هل عشت فى هذا القرن؟. ج: لا — هل عشت فى القرن التاسع عشر؟. ج: نعم — س: هل كنت سياسيا؟ ج: لا. — وهكذا فأذا عرف الاسم تنقل الورقة من ظهره وتلصق على صدره ويعاد لصق غيرها. والشخص الذى يحذر أكبر عدد من الاسماء يعدفائزا.

البرقيات

يزود كل لاعب بقطعة من الورق وقلم، وكل منهم على الترتيب ينطق بحرف من الحروف

الأبجدية كما يخطر بباله ، فيدونه الجميع ، وبعد الانتهاء يحدد خمس دقائق لتكوين برقية عدد كلماتها بعدد تلك الحروف ، وتبدأ كل منها باحداها ، ولنفرض أن الأحرف التى نطق بها اللاعبون كانت كالآتى : ف ، ب ، ع ، س ، ا ، ظ ، ح ، فيمكن تكوين برقية منها هكذا : فريد بك عادل : سنصلكم اليوم ظهرا ؟ حلمى . وعند نهاية الوقت المحدد تجمع الأوراق وتقرأ فتكون مثارا للضحك لغرابة التفكير المختلف .

معرفة الأوزان



هذه لعبة بديعة للرجال والأطفال على السواء — توضع عدة أشياء مختلفة فى صينية يعرف أصحاب الدار أوزان كل منها من قبل ، وتوضع فى وسط الغرفة ، ويعطى كل من الحاضرين ورقة وقلما ، ويطلب إلى كل منهم أن يكتب وزن كل قطعة من هذه الأشياء ، والذى يصيب كبد الحقيقة أو ما يقرب منها ، يصح أن يمنح مكافأة صغيرة ، والأشياء التى يصح طلب أوزانها مثلا : قطعة من الحجر ، قدح شاى ، سكرية ، حذاء ، صندوق صغير ... الخ .

ويمكن تنويع هذه اللعبة ، بوضع أشياء أخرى لمعرفة مقاسها كقطعة حبل ، أو حذر ما فيها وعدده كصندوق ثقاب .

الآلات الموسيقية

يجلس كل اللاعبين فى نصف دائرة فى الغرفة ، ويختار كل منهم نوعا من الالات الموسيقية يقلد أنغامها ، ويقف فى وسطهم رئيس الموسيقى الذى يسير هذه الموسيقى ، فاذا ما أشار بعصاه لأحدهم يخرج من فمه أنغام الآلة الموسيقية التى اختارها ، ولا يسكت حتى تنتقل الاشارة إلى سواه ، ومن لم يحسن التقليد غرم ، وهذه لعبة لذيذة سارة ومضحكة جدا .

السخرية

هذه لعبة مسلية تبعث على الاستغراق فى الضحك — وذلك بأن توضع بضع أشياء من

الزخارف المنزلية والاثاث الصغير الحجم، متقاربة على خط واحد على أرض الغرفة، ويقال لأحد الحاضرين إنه ستوضع على عينيه عصابة، ويسير بها فى عرض الغرفة بدون أن يتعثر بهذه الأشياء، وتوضع العصابة وبمنتهى الحذر تنقل هذه الأشياء خارج المكان، فتراه يخطو بحذر خوفا من العثور بها، وتنزع بعدئذ العصابة عن عينيه، وليلاحظ وجهه عندما ينظر إلى ما خشى مسه. والواقع أنه غير موجود، ويفهم أنه سخر منه!





نفخ الريش

يجلس اللاعبون فى صفين وجها لوجه، ويرسم فى وسط المسافة خط أو يشد حبل، ويقذف بالريش إلى أعلى، وعلى كل لاعب أن يحاول إسقاط الريش وراء الخط عند الفريق الثانى، وبقدر عدد مرات الانتصار يكون الفوز.

إطفاء الشمعة

توضع شمعة مشتعلة على كرسى أو مائدة، وتربط العصابة على عينى أحد اللاعبين، ويطلب منه أن يخطو ثلاث خطوات إلى الوراء، ثم يدور حول نفسه مرتين، ثم يتقدم ثلاث خطوات ويؤمر أن يطفىء الشمعة، فلا تظن أن هذا أمر سهل، بل إخفاقه مثير للضحك.

عن الانجليزية

م. ب

الجندى المجهول

بقلم الاستاذ محمد السيد

من منا ينسى ، تلك الايام الحلوة المريرة ، وما كانت تحمل لنا نحن أبناء مصر من مجد فى عذاب ، وغبطة فى يأس .

بلى — من ينسى تلك الأيام حين كان يصبح أحدنا أو يمسى فلا يقع نظره إلا على تلك الرؤيا المحبوبة المؤلمة - رؤيا المظاهرات ، أو رؤيا الجنازات فى مشهد المظاهرات ؟

وأية روعة لا تشملك ، وأى فتون لايحتويك ، حين تلمس ذلك الروح المقدس الوثاب ، يفيض عنه ذلك الحماس الدافق ، فيثير فى نفسك شتى الهواجس ، ويحى فيها موات الأمل ؟

بلى — أية غبطة وأى سرور .... أن ترى تلك الاحلام اللذيذة ، والخيالات البراقة والامور الساحرة من الحرية . . . ومن السعادة التى كنت تنشد وتتمنى — وقد تحققت . . . أو هى على وشك أن تدنو منك ، وأن تحسها بنفسك وروحك بل تلمسها بيمينك ، وتقبض عليها بكلتا يديك ، وأية قسوة ويأس فى أن يفتح الوالد عينيه ، فيرى أبناءه يلبون داعى الموت جميعا — بل وأية رأفة أو قنوط فى أن يرى الآباء أبناءهم يجيبون نداء الوطن جماعات جماعات ، ويتراكضون فى سبيل المجد والفناء أفواجا أفواجا . لكن من الذى يستطيع أن يحدثنى عن حديث تلك المرأة التى لم توجل ، حين ألقى فى روعها أن وحيدها العزيز قدمات ، فلم تدمع عيناها ، ولا اضطرب فؤادها ؟

هذا الروح القومى الوثاب ، وهذا الحماس الرائع ، كان يزيد فى بهائهما ورونقهما . . . ما أصيبت به مصر من الجمود والركود مدى أعوام الحرب جميعا . على أن الحق أن الوطنية المصرية لم تستسلم لهذه الظواهر ، ولكنها لانت أمام العاصفة — فلما سلمت من أذاها ، وأيقنت أن الساعة قد آذنت ، هبت تنادى بنيها بقلب ثابت ، وإيمان متوافر « إن فى ساحة المجد متسعا للجميع » .

وبالله أية حكمة كانت تطلب ، بل أية فائدة ترجى — فى أن تفوز مصر ، مصر المسالمة ، ومعركة الحرب ما تزال متقدة والبلاد تزخر بملايين الأجناد ؟

الحق أيها الناس أن الوطنية المصرية لم يعتورها الجمود ، ولا هى اطمأنت للخسف والعذاب ، لكنها انتظرت ، فلما دنت الساعة وآذن الحق تمخض عن تلكم النهضة المباركة . فتدافع فى الميدان أولئكم الأبطال ، وتزاحموا على حوض الموت يترعون كأسه ، أولئكم الأشبال ، الذين آذنوا الجنود بحرب رخصت فيها المهج ، وبيعت الأفلاذ ، أويؤمن الناس بحق مصر ، وأنها جديرة بمكانها تحت الشمس .

***

وفى تلك الأيام احتسب « آل القاياتى » فى عزيزلديهم ، ولوأن الراحل كهل مات حتف أنفه ، لكن النفس الكليمة ، والأفئدة الجريحة تأبى إلا أن تفيض دائما بما فيها ، كما تفيض المآقى المقروحة المليئة بنجيات الدموع .

ذهبت مع صديق الى (السكرية)، وما أن لفظ المقرىء (صدق الله العظيم) حتى انتفض فتى ما زلت أذكره وهو فى عمامته و(كاكولته)، ضخم الأنف ، مربع الوجه ، جاحظ العينين ، وانتصب قائما ، ثم أخرج من جيبه وريقات وأخذ يقرأ فى صوت عال :

أيها السادة! وددت لوأحدثكم فى مناقب الراحل عن فكرة وروية، فأخطبكم خطبة محررة محبرة، لكن « السلطة » تمنع بالقوة الغاشمة كل تعظيم وتفض كل جمع وتأبى أى تبويب أو ترتيب، وأخشى أن أحسب حين أجمع الكلمات وأنتقى القوافى ، أنى أنظم مظاهرة أو أدبر مؤامرة فيتدخل الجند الغشوم، لا ليطارد العدو المهاجم والجيش المتلاطم ، بل ليطارد الكلم المنظوم.. واستطرد يخطب ، والتصفيق والهتاف يشقان أجواء الفضاء .... وحتى الشيخ الذى قام يشكر المقرئين والخطيب ، ما عتم أن تفوه — فيما قصد إليه — بكلمات انقلبت ثوردودو يخطب الناس فى حماس وعنف .

***

وكان خطباء الثورة من أولئكم الشبان أمثال ذلك الخطيب الشاب ، وهم أكثر ما يكونون من تلاميذ المدارس ، وطلاب المعاهد ، على أن منصة الخطابة فى الأزهر لم تكن وقفاً على التلاميذ و(الجاورين)، بل كثيراً ما اعتلاها شيوخ ذوو رأى وحجا ، وكثيراً ما خطبنا علماء فضلاء وقساوسة نبهاء ،وكثيراً ماخطبنا فتيات ناهضات محجبات ، وغير محجبات ، وفى ذات يوم خطبتنا شابة .... إلى أن قالت:

ياقوم! إن العدو يحاربكم بكل سلاح ، وأنتم غفل لا تملكون ماتدفعون به عن أنفسكم: فهل أدلكم على سلاح لو أحسنتم استعماله ماغلبكم العدو أبداً ؟ وجعل بعض الناس يتهامسون ما ذا عسى يكون ذلك الذى تقول تلك السفيهة ؟ وضجت أصوات أخرى أن دلينا أيتها العزيزة .

قالت: سأدلكم ..... ولكن من يكفل حسن طاعتكم ويضمن سداد رأيكم فيما أشير به؟ فضج الناس ثانية وارتج المكان، لكنها استطردت تخطب فى فضل سلاحها، وتبين مزاياه وتذكر محاسنه.

ثم أطرقت وأنصت الجمهور ونطقت بعد السكوت قائلة:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الوضوء سلاح المؤمن»

فتصايح الناس وازداد اصطخابهم، وكادوا ينفجرون باللعنة والعذاب على تلك الشقية، وراح قوم يحسبونها دسيسة، يودون لو نالوها بالمقت والأذى، جزاء وفاقا، ولقد كاد الوقت يفلت من أيدى الزعماء والقادة، وخشى العقلاء أن يتمخض الحادث عن أذى، لا لتلك الطفلة وحدها، ولكن لمن معها أيضاً من الآنسات والسيدات، غير أن فتى صغيرا قد انقذ الموقف إذ اعتلى خشبة المنبر وسط الضجيج والفوضى، وصاح فى الناس أن سأدلكم على ما لم تهموا فاصغوا إلى، فقابلته أصوات ماذا تريد؟ أأنت أيضا تسخر منا؟ ألا فلتخسأ أيها الشيطان فليسقط الخطيب، فتجاوبت أصوات أخرى يطلبون السكوت، ولكنه تحيل بهم جميعا حتى اضطرهم للانصات، ثم قال:

الوضوء أيها السادة من باب العبادات، وقد قيل فيه «من حافظ على وضوئه كان متذكراً فرضه، ومن تذكر فرضه لم ينس ربه، ومن لم ينس ربه لم يخش الظلم ولا يخاف الطواغيت والأعداء، ومن لم يخش العدو لم يمالئه ولم يعاونه» فاذا لم يجد العدو منكم معيناً عليكم أجلكم وأكبر بأسكم، وأصبح مقامه بينكم محالا، فيرحل عنكم من غير حرب ولا عناء.

صدقونى أيها السادة أنى جاد. وأن الآنسة لم تكن هاذلة .... فتعالت الأصوات بالاستحسان: أعد أعد! فلى الخطيب (تصفيق حاد وهتاف متواصل)

***

كان من محاسن الصدف، أن ذلك الفتى الخطيب، هو خطيب تلك الليلة فازدادت مكانته فى نفسى، وسعيت إليه حتى وثقت صلاتى به وأكدت معرفتى معه.

ثم مضت أيام مليئة بالحوادث، حافلة بالخطورة، وكان (الشيخ توفيق) من فتيان النهضة وحاملى لواء الجهاد، وعلم الحرية، الداعين إلى مجد الوطن والعاملين عليه، تراه ينظم الصفوف ويقود الطلائع، ويخطب الجماهير، ويحث العامة قبل الخاصة.

ولم يكن أحدنا يعرف عن الشيخ توفيق، إلا أنه جندى من جنود الوطن البواسل، وأنه ولد ونشأ فى المنوفية، وهو مدرس الآن فى إحدى المدارس الملحقة بالأزهر، ولم نكن نعرف من أبوه وأمه ولا من هم أهله؟ ولا على التحقيق القرية التى كان لها شرف أن أظلته سماؤها وأقلته أرضها؛ فما كان الوقت يتسع لمثل هذه السخافات. ولما اشتعلت «الثورة» نظم

الناس أنفسهم: فهذا عامل وهذا جندى ، وذاك قائد ومدبر ، والآخر خطيب، وغيره منظم، وفى الحق أن الثورة لم تكن تحفل بالآباء والأمهات ، ولم تكن للجدود ولا العائلات، ولا اعتبارلها فى قاموسهم وقوانينهم.

قدمت لك أن السلطة كانت قد حرمت على الناس أن يتظاهروا ، أو يمشوا فى صفوف أو مواكب جماعات، لكن الناس كانوا يحتالون على هذا المنع بأن يجعلوا من الجنازات مظاهرات، ومن مآتم الشهداء محافل ، فيها يجتمعون ويخطبون وينظمون ما عسى يكون فى الغد من أعمال .

واتفق زعماء الطلبة وقادتهم مع (الحكمدار) على أن يخرج الطلبة فى مظاهرة صامتة ، يعلنون فيها احتجاجهم الصامت أيضا ،على منع المصريين من حضور مؤتمر « باريس » ،وتوسط الحكمدار فى هذا ، وخرجت المظاهرة تطوف أحياء القاهرة الهامة ، يتقدمها زعماء الطلبة مع الحكمدار فى سيارة .

ولما وصلنا إلى ميدان التوفيقية ، وكنت إلى جانب الشيخ توفيق ، وكان أن تهلل وجهه فرحا وحبورا بذلك النصر المبين الذى أحرزناه ؛ لأن المظاهرة مرت بأهم الميادين والشوارع، وكادت تنتهى إلى غايتها بسلام دون أن يحدث مايكدر .

وبينما كانت هذه الهواجس تطوف بخاطره ، ويحدثنى بها فى بشر وانطلاق ، إذ صادفنا — عند ملتقى شارع التوفيقية بشارع بولاق — عدد من الجند البريطانى، أبى عساكره إلا أن يخترقوا المظاهرة غير حافلين ، وأراد صاحبى أن يحول دون ذلك ؛ ولكن عبثا يحاول ، فإن جواب الجند على المحاولة كان باطلاق الرصاص على المتظاهرين ، فأصيب صديقى إصابة بالغة ، أصابت منه القذيفة مقتلا ، لكنه لم يشأ أن يطاوع الضعف وأبى أن يراه الناس صريعا ، فيختل النظام ويتطور الامر إلى مالا تحمد عقباه من اشتباك الناس — وهم عزل — بالجند المدجج بالسلاح .

استبسل الفتى واستجمع قواه الواهية ، وأسند ظهره إلى عمود المصباح ، وصاح فى إخوانه أن سيروا إلى شأنكم ، ووقفت بجانبه لحظات ، أحاول أن أواسيه أو أخفف عنه، فما جزع والله ولا اضطرب، وجاءت سيارة الأسعاف، وحملت المصابين إلى القصر العينى، وأبوا أن نرافقهم فلحقنا بهم . . . فاذا صاحبى مع ستة من زملائه فى حجرة الاستقبال ، ينتظرون الفحص الطبى . .قال الطبيب: أيهمك هذا (التظاهر) يا أفندى ؟ قلت نعم — قال حسنا إنه لا بأس به ،ثم أردف بالانجليزية خير لك أن تذهب، فانه الآن يموت .

يموت !!! كيف !!! أصحيح ماتقول ؟

فحملق فى وجهى وزم شفتيه وانصرف.

ازداد النزيف ، وأخذت حال صديقى تسوء رويداً رويداً ، ثم أغمض جفنيه برهة ، وحسبنا أنه يشعر براحة ، فلزمت الصمت والتفكير ، وكنت فى غاية الحرج والضيق ، فأنا أرى صديقى يجود بأنفاسه الأخيرة أمام ناظرى ، وليس لى فى إنقاذه من حيلة ، وإنما يجب على أن أبدو أمامه بمظهر الواثق من النهاية ، المطمئن إلى حاله كل الأطمئنان حتى لا أزعجه ، ثم أفاق من غشيته وقال: أأنا بخير ياترى ؟ أجبت بكل خير .... قال إذن لا بأس فاذهب فان الليل قد دخل ، وأهلك قد يخافون عليك ! قلت أتفكر فى أهلى الآن ياتوفيق؟ قال ولم لا؟ قلت أترى أن أدعك هنا وحدك وأذهب لأهلى ؟ قال ما فى هذا من بأس ياصديقى ، ثم زاحمته الذكريات وخنقته العبرات فسالت دموعه وطلب منديله فما استطاع.

ثم قال ساعدنى حتى أستريح ، ولما عاونته قال والله إنى لشديد الوجع ؛ ولكن ماذا قال الطبيب؟ قلت قال خيرا ماعليك من بأس ، فأطرق وقال يستوى ياصديقى ... وبكى ، قلت ماذا يستوى ؟ قال الحياة والموت ، قلت وما شأنك بالموت ، وأنت معافى بحول الله وقوته؟

قال : آه إنى الآن أموت ، وبكى فبكيت .... قال وأنت ماذا يبكيك ؟ إنما أبكى على شىء واحد .... أبكى لأنى أموت والعدو فى مصر باق ، أما أنت فيالحظك السعيد ستبقى حتى ترى ذلك اليوم ... الذى طالما تمنيناه .... وخنقته العبرات وغشيته من الموت غاشية .

وحضر الطبيب ثانية ، وأشار إلى مساعده وخدم المستشفى إلى حجرة الخطر .

فأخذ النساء يحملن المصابين حيث لا حراك ولا حياة فيهم . . . إلا بعض أنفاس تروح وتجىء ، وصدور تعلو وتهبط ، إذا كان هذا من الحياة فى شىء .

ذهبنا إلى حجرة الخطر ولم يكن معى من غير المصابين أحد . . . ووقفت بجانب صديقى أترقب الساعة التى أخشاها ، وأنتظر الموت الذى أرهبه . . . وكان صديقى يئن أنيناً خفيفاً مزعجاً ، ثم أخذ يتحشرج وأنفاسه تضيق وروحه تضطرب ، وقد مات الذى إلى يساره والذى إلى يمينه أيضا .

أما هو فما زال حياً .... طلب ماء فلما شرب قال آه .... ما أعذب ماء النيل وأحلاه .... لكن ما أحلى ذلك اليوم الذى يخلص فيه النيل لمصر . . . !

ثم التفت إلى وقال فى صوت يشبه صوت الأحياء : اسمع ياصديقى وصيتى الأخيرة .. قلت لا تمزح ..قال إنى لا أمزح : مصر ...وصيتى ... والسودان ...لاتنس السودان ياصديقى ...قل لهم لا تنسوا السودان. وكانت هذه الكلمة هى النفس الأخير من حياته ؟

محمد السيد

الى (المعرفة)

تهنئة بمرور العام الاول على صدورها

يمطرنا البريد وابلا من رسائل التقريظ الأدبية ، يمنعنا الحياء عن نشرها ، ولكن حضرة الشاعر الفاضل الأستاذ على متولى صلاح المدرس بالمدارس الأميرية ، يرى — وهو محق — أن « المعرفة » ليست ملكا لشخص معين ، حتى يتصرف فيها بما يريد ، ويرى على هذا الاعتقاد ضرورة نشر هذه القصيدة التى تفضل بها .

ونحن من جانبنا ننشرها شاكرين لحضرته رقته وأدبه ، ولجميع الذين تفضلوا برسائل التقريظ والتأييد لها

المحرر

أيها الزهر لعينى ابتسم — وابعث العطر بأرواح النسم
واملأ الجو أريجاً طيباً — وإلى أعماق نفسى فاقتحم
واشد ياطير بألحان المنى — وترنم بأفانين النغم
فوق غصن البان مل وارتع وقل: — جادنا الغيث فأهلا بالديم
إن للطير حديثاً يشتهى — كله شجو وسحر وحكم
تسمع الأذن لغاه مثلما — سمع الناس بلالا فى القدم

* * *

أيها القوم ! وهذا عيدكم — بعد عام قد تولى وانصرم
هو عام قد أتى المجد به — طائعاً يجثو لكم عند القدم
هو طفل شب فى أحضانكم — ورعاه الفضل منكم والشمم
وغذته الهمة الكبرى التى — تنطق الأخرس والصخر الأصم
وحبا فى ظلكم يجرى إلى — مهبط الشمس وتثقيف الأمم
قد بدعتم فى «الصحافة» بدعة — وأتيتم بالذى يشفى السقم
ونهضتم نهضة رج لها — كل من يحمل فى الناس القلم
فجمعتم كل أعلام الهدى — وغدا عقدكم حلو النظم
صال فى ميدانكم كل فتى — جمع الحكمة والفضل الأتم
وجرى الفرسان فى حلباتكم — مثلما تجرى سباع فى الأجم

وجد الدين الحمى فى داركم ... وحمى الدين عزيز محترم
وغدت لغة الضاد بكم ... تحمل الغار على رغم العجم
شدتموها وبنيتم صرحها ... عالياً تعنو له أعلى القمم

* * *

قد رفعتم راية العلم وقد ... بدد النور ظلامات الغمم
وأقمتم صرحه مرتفعاً ... ولواء الجهل هار منهدم

* * *

فخذوا حبي إليكم صادقا ... ووادى خالصاً لايتهم
لست أستطيع لكم شكرا ولا ... يقدر النطق على صوغ الكلم
فتولى الله عنا أجركم ... وهو عنا خيرمن يرعى الذمم

المنصورة — على متولى صلاح مدرس بالمدارس الأميرية

جمعية الشبان الحجازيين

أرسلت الينا جمعية الشبان الحجازيين هذه القصيدة التى ألقاها الأستاذ كامل زيتون المدرس بمدرسة الجيزة الثانوية ، فى حفلة افتتاح قاعة المحاضرات بها ، ننشرها وسنكتب عن الجمعية فى فرصة أخرى ؟ المحرر

ما الروض فى زمن الربيع وإن حلا ... للزائرين جداولا وزهورا
بأجل من جمع ينسق عقده ... عزم يعيد إلى الرقى النورا
كلا ولا ريح الشمال اذا جرت ... بالروض تنتثر النسيم عبيرا
بأجل من ذكرى يجددها فتى ... حر لينشر ماضيا مقبورا
كلا ولا ماء الغدير إذا جرى ... سيلا كما تبغى الرياض غزيرا
بأجل من عزم الشباب إذا أتى ... يوما لينهض بالبلاد فخورا
كلا ولا طير يغرد منشدا ... فوق الغصون أصائلا وبكورا
بأجل من صوت الحجاز إذا أتى ... يوما يسطر بالعظات شكورا
هذى جماعتهم تعيد الى الملا ... عهد النبي ورأيه المأثورا
وتقيم صرحا للثقافة والندى ... يختال فى برج الجمال خطيرا
ويشد أزر البائسين جميعهم ... عهدا عليها قد رأته جديرا
فلهم من الله الرعاية والهدى ... حتى يروا ثمر الجهاد نضيرا

خواطر ونقدات

عقلية مدير مؤسسة مصرية

كان لى بحكم عملى فى « المعرفة » شرف الاتصال بخاصة القوم من : علماء ، وكتاب ، ومحامين ، وأطباء ، ووجوه .

و « المعرفة » - على حداثتها ولله الحمد - وثيقة الاتصال بالكثيرين من هذه الطبقة الممتازة ، وما قابلت واحداً من حضراتهم ، إلا وشعرت بشغف شديد نحو لقاء آخرين . ذلك لأنى كنت كثير الاستفادة من هذه المقابلات ، فمن تغذية للروح والعقل معا ، إلى كلمات طيبة ، هى خلاصة العطف ، وآية التشجيع ، وإنى لمسجل بعض أسماء حضراتهم ، لالشىء ، إلا ليعلم هذا الانسان أى الرجال قابلت . وبأى الطبقات تتصل « المعرفة » ؟ فمن حضراتهم :

سعادة أمير الشعراء شوقى بك ، شيخ العروبة أحمد زكى باشا ، شيخ المربين أحمد فهمى العمروسى بك ، السيد محمد الببلاوى ، الاستاذ محمد بك زكى على ؛ والدكاترة : ماكس مايرهوف ، عبد العزيز قاسم ، محمود فريد ، محمد بدر الدين ، مظهر سعيد ، على عبد الواحد وافى ، احمد فريد رفاعى ، على مظهر ، زكى مبارك ، مصطفى جلى زادة بك ، والاساتذة : فؤاد بك حمدى ، أحمد بك نجيب ، صالح بك جودت ، راشد رستم ، الشيخ محمود أبو العيون ، والسيد عبد الحميد البنان وكثيرون ممن لاتعيهم الذاكرة الآن .

حتى تقابلت مع (الاستاذ) محمود سكر ! فرأيت منه ما أنقله اليك بنصه :

سألته : لماذا منعتم عنا الاعلانات ، و « للمعرفة » كما تعلمون مكانة خاصة ، ولها قراء ممتازون ، ليس فى مصر فقط ، ولكن فى جميع الاقطار ؟ ؟

فاجاب قائلا : منعنا عنكم الاعلانات لاننا لأنعلن فى المجلات الشهرية الأخرى .

قلت : لاشأن لنا بهذه ، وإنما « المعرفة » مشروع مصرى صميم له كما لكم عليه حقوق وواجبات ، ثم لاتنس أنكم كنتم البادئين بطلب الاعلان ، وقد كان من أثر الاعلان فيها ، أن بيعت بضعة أسهم من شركة الغزل والنسيج ، لبعض مشتركى «المعرفة» حتى فى جنوب أفريقيا .

فقال غاضبا ! (أنت حترجع ، وإلا والله أعمل مجلة ، وأرأس تحريرها وتطبع فى مطبعة سكر) !!! (لاتضحك : غفر الله لمطبعة مصر قبولها الأدماج)

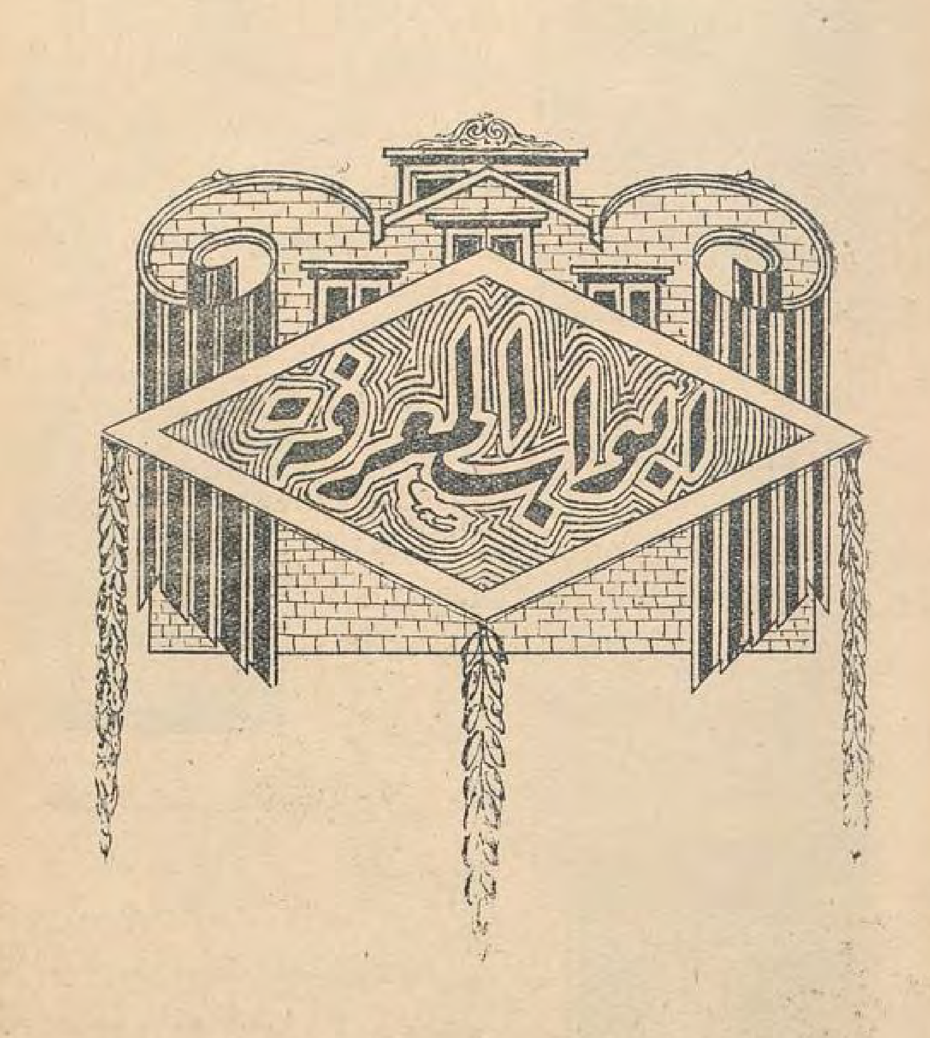
قلت : تبقى عملت طيب ، لأنك مصرى ونحن مصريون ، وستجدنا مستعدين للمعاونة .

فقال حضرته : يعنى حضرتك دخلت بدون استئذان !!!

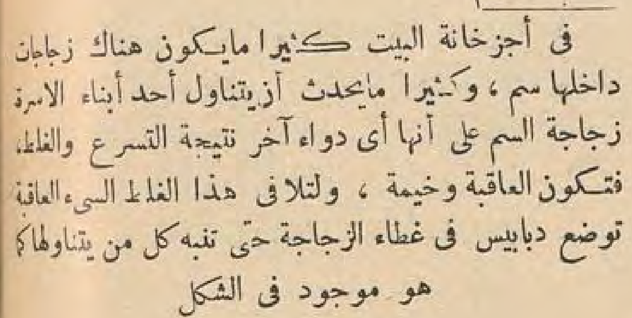
قلت : استأذنت من سكرتيرك وعفوا يامولاى ! وانصرفت بغير استئذان .

هذا هو محمود سكر الذى كنا نظنه على شىء ، واذا به ، (خلى من المعنى ولكن يفرقع) !؟

احمد منصور مدير ادارة «المعرفة»


ابواب المعرفة

مملكة المرأة والبيت



لاحاجة إلى الصابون

تجد بين الغطاء الخشبي من أعلى وقطعة اللباد من أسفل ، قطعا صغيرة من الصابون ، فاذا غمست الفرشة فى الماء طلعت فى الحال فقاقيع الصابون ، وفضلا عن ذلك فاللباد مما يمكن انتزاعه وتغييره .



زجاجات السم

فى أجزخانة البيت كثيرا مايكون هناك زجاجات داخلها سم ، وكثيرا مايحدث أن يتناول أحد أبناء الاسرة زجاجة السم على أنها أى دواء آخر نتيجة التسرع والغلط ، فتكون العاقبة وخيمة ، ولتلافى هذا الغلط السىء العاقبة توضع دبابيس فى غطاء الزجاجة حتى تنبه كل من يتناولها كما هو موجود فى الشكل



دقات الساعة

فى ساعة المرض تكون أعصاب المريض متوترة من طول الرقاد ، ولذا تجده يتهيج من أقل حركة ، حتى من دقة الساعة التى لانشعر بها وهى فى جيوبنا وفى أيدينا ، تؤذيه وتستثير أعصابه ، فلا يذوق طعم النوم ، ولتلافى ضجيج دقات الساعة (بالنسبة للمريض) يوضع كوب من الزجاج مقلوب على الساعة فيفيد من ناحيتين ، فهو يمنع تسرب الصوت من جهة ، وتكون الساعة فى مجال النظر من جهة أخرى ، كما هو ظاهر فى الشكل .

لتكسير البيض



يشكو الكثيرات من صعوبة تكسير البيض، إذ قد يتناثر بعض الرشاش منه فيصيب الملابس فيتلفها، وقد اخترعت آلة صغيرة تعفيك من كل هذا، فلا تتسخ يداك أو ملابسك، وهذه الآلة (كما هو ظاهر من الشكل أعلاها) فى مكان توضع فيه البيضة ثم تدفع أطرافها بأصابعك فتفقأ البيضة من أسفل وينزل بياضها وصفارها فى الاناء الموضوع .

المكنسة الكهربائية



اخترعت من زمن مكنسة كهربائية لتنفيض البسط والسجاجيد ، وقد زاد عليها مخترعها نافذة زجاجية تستطيع ربة الدار أن تنظر من خلالها إلى أى حد تجمع الغبار فى المكنسة ، حتى تفرغها وتعمل من جديد ، « انظر الشكل »

رجاء

نرجو حضرات المشتركين وأصحاب الاعلانات وغيرهم ألا يعتمدوا أحدا بالنيابة عنا سوى حضرة احمد افندى منصور مدير إدارة المجلة .

ويلاحظ بأن وصولات الاشتراك يجب ان يكون موقعا عليها بأمضاء صاحب المجلة ومختومة بختم الادارة وإلا فانها لا تعتمد ؟

مكتبة المعرفة

ذكريات باريس
للدكتور زكى مبارك

عدد صفحاته ٣٢٠ ، طبع بالمطبعة الرحمانية ، ويطلب من المطبعة التجارية بمصر

فى يقيننا أن الأستاذ الدكتور زكى مبارك يمثل الطليعة التى تريد أن تنجو بالأدب من موقفه الجامد لتخلع عليه ثوب الحركة الدائمة ، والنشاط الجم . وفى يقيننا أنه أصاب الهدف من غرضه وانتهى إلى الشأو مما يريد .

وليس الدكتور بالرجل التائه البعيد عن قلوب القراء ونواظرهم ، حتى نأخذ به إلى مكانة التعريف ليفهمه القراء، فهوعلم ذائع الصيت، وأديب نابه الذكر، وبحاثة متضلع منقطع النظير.

وإذا كانت له ثمة من ميزة ، توفر عليه أسباب التفرد بحالة خاصة دون الكتاب والأدباء، فان هذه الميزة تجتمع فى حرصه على إشراك القراء معه فى خواطره وآرائه ، وفى هواجسه وأحلامه جميعاً ، ذلك أنه لايضن عليهم بهذه الآراء ، ولايستبقيها لنفسه ، وإنما يجاهد جهده حتى يستطيع تقديمها اليهم ، بالغا ما بلغ إعنات الأيام له فى وجهة الأخراج والنشر — وهما كل ما يشكو منه المؤلف فى مصر .

وبين يدينا الآن كتابه عن « ذكريات باريس » ، وحسبك أن تعلم بأن هذا الكتاب قدجمع الرائع المتخير من مدينة النور ، وأنه كان أول صوت صادق دوى فى أفق الشرق العربى ليعرف أهله بحقيقة المدينة الفاتنة الجميلة .... على أن الكتاب قد وعى — إلى ذلك — غير قليل من أسباب الوفاء والحرص على هذه الذكريات العزيزة ، ذلك أن الدكتور زكى مبارك لم يساير فى تصوير « باريس » هذا السياق الذى ألفه كل من كتب عنها أو أنشأ فيها، وإنما أخذ بقلمه القادر يزيح عن أذهان الناس تلك الصورة « المغشوشة » التى تصور لهم مدينة الضوء، وكأنها بؤرة اللهو ، وموطن الفسوق . . . وكان الشأن عند الدكتور أن يظهر « باريس » وكأنها البلد الطيب الذى لايواتيه اللهو والعبث إلا بمقدار .. !

وما من شك فى أن صديقنا الدكتور زكى مبارك قد استطاع أن يقدم فى كتابه عشرات من الأسانيد القوية حتى يدعم بها رأيه الذى انتهى إليه بعد دراسات موفقة ، وبعد أعوام خمسة ، كلها توفر على التحقيق ، وكلها تمحيص واستقراء .

والكتاب إلى ذلك طلى الأسلوب . يذيع عواطف الدكتور إذاعة حافلة بالسداد . . .
وماذا تكون هذه العواطف ؟ حسبنا أن تكون هى عواطف الدكتور زكى مبارك ليفهم القراء ماتنطوى عليه من نبل ،ومن رقة ، ومن براعة ، ومن تجديد ، ومن سداد . وحسب القراء أن تكون هذه العواطف كلها مجتمعة فى «ذكريات باريس» ليكون اجتماعها بين دفتيه أدعى إلى إقبالهم عليه إقبالا هو به حقيق وجدير .

جولة فى ربوع آسيا بين مصر واليابان
للاستاذ محمد ثابت

الاستاذ محمد ثابت أستاذ فى الجغرافيا،متضلع فى تدريسها قبل أن يكون سائحاً جوالا ، ولذا تستطيع أن تفهم قيمة مايكتب وهو سائح ،لأنه يخط مذكراته على أساس من العلم الصحيح، بل أكثر من هذا، لو أن صديقاً له صحبه فى رحلته تلك، ولم يكن متضلعاً فى علوم الجغرافيا، ونظر الاثنان مشهداً جديداً ، أو أثراً طريفاً ، أو ظاهرة طبيعية أو جوية ، لوجدت عين العالم تبصر من تلك المشاهد ، أكثر من الجاهل بها ، وتنفذ عين العالم الى قراراتها تحليلا وبحثاً وإحاطة وأصالة ، مما يفرق بين التحقيق العلمى ، والنظرة العجلى ، ومن هنا كان تقديرنا لآراء العلماء بالاحترام والقبول والوثوق . فقيمة كتاب الاستاذ ثابت تظهر لنا جلية من هذه الناحية ، لأنه عالم متمكن من مادته التى يدرسها ، شغوف بها الى حد بعيد ، كما يشهد بذلك طلابه الذين تخرجوا على يديه ، وقد ذهب به هذا الشغف بالعلم الى حد أنه لم يكتف بالقراءات النظرية فى كتب القوم ـ وأكثرها للفرنج ـ ولكنه أردف النظر العقلى بالنظر الحسى ، فنهض يتجول فى أنحاء العالم يتحسس عجائبه وغرائبه ، ويتشبع ـ بالسياحة فى مختلف البلدان والاقطار ـ بمظاهر تلك الأمم الطبيعية ، وأخلاق شعوبها ، وعادات أهلها ، وأخذ يسجل كل ذلك ويطلع به على أبناء وطنه المخلصين ، كما يقول فى مقدمة كتابه ؛ لأن عين المصرى التى تكتب للمصريين هى غير عين الاجنبى التى تكتب للاجانب ، لأن المصرى يعلم رغائب قومه وما يتشوقون الى معرفته فيزودهم به ، وهذا بعكس الأجنبى .

أخرج لنا الاستاذ إذن كتابه الاول « جولة فى أوربا » ثم أردفه بكتابه الثانى « جولة فى ربوع آسيا »، متجشما فى ذلك مشاق السفر والترحال، لالشىء إلا لهذه الغاية النبيلة، وهى فائدة بنى وطنه الفائدة المثلى ، فأنت إذ تبدأ بقراءة الكتاب تجد نفسك قد التهمته قراءة حتى تأتى على آخره ، لا يصيبك خلال ذلك ملل أو كلال ، لسلاسة الاسلوب ، وحسن الانتقال ، وصدق التجربة ، ثم هو فوق ذلك كله ينتقل بك من تاريخ الى جغرافيا إلى أخلاق الى اجتماعيات ممايزيد فى قيمة الكتاب كما قدمنا .

هذا وإننا نشكر للاستاذ حسن عنايته بطبع الكتاب ، فضلا عن الصور المتعددة التى

لا تكاد تخلو منها صفحة من صفحاته ، مما يشوق القارىء ، ويعطيه صورة حسية صادقة عن البلاد التى يقرأ عنها . . فلعل الأستاذ يتم هذه السلسلة من الجولات فى باقى البلاد التى لم يرحل اليها حتى يضم إلى دائرة معارفه الأولى دوائر جديدة.

أشعة رونتجن فى تشخيص الأمراض الباطنية

للدكتور محمود فريد

مضى زمن طويل أدخل الغربيون فى روعنا أن اللغة العربية لا تصلح أن تكون لغة للتآليف العلمية ، وأن اللغات الأوربية التى تمت بأصولها للغتين اللاتينية والاغريقية هى اللغات القمينة بالعلم الصحيح ، والمؤلم أن كثيراً من مواطنينا شايعوا الفرنج فى هذه النزعة ، واصطنعوا التواكل ، فوافقوهم على هذا الرأى ، وظلوا فى سباتهم مكتفين بالقراءة فى كتب القوم ، فظلت الفائدة مقصورة على من يتكلمون اللغات الاجنبية . ولكن النهضة الحديثة أثبتت للعالم أن فى مصر علماء جديرين بأن تفخر بهم مصر ، فأخذ الكثيرون يؤلفون باللغة العربية ، ما ظن الناس أن كان مستحيلا . ومن العلوم التى ثار الجدل حول تأليفها باللغة العربية ، العلوم الطبية ، حتى أخذ بعض الأفاضل من الاطباء يضعونها للناطقين بالضاد فى لغة القرآن ، ولكننا كنا نعيب على أكثرهم الترجمة أكثر من التأليف ، حتى أخرج الدكتور محمود فريد كتابه فى « أشعة » رونتجن . .

والدكتور فريد خير من يكتب فى مثل هذا الموضوع ، لانه اخصائى فيه من يوم أن اكتشفت الاشعة ، وعرفت فائدتها فى الطب . وقد ألف هذا الكتاب نتيجة للتجارب شخصية العملية التى أجراها ونظرها بنفسه على جمهرة المرضى الذين وفدوا اليه ، ويخيل الينا انه أخرج الكتاب بعد أن هضم مايريد أن يكتب هضما جيداً ، ولذا تجده ينساق بك انسياقا دون تعقيد أو إبهام ، حتى انك - وأنت لست بالطبيب - تستطيع أن تقرأه وتخرج منه بفكرة كبيرة ، ذلك أنه وضع كثيراً من الصور التى لايمكن فهم الموضوع بدونها ، والصور هى كل شىء فى الطب الآن ، لاسيما فى تشخيص الامراض الباطنية ، فقد يكون هناك كسر بالعظام تستطيع أن تتحسس موضعه دون حاجة إلى أشعة ، ولكن الامراض المعدية (نسبة الى المعدة) التى تنتاب المعدة ، والأمعاء ، والاثنى عشرى ، والقرح المعدية ، هذه كلها أمراض هى موضع للجدل بين الأطباء لاختفائها ، ولكن بالأشعة تتحدد امكنتها فيصف لها الطبيب العلاج المناسب اللائم الذى يزيل مكمن الداء .

لاشك عندنا فى أن هذا الكتاب ذو فائدة جليلة للأطباء من ناحية ، وذو فائدة أجل لطلبة الطب الذين يعانون مشقة كبيرة فى قراءة كتب القوم فى لغتهم من ناحية أخرى ، وذو

فائدة جليلة أيضا لكل من يريد أن يعلم شيئا عن العلاج بالأشعة من ناحية ثالثة .

ذكرى السلف — للاستاذ محمد العربى القروى بتونس

عدد صفحاته ٣٢٠ - من القطع المتوسط ، طبع فى المطبعة الأهلية بنهج البلدان - تونس

كلما اطلعنا على كتاب جديد يؤلف بين وحدات تاريخنا الاسلامى التى أتت على حلقاتها الحقب بالتمزيق والتفريق ، كلما كان فى ذلك ما يدعونا إلى الأمل - أكبر الأمل - بأن جهود المستنيرين فى الشرق الأسلامى اليوم، جهود موفقة تريد المثل الأعلى وتدعو اليه .

والواقع أن تاريخ السلف من قادة الاسلام وحماته الأولين ، لم يقدر له إلى اليوم ان ينفلت من اسار الأسلوب القديم، ويأخذ مكانه فى الأسلوب التحليلى الممتع النافذ .

ولئن تكن سيرة النبى محمد عليه الصلاة والسلام، قد استطاعت أن توحى إلى طائفة من كتاب الشرق الأعلام أن يدرسوها ويكتبوا عنها بالأسلوب الجديد ، فما من ريب فى أن هذه الشخصية الكبيرة الجليلة ستكون إلى الأبد منار وحى دائم لكتاب الأجيال، أن يكتبوا عنها ويدرسوها ، لأن صفاتها العديدة - وهى صفات الكمال كله - تحفز كل باحث محقق إلى تصويرها تصويراً ينصح عنها إفصاحاً دقيقاً .

ومن هذه الكتب الحديثة التى تناولت بالتحليل حياة « النبى الكريم » كتاب « ذكرى السلف » وهو «الجزء الاول» من هذا الكتاب ، فقد دبجته يراعة قادرة، هى يراعة الأديب التونسى الكبير الاستاذ محمد العربى القروى .

وقد استطاع الأستاذ العربى أن يكون محققا فى توجيه آرائه ، وأن يكون دقيقاً فى حبك أطراف كتابه ، وقد استطاع الى ذلك أن يقدم لنا حياة «النبى» وما فيها من أبواب وألوان وضوء ، وما يتخللها من هجرة وإسراء ، وما يتبعها من أثر فى كل جانب من جوانب الأرض، وكان موفقا فى هذا كله توفيقاً يدعونا إلى الأشادة به ، والتنويه بمؤلفه الذى ليقبل عليه كل قارىء إسلامى ، فهو جدير بأن يكون فى حوزة كل مسلم يريد أن يشهد تاريخ الرسول الكريم بعيداً عن لوثة الظنون والشكوك والاسراف .

فى أرجوحة الفكر

أهدانا الأستاذ رشدى ميخائيل السيسى كتابا بهذا العنوان أخرجه حديثا ، وهو يحوى طائفة من المقالات الأدبية الطريفة كما يحوى أيضا موضوعات شائقة فى التربية وعلم النفس سبق له نشر بعضها فى جريدتى السياسة اليومية والأسبوعية .

وقد ذيله برسائل أسماها « مذكرات صياد »، وهى طريفة فى موضوعها، غير أننا نجد فيها أفكارا وآراء نرى فيها شيئا من التطرف ، نعتقد أنه لا يتناسب والآداب والتقاليد الشرقية، ولذلك ننصح له أن يكون رفيقا فى تقريرها .

ولا بأس بالكتاب فى مجموعه ، فانا نرى فيه روحا قوية تبشر بمستقبل حسن، ونرجو أن يكون هذا المؤلف فاتحة لجهودها ، وهو مطبوع طبعا متقنا على ورق مصقول .

«المعـــــرفه»

فى نظر زميلاتها

أبى حضرات زملائنا الأفاضل ، إلا أن يسجلوا علينا مكرمة فوق مكرمة ، فتفضلوا بتخصيص جزء ليس باليسير ، من صحفهم المحترمة ، للكتابة عن مجلتنا الفتية . تشجيعاً منهم وتأييدا ، ولا يسعنا إزاء هذا الصنيع الجميل ، إلا أن نشكرهم جزيل الشكر ، بل بقدر ما يحتمله اللفظ من معنى

وها نحن أولاء نسجل بعض ما كتبوا ، لنشرك أصدقاء « المعرفة » المخلصين ، فى تقدير زملائنا المخلصين :

* * *

قالت جريدة (الجهاد) الغراء التى تصدر بالقاهرة ، بتاريخ ١١ مايو سنة ١٩٣٢ :

مجلة المعرفة مثل حى للشباب الناهض

يسرنا كل السرور ، أن نشيد فى كل فرصة ، بكل مشروع مصرى ، يقوم به أحد مواطنينا الأعزاء ، آداء للواجب المفروض على كل مصرى .

ومن هذه المشاريع الحية ، ذلك المشروع القيم ، الذى قام به الشاب النابه والكاتب القدير الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ، الذى أخرج للصحافة المصرية ، مجلة « المعرفة » العلمية الشهيرة ، التى لا يمارى منصف فى الحكم ، بأنها كبرى مجلات الشرق العلمية .

ولن يعوز الانسان الدليل على صدق ذلك البتة ؛ فان الجهود المثمرة التى يبذلها الأستاذ الاسلامبولى فى سبيل مجلته ، والسهر الدائم على ترقيتها وتقدمها ، والحرص الشديد فى اختيار كتابها ومواضيعها ، والتضحيات المستمرة التى يقدمها فى سبيل تدعيم أسسها ، كل ذلك كان من غير شك ؛ سبيل الصعود بالمعرفة ، إلى هذه المنزلة العالية ، وتلك المكانة السامية ، التى حلت فيها عن جدارة واستحقاق .

نقول هذا : وبين أيدينا العـدد الأول من السنة الثانية ، فاذا به كسوابقه ، دائرة معارف ، بل مدرسة جامعة ، بل موسوعة من كبريات الموسوعات ، فينتقل فيه القارىء ، من علم إلى فلسفة ، ومن أدب إلى فن ، ومن تاريخ إلى اجتماع ، ومن تربية إلى أخلاق ، ومن شعر عال إلى نثر بليغ ، وغير ذلك مما لا سبيل إلى حصره ، ومما يتنافس فى كتابته كبار الكتاب وجهابذة العلماء ، وقادة الفكر فى مصر والشرق .

وإنا لنتمنى لهذه المجلة الذيوع والانتشار الجديرة به ، والتشجيع اللائق بها من أبناء الأمة

وقالت ايضاً فى العدد رقم ١٧٢ :

لقد أضحت هذه المجلة ، بفضل تلك الجهود القيمة ، التى يبذلها حضرة الأستاذ الفاضل عبد العزيز افندى الاسلامبولى ، مثلا أعلى للمجلات العلمية ، ومنارا يهتدى به طلاب الثقافة الحقة ؛ فما نكاد ننتهى من تقريظ عدد من أعداد هذه المجلة القيمة ، حتى يطلع علينا صاحبها الفاضل ، بعدد آخر فى مستهل كل شهر ، وهو أكثر جدة ، وأرفع مكانة ، وأسمى معرفة ، وفى ذلك مايؤكد لنا تمام التأكيد ، بأن الأستاذ الاسلامبولى ، يضرب لنا بهذا العمل الجليل ، المثل الصادق ، على أن الشباب المصرى ، لايقل إنتاجا وتفكيرا عن سواه إن لم يفقه .

وعندنا أن مجلة « المعرفة » قد أضحت بحق أولى المجلات المصرية ، بل أولى المجلات العربية فى الشرق كله ، فحق لكل مصرى أن يفاخر بها ، وأن يعمل على تشجيعها بكل ما أوتيه من قوة .

ونحن نأمل أن يثابر الأستاذ الاسلامبولى ، على عمله الجليل ، وخطته الحكيمة ، وألا ييأس ، فسينصفه أبناء وطنه ، بل أبناء الشرق جميعا فى القريب العاجل .

وقالت جريدة السياسة الغراء :

سلخت مجلة « المعرفة » عامها الاول ، واجتازت مرحلة من أشق المراحل فى الأعمال ، إلا وهى البداءة ، لكنها اجتازتها بنجاح عظيم ، وقطعت أبعد شوط فى التقدم ، مما يطمئننا على أن من نصيبها الحياة ، وها هى ذى تبدء عامها الثانى ، فظهر عدد هذا الشهر كسابقيه حافلا بموضوعاته الشائقة ، ومقالاته القيمة ، فنها : . . . . . الخ

وحسبك لتقدير مجهود صاحبها الفاضل الأستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ، أن تعرف أنه يقوم عليها بمفرده ، وقد لاقى ما لاقى فى هذا العام الاول ؛ وصابر وصبر حتى أمكنه أن يسير بها دائما فى تقدم محسوس فى كل عدد من أعدادها ؛ وحتى أمكنه أن يقول فى مقاله الافتتاحى : « وحسبنا أن وقفنا من تلك التجربة على أن مضى سنة على مشروع مصرى ، يعد فى وقتنا هذا فى حكم النادر ، بل معجزة من المعجزات »

والحق أن « المعرفة » جاهدت كثيرا فى سنتها الأولى لخدمة العربية ، والثقافة الشرقية ، وما من ريب فى أن « المعرفة » كصحيفة مصرية ، وفق صاحبها الفاضل إلى أن يجعل منها مسرحا للأقلام الناضجة ، والشخصيات البارزة ، جديرة بالتقدم وحقيقة بالذيوع . فقد برهن صاحبها الفاضل بفضل إخلاصه ، وثباته وتضحياته ، على نجاح الشباب فى الأعمال الحرة ، فنهنئه بهذا النجاح .

وقالت جريدة كوكب الشرق الغراء :

يصدر الكاتب الأديب الأستاذ عبد العزيز الاسلامبولى ؛ مجلة « المعرفة » التى تعهدها منذ نشأتها تعهد الصحفى النزيه المحنك ، فهى تتقدم خطوة إثر خطوة ، فى أناة واتئاد ، ولكنها فى

الحق كانت بين الصحافة الشهرية وثبة كبرى ، وفتحا جديداً .

وإذا نحن تحدثنا عن الصحافة الشهرية ففى يقيننا أن « المعرفة » تتميز عنها جميعا بأنها مصرية حتى الصميم ، ومن حق الصحافة المصرية على قرائها المصريين ، أن يزيدوا فى إنمائها، ويوفروا لها أسباب الحياة .

وقالت جريدة (الرشديات) الغراء التى تصدر بالاسكندرية :

(المعرفة سبيل إلى الثقافة المصرية)

استقبلت مجلة « المعرفة » عامها الثانى أول مايو سنة ١٩٣٢ ، وهى المجلة المصرية الشهرية التى ترفع علم الثقافة الصحيحة، وتنير سبيل العلم إلى الطالبين، والأستاذ عبد العزيز الاسلامبولى صاحبها ومحررها غنى عن كل تعريف، فهذه « المعرفة » ناطقة بجهوده الجبارة ، وقوة عزمه وشديد احتماله .

ظهرت « المعرفة » أول مايو من العام الماضى ، وفى مصر مجلات (عجوزة) ، ولكن المجلة الفتية ، تفوقت على غيرها جميعا ، وركزت لها ميدانا للعمل سابقتها فيه النجاح ، حتى بذتها ، رغم ما فى الطريق من أشواك وعقبات .

فنهنىء صاحبها الفاضل و«معرفته» بعامها الجديد ، ونرجو لها دوام التوفيق والانتشار .

والعدد المذكور — عدد شهر مايو — تراه حافلا كالعادة بمقالات هامة ، وأبحاث فياضة بالعلم والفكر ، فمن ذلك : . . . . وغير ذلك من النفائس ، وثمار العقول الناضجة .

فالى الأمام.

وقالت جريدة (الكرمل) الغراء ، وهى تصدر فى حيفا ومن أكبر وأقدم جرائد سوريا :

لمجلة (المعرفة) التى يصدرها فى القاهرة ، الأستاذ المجد المجتهد ، السيد عبد العزيز الاسلامبولى، مزية قلما تجدها فى غيرها من المجلات، (وهى ثباتها العجيب) فى هذه الحقبة المضطربة من الزمن ، واستمرارها على الانتشار بنظام واطراد مشكورين .

نشأت (المعرفة) قبل سنة واحدة، حيث كانت بعض المجلات العربية تتوارى عن الأعين، بحكم استحكام حلقات الأزمة فى البلاد العربية ، ولا نشك فى أن (المعرفة) فازت إلى جانب المعنويات بكثير من الماديات ، حتى استطاعت الوقوف فى وسط هذه الزعازع ، التى تذهب برشد الحكيم :

وهاهى ذى تودع سنتها الأولى ، وتدخل السنة الثانية ، بمادة أغزر، وحجم أكبر ، وعناية أكثر ، تحمل فى مطاويها المقالات الكثيرة ، والأبحاث الشائقة ، لأمراء البيان فى الشرق العربى ، وكلها ممتع ، وكلها نافع .

وقد تنبأنا بوصول أول عدد لنا للسنة الاولى من هذه المجلة، بأنها ستتبوأ مكانا رفيعا فى عالم الأدب ، فلم تخطىء فراستنا ، لان هذه المجلة صارت فى ظرف سنة ، أكبر مسرح لأعلام الكتابة وأقلام الكتاب .

فنحض الأدباء على ورود منهلها العذب ، والانتفاع بما تخطه يراعة البارعين من أدبائنا .

وقالت جريدة (الجهاد) الغراء وهى تصدر فى حلب، لمناسبة انتهاء السنة الأولى:

من أمهات صحف مصر الراقية ، مجلة (المعرفة) ،تلك المجلة العلمية الاجتماعية ، ذات الأبحاث الشائقة ، والموضوعات الطلية ، يحرر فيها أعاظم كتاب الشرق ، وغيرهم من أقطاب العلم والأدب : مثل . . الخ

وقد أتمت هذه المجلة المحترمة سنتها الأولى، فالجهاد تهنىء الاستاذ عبد العزيز بك بقطعه المرحلة الأولى ، فى خدمة العلم والأدب ، وترجو لمجلة (المعرفة) العمر الطويل والتقدير اللائق بمكانتها العلمية .

وقالت جريدة (الشام) الغراء وهى تصدر فى دمشق :

مجلة (المعرفة) بمصر من أمهات المجلات العربية وأرقاها ، رغم حداثة عهدها فى عالم الصحافة ، وهى من المجلات التى تعنى بنشر ثمرات أدمغة كبار الكتاب والعلماء فى الأقطار العربية ، فى مختلف المواضيع والابحاث .

ولا ننكر أن ذلك يكلف صاحبها الفاضل الاستاذ عبد العزيز الاسلامبولى النفقات الطائله ، والمجهودات العظيمة ، ولكنه لايأبه لبذل المال ، مهما كثر، فى سبيل ترقية مجلته ، وإرضاء قرائها المنتشرين فى جميع الاقطار ، مما جعل منها غذاء لكثير من المجلات والجرائد ، إن فى مصر أو فى سوريا ولبنان وغيرها من الأقطار العربية.

ومن أدلة اهتمام زميلنا الكبير صاحب (المعرفة) بمواد مجلته ، أنه عمد مؤخرا إلى إرضاء قرائه بنشر (القصة المصرية) التى تروق مطالعتها لكثير من الناس ، وبحكم طبعه تخير لها ، أكتب من كتب (قصة مصرية) ؛ ونعنى به حضرة القصصى الكبير ،الأستاذ محمود تيمور الذى طلع علينا ، بهذه القصة البديعة ، التى رأينا ألا يفوت قراء (جريدة الشام) الاستمتاع بلذتها فنقلناها بحروفها .

هدية السنة الاولى

الرسالة العـذراء

« الرسالة العذراء » اسم لرسالة نفيسة ، تعد إحدى ذخائر الأدب العربى النفيس ، لابراهيم بن المدبر ، حوت من جليل البحث ، وطريف الفكر ، ورقة الاسلوب ، وسلامة اللفظ ، ماجعلها بحق ، كنزا من كنوز أدبائنا العرب المغاوير .

وقد صححها وشرحها باللغة العربية ، ووضع لها مقدمة مفصلة بالفرنسية ، تناول الكلام فيها على فن الانشاء ومذاهب الكتاب فى القرن الثالث ، الاستاذ البحاثة والعالم الفاضل الدكتور زكى مبارك .

وقد بعثنا بهذه الهدية النفيسة إلى حضرات المشتركين (الذين سددوا قيمة اشتراك السنة الأولى)

ورجاؤنا أن يتفضل حضرات الذين لم يسددوا قيمة اشتراك تلك السنة بتسديدها ، لنبعث إليهم بتلك الهدية .

الغزالى وابن سينا والفارابى

هذا عنوان لكتاب قيم وضعه الاستاذ حامد عبد القادر وسينجز طبعه قريبا ، ومن ثم نقدمه لحضرات المشتركين الذين سددوا قيمة الاشتراك عن السنة الثانية ، باعتباره الهدية الأولى من اثنتين سنقدمهما فى هذا العام إن شاء الله .

فهرس المعرفة

الجزء الثانى من السنة الثانية

أبواب المجلة

(مطبعة المعرفة)